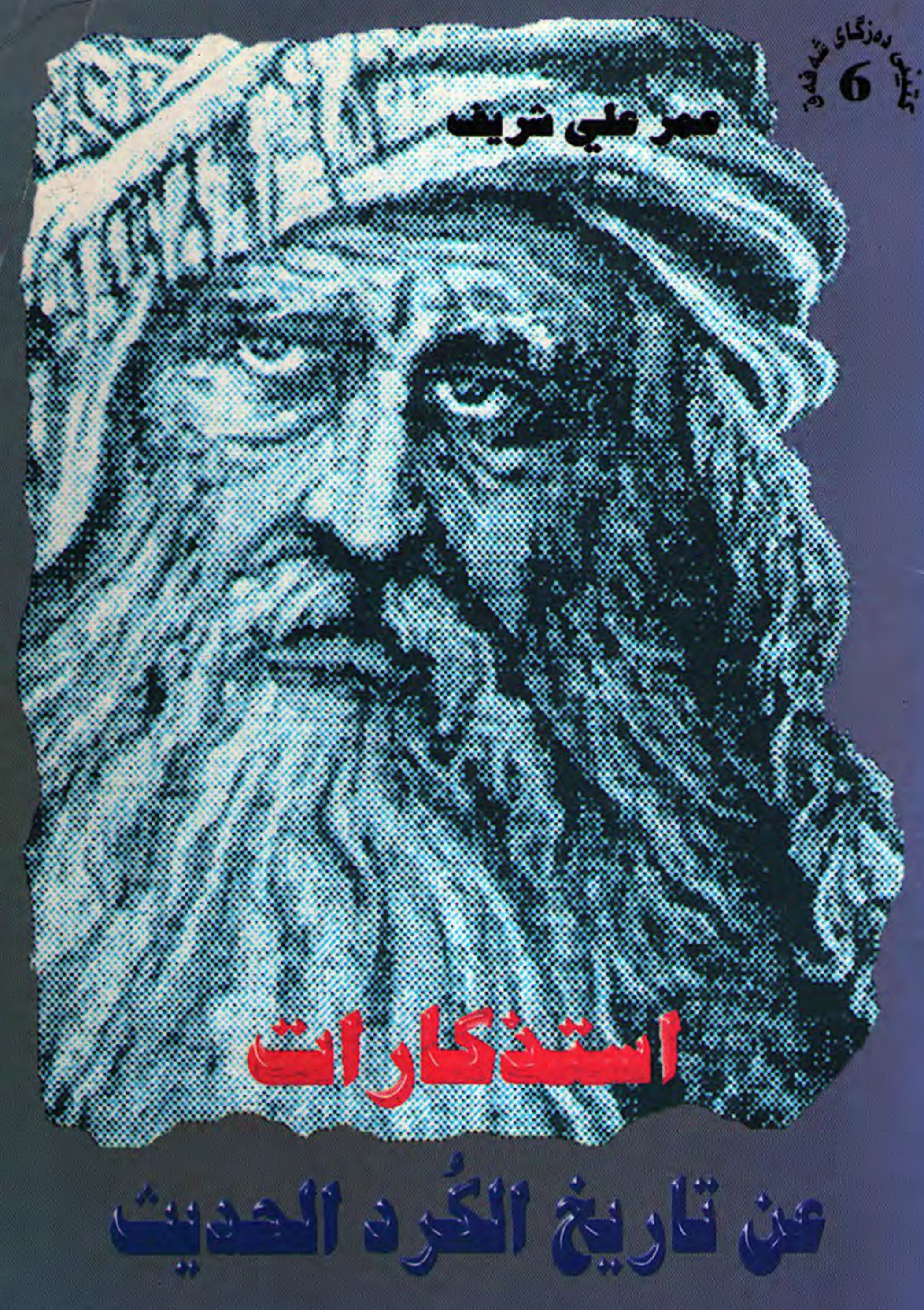


زنجیرەی دەزگای شەفەق
6

عمر علي شريف

استذكارات
عن تاريخ الكُرد الحديث

2005

عمر علي شريف

استذكارات عن تاريخ الكُرد الحديث

مدير سلسلة كتب مؤسسة الشفق

ملا شاخەوان كركوكی

عمر علي شريف

استذكارات عن تاريخ الكُرد الحديث

اسم الكتاب: استذكارات عن تاريخ الكُرد الحديث
المؤلف: عمر علي شريف
التنضيد: زينب جبرائيل - رزگار صالح
الاخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: فهد شواني
مطبوعات مؤسسة الشفق الثقافية/ كركوك، التسلسل: ٦
المشرف على الطبع: عبدالرحمن الحاج محمود
رقم الايداع في مديرية الثقافة والفنون: ١٥٦ /٢٠٠٥
الطبعة الأولى - ٢٠٠٥

مطبعة وزارة التربية/ اربيل

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة موجزة

يضم هذا الكتاب مواضيع تاريخية مختارة ومنوعة انتقيتها من بين مجموعة كبيرة من المباحث والدراسات والمقالات ذات العلاقة بتاريخ وتراث الكورد والتي عكفت على إعدادها وانجازها تباعاً منذ عام ١٩٩٨م وماأزال.

وآمل مخلصاً ان أوفق من خلال هذا الجهد المتواضع في اسداء خدمة - ولو يسيرة- الى تاريخ أمتي المجيد الذي لاقى عبر الزمن الكثير من الغبن والحيف والاهمال، بل ومن التحريف والتشويه أيضاً. كما آمل في نفس الوقت ان تنال محتويات كتابي هذا رضا وقبول القراء والمهتمين الكرام، ولاسيما الاخوة العرب الناطقين بلغة الضاد والذين أبغي ان أقدم اليهم من خلال مباحث ومحاور هذا الكتاب، جوانب شيقة ومثيرة من سفر الكورد الخالد وعطائهم النضالي والفكري والروحي والحضاري الثر في التاريخ الحديث والمعاصر.

ومع اني بذلت غاية جهدي في استخلاص وانتقاء معلومات هذا الكتاب من عدد كبير من المصادر والمراجع الموثوقة والمعتبرة لكتاب وباحثين ومؤرخين نابغين معروفين، وابديت ما أمكنني من حرص وعناية واهتمام كي يخرج هذا المطبوع وفق ما أطمح اليه من حيث الشكل والمضمون اللائقين. فأنني اعتذر سلفاً للقارئ الكريم عن اية هفوة أو ثغرة او نقيصة حصلت في مواضع الكتاب المختلفة - وهي موجودة طبعاً على

أغلب الظن - وفاتنا أمر تفاديها أو معالجتها كما يجب. ويقيناً ان عملي هذا هو أبعد مايكون عن الكمال، فالكمال هو لله وحده عزوجل وهو من وراء القصد...

المؤلف

موجز عن الطريقتين القادرية والنقشبندية

ومرشديهما الكبار في كوردستان

بقصد اهل التصوف بمفهوم (الطريقة) الشائع استعماله عندهم كثيراً بانه السلوك او النهج الذي يتبعه المريد بقصد الوصول الى اعلى مراتب العبادة الخالصة لله تعالى والايمان الكامل به وبلوغ مرحلتي (عين اليقين) و(حق اليقين) في هذا المجال، وهم يعدون (الطريقة) علماً عملياً من حيث ارتباطه بالمجاهدة والرياضة والاحوال والمقامات وبأنه يعطي المفاهيم الفقهية من تحليل وتحريم روح جديدة ويتجه الى فهم العبادات والاحكام اتجاهاً باطنيا على اعتبار أن الاسلام ظاهر وباطن وان فقه الشريعة[1] قائم على الاعضاء الظاهرة والاعمال الخارجة وعلم الطريقة قائم على الجارحة الباطنية (القلب). كما أكد مؤرخو التصوف على قيام هذين العلمين جنباً الى جنب مستمداً ذلك من قوله تعالى «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» «صدق الله العظيم» فالنعمة الظاهرة هي فعل الطاعات والنعمة الباطنة هي ما أنعم الله بها على القلب من الاحوال والمقامات، ومن تبحر في علم الشريعة أدرك بذوقه السليم أن علم التصوف هو علم الطريقة ذاته ويتفرع من عين الشريعة الدافقة.

واذا تتبعنا بامعان جذور التصوف عرفنا انه بدأ مع فجر الاسلام وكبار الصحابة والتابعين والعلماء ثم صار (اي التصوف) مذهب أهل العلم

١- يقصد بالشريعة أو الشرع النظام القانوني والاجتماعي المستند الى احكام ونصوص القران الكريم والسنة والاحاديث النبوية الشريفة.

والورع والتقوى بعد أن نضجت العقلية الاسلامية وفاض علم البلاد المفتوحة من كلام وفلسفة وعقائد على عقول المسلمين ونهل منه المسلم الحقيقي مايقربه الى ربه الكريم.

وعموماً شاعت وراجت في العالم الاسلامي على مر العقود طرائق ومذاهب صوفية مختلفة ارساها وروجها شيوخ وعلماء كبار واحتلت بمجملها فضاء رحيباً من حياة المسلمين عامة كالطريقة الشاذلية، الرفاعية، القادرية، النقشبندية، الچشتية، التيجانية، المولوية والسهروردية وغيرها.

فالتصوف باختصار هو عقيدة وأخلاق وسيرة وسلوك وجهاد للنفس وهو اسلامي لفظاً ومعنى وحساً ومأخوذ على الارجح من الصوف - لبس الصوف امارة ترك الدنيا - وهو احسن اللباس لاتقاء الحر اللاهب والبرد القارس للتعبير عن التعفف والعزوف والزهد والتعويد على الخشونة[٢] أو من أهل الصفة الفتية الذين تنسكوا في مسجد الرسول (ص) أو من الصفاء والصفوة. وعلى كل حال فان الكلمة (التصوف) تعبر عموماً عن معاني؛ النقاء والطهر والمعاناة والرياضة والتأهل للعبادة او المعرفة. يقول الامام الغزالي في تعريفه لنهج التصوف بانه: طريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها، والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومتى حصل ذلك كان الله المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم واذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق فيه النور وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية.

ولكي نبسط الموضوع أكثر نضيف بأن التصوف هو طريق الذكر والفكر والتأمل في اسرار السماوات والارض التي تتجلى فيها عظمة الخالق

٢- دأب أبناء بلاد فارس على اطلاق تسمية (پشمينه پوش) أي لابسي خرق الصوف على المتصوفة عندهم وقد ورد التعبير نفسه كثيراً في الاشعار الفارسية وبضمنها اشعار الحافظ الشيرازي.

المبدع استناداً الى قوله الكريم: «**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**» صدق الله العظيم، وهو ايضاً طريق الوصول الى مقام الاحسان الذي يعده معظم العلماء المتصوفة أرفع مقامات الصوفية «**الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك**» صدق رسول الله (ص). فالطريقة اذن هي الرحلة المضنية والشيقة الى الحضرة الآلهية والتي تتطلب من المريد مشواراً طويلا من التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والصدق والاخلاص والصبر والورع والرضا والتوكل والشكر والزهد (الزهد معناه هنا خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع)... والى آخره من متطلبات هذا السفر الطويل.

فالسالكون لهذا الدرب القويم عليهم بالمجاهدة كثيراً مع النفس الامارة بالسوء بغية ترويضها وتطهيرها من الآثام والرذائل وحب الشهوات «**ونهى النفس عن الهوى**»، وقد وصف الرسول الكريم (ص) بعد عودته من أحدى الغزوات، الجهاد مع النفس بأنه الجهاد الاكبر. والمعلوم أن جهاداً من هذا النمط يستوجب سعياً دائماً وتضحيات كبيرة بمغريات الدنيا الفانية ابتغاءً لرضاء الله ونيل ثوابه وبركاته الواسعة في الآخرة.

ومثلما أسلفنا بداية فان طرقاً ومذاهب صوفية متعددة شاعت في العالم الاسلامي خلال العقود المنصرمة الماضية وشهدت تألقها وأزدهارها على أيدي مؤسسيها ومرشديها وعلمائها الاكارم الذين ملأت أخبار مآثرهم وعطاءاتهم وبركاتهم آفاقاً واسعة جداً والذين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيوخ المجتهدين؛ معروف الكرخي، بايزيد البسطامي، ذا النون المصري، عبدالقادر الگيلاني، احمد البدوي، أحمد الرفاعي، بهاء الدين النقشبندي، عمر السهروردي، حسن الچشتي، جلال الدين الرومي وغيرهم. وفيما يخص كوردستان العراق (موضوعنا) التي أزدهرت فيها منذ فترة طويلة علوم الدين ومناهج التصوف ووجدت فيها منبتاً خصباً لنموها وانتشارها فان قلوب القسم الاعظم من سكانها

تعلقت تعلقاً روحياً ومعنويا وماتزال بالطريقتين القادرية والنقشبندية المعروفتين.

أوجد الطريقة القادرية الشيخ الشهير عبدالقادر الگيلاني (١٠٧٧-١١٦٦م) المولود في قصبة (نيف) ضمن مقاطعة گيلان الايرانية وهو جد نقباء اشراف مدينة بغداد التي قدم اليها طلباً للعلم والدراسة وعمره (١٨) عاماً، حيث اقام وتوفي فيها وضريحه يزار ويبجل في محلة باب الشيخ.

كان الگيلاني من كبار الزهاد والمتصوفين في عهده وأسس طريقته الصوفية (القادرية) المعروفة بأسمه على نهج الشيخ جنيد البغدادي وسلكها اثناء سنوات حياته وبعدها جمع غفير جداً من الاتباع في العراق ومختلف بلدان العالم الاسلامي وهو المعروف (أي الگيلاني) عند مريديه بلقب (الباز الاشهب) الذي أطلقه عليه القاضي أبو سعيد المبارك.

أما مؤسس الطريقة النقشبندية[٣] فهوالشيخ محمد بهاء الدين البخاري المعروف عندنا بـ(شاهى نەقشبەند) (١٣١٧-١٣٨٩م) المولود في قرية (قصر عارفان) القريبة من بخارى والتي يقع فيها مزاره الذي يتوافد عليه الزوار على مدار العام، والشيخ محمد بهاء الدين هذا هو خليفة العلامة المرشد محمد بابا السماسي الذي كان مرشداً للطريقة الصوفية المعروفة بطريقة الخواجة التي تحولت في عهد الشيخ بهاء الدين الى الطريقة النقشبندية التي لاقت على دأب شقيقتها القادرية نجاحاً وانتشاراً عظيمين في العديد من الأرجاء.

٣- تعني لفظة نقشبند الفارسية،الرسام أو النقاش (الحفار) وكانت اعمال نقش وحفر الصور والرسوم على الاخشاب والصخور شائعة قديماً، وبالنسبة للقب النقشبند الذي يحمله الشيخ محمد بهاء الدين/ مرشد الطريقة النقشبندية، فهو ذو دلالة معنوية على اعتبار المرشد المذكور (نقش) رسم ورسخ ذكر الله الحق في قلب مريديه، ومثلما اوضح احد شعراء الطريقة: اي برادر در طريق نقشبند ذكر حق رادر دل خود نقش بند، وقيل أيضاً؛ (العلم في الصغر كالنقش على الحجر) وكلمة نقش هي عربية أساساً أضيفت اليها اللاحقة الفارسية (بند).

ورغم أن تفاصيل وظروف وتاريخ دخول هاتين الطريقتين الى كوردستان العراق غير معلومة تماماً لكن الثابت أن انتشارهما ورواجهما هناك قد تما اول مرة على ايدي الشيخين معروف النودهي (١٧٥٣- ١٨٣٧) بالنسبة للطريقة القادرية ومولانا خالد النقشبندي (١٧٧٣-١٨٢٦) بالنسبة للطريقة النقشبندية وذلك في مدينة السليمانية عاصمة البابانيين وابان العقود الاخيرة من حكمهم[٤]

يطلق على اتباع ومريدي الطريقة القادرية عندنا لقب (الدراويش)، اما سالكو النقشبندية فيسمون (الصوفية) ولكلتا الطريقتين آدابهما وسلوكهما وأذكارهما الخاصة بهما. وتتسم حلقات ذكر الدراويش غالباً بكونها تأخذ طابعاً حماسياً ملفتاً على ايقاع الدفوف والدرابك (الطبلة) ويعرض فيها نفر من الدراويش في أوج أحوالهم وأذكارهم فعالياتهم الخارقة في غرز السيوف والحراب والاسياخ في اجسادهم ومقاومة النيران والجمرات المتقدة بأيديهم وارجلهم العارية وافواههم والسنتهم والتعرض للافاعي والعقارب ولدغاتها وسمومها وغيرها من الفعاليات العجيبة (الخارقة) التي تمارس لحد يومنا هذا في بعض المناسبات.

الشيخ معروف النودهي

وجلي، ان مرشدينا وشيوخنا وعلماءنا القادريين والنقشبنديين الكرام في كوردستان العراق قد أسدوا خدمات عظيمة واسهامات مشرفة الى

٤- ظهرت الامارة البابانية في النصف الثاني من القرن السابع عشر وانتهت نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر، وقد شاعت وازدهرت الطريقتان القادرية والنقشبندية في ربوع تلك الامارة وفي مقدمتها عاصمتها السليمانية، أواخر القرن الثامن عشر بالنسبة للقادرية، ومطلع القرن التاسع عشر بالنسبة للنقشبندية اي ان القادرية سبقت شقيقتها في ظهورها عندنا.

ابناء شعبهم المسلم في مجال الوعظ والارشاد والتعليم وتنوير عقول مريديهم وتهذيب آدابهم والذين لعبت تكاياهم وخانقاهم ومدارسهم الدينية(٥) دوراً روحياً وتربوياً واجتماعياً مشهوداً للغاية في حياة أهلنا المؤمنين الطيبين.

وسنحاول من جانبنا في سياق جهدنا المتواضع هذا التطرق الى السيرة الجهادية والارشادية لعدد من هؤلاء المرشدين الفطاحل الذين اغنوا تراثنا الفكري والروحي بالكثير من عطاءاتهم ومآثرهم الخيرة والوقوف على دورهم الخلاق المبدع في سفر أمتنا المسلمة المؤدنة، وهم الشيوخ معروف النودهي ومولانا خالد النقشبندي باعتبارهما القطبين الاساسيين للطريقتين القادرية والنقشبندية ومرشديهما في كوردستان والشيخ كاك احمد الشيخ احد ابرز المرشدين القادريين قاطبة والشيخ عثمان النقشبندي الثاني أخر الشيوخ النقشبنديين العظام، وسيكون تقديمنا لهم بحسب أسبقية ازمنتهم وعهودهم.

الشيخ معروف النودهي، المرشد والعلامة والاديب الجليل

شيخنا الشهير باسم معروف النودهي هو السيد محمد بن السيد مصطفى بن السيد أحمد بن السيد محمد النودهي وجده الثالث عشر هوالسيد عيسى البرزنجي مؤسس أسرة سادات البرزنجية المعروفة في كوردستان وخارجها.

ولد شيخنا معروف النودهي في قرية (نودى) ضمن قضاء شهربازار/ چوارتا عام ١١٦٦هـ(١٧٥٣م) حيث نشأ وترعرع في بيت علم ودين وفي كنف والده الجليل وأسرته الدينية المرموقة والمعروفة بنبوغها في الثقافات الكوردية والعربية والفارسية، فتعلم القرآن الكريم ودرس بعض الكتب الفارسية وشيئاً من النحو والصرف عند والده الكريم الذي حمله

٥- التكية والخانقاه معناهما واحد فبالنسبة للتسمية الاولى شائعة عند القادريين والثانية عند النقشبنديين.

لاحقا الى (قەلا چوالان) مركز الامارة البابانية حينذاك وادخله هناك المدرسة الغزائية الذائعة ليواصل فيها تعليمه وتحصيله الدراسي. وكانت امارات النبوغ بادية عليه منذ صغره فدلت على ان شأناً عظيماً سينتظره مستقبلاً.

وبينما كان الفتى الصغير منهمكاً في دراسته عمت مظاهر الفتنة والاضطراب (قەلا چوالان) عقب اغتيال حاكم الامارة سليمان پاشا بيد احد طلاب العام عام ١١٧٨هـ(١٧٦٤-١٧٦٫٥م)، فكان الحادث المشؤوم صدمة قاسية للشيخ معروف التلميذ الناشيء ومبعث خوفه الشديد على حياته وهو لم يتجاوز ١٢ سنة. فأثر الانزواء بعيداً عن العاصمة البابانية المتوترة متوجهاً الى قرية (هزارميرد) الواقعة غربي السليمانية فالتحق هناك بمدرسة العلامة الملا محمد (المعروف بابن الحاج) لينهل من فيض علومه وأدابه، فقرأ عليه أستاذه شرح الاسيوطي لالفية أبن مالك الذائعة في النحو مع تعليقاته (أي تعليقات ابن الحاج)، ثم درس المنطق وكتاب (المختصر) للتفتازاني وبرع في دروس العقائد والمعاني والبيان والبديع وغيرها.

عاش النودهي مع اقرانه الطلاب في (هزارميرد) حياة مليئة بالتقشف والفاقة وكان اعتمادهم التام في حياتهم على الزاد الذي كان يجود به اهل القرية عليهم، لكنهم كانوا قانعين مسرورين اثناء تلك الحقبة المميزة في حياتهم الدراسية. ثم التحق النودهي بالعلامة الشيخ عبدالله البيتوشي[٦] العائد من بلاد الاحساء الى وطنه الأم عام ١٧٦٦م ودرس عنده بعض المواضيع الادبية وظل مواظباً في نفس الوقت على زياراته لاستاذه السابق ابن الحاج في قرية هزارميرد.

وعموماً كانت فترة دراسة النودهي عند البيتوشي ثرية في حياته التواقة الى العلم والمعرفة، ولاسيما بعد ان صلب عوده وتفتحت مداركه وهو في العشرين من عمره، فتعلم من استاذه أصول الادب عامة

٦ نسبة الى مسقط رأسه قرية بيتوش الحدودية في كوردستان ايران.

وتفجرت عنده بفضله عاطفة الشعر الذي برع فيه كثيراً.

عاد النودهي الى ربوع (قهلا چوالان) مجدداً بعد عودة الامن والسلام اليها، فاستقر ثانية في مدرسة العلامة محمد الغزائي واكمل مشواره التعليمي بدراسة الفقه فيها ثم نال الاجازة العلمية التي كد من أجلها بأصرار، فغدا عالماً جليلاً وأديباً بارعاً تم تعيينه في احدى مدارس المنطقة واشتغل بالتدريس والتأليف وكتابة الشعر وظل كذلك حتى مجيئه الى العاصمة البابانية الجديدة السليمانية التي شيدها الامير ابراهيم پاشا خلال عام ١٧٨٤-١٧٨٥ فاضطلع بمهمة الاشراف على المدرسة الدينية والمكتبة البابانيتين اللتين نقلتا من العاصمة السابقة ليضمهما الجامع الكبير في السليمانية والذي شيده الامير المذكور.

بلغت المدرسة والمكتبة اوج ازدهارهما في عهد النودهي وتخرج على يديه جمع كبير من الطلاب النابغين الذين غدوا مصابيح الدجى ومنار الاجيال في عهدهم امثال: المفتي الزهاوي، الشيخ حسن القاضي، الشيخ محمود البرزنجي والشيخ بابا رسول... وآخرين.

تعتبر السنوات (١٧٨٥-١٨٢٢) عهداً ذهبياً في عمر الجامع الكبير حيث ضمت مدرسته وفي عناية النودهي العشرات من الطلبة المتقدمين والمبتدئين من السليمانية وخارجها فيما ضمت مكتبته كنوزاً ثمينة من المخطوطات والمؤلفات والكتب القيمة التي ارسل امراء آل بابان في سبيل اقتناء المزيد منها مبعوثيهم الى بغداد والموصل واسطنبول والحجاز واليمن، لكن تعاظم السيطرة الايرانية في المنطقة لاحقاً أحدث اضراراً فادحة بمناحي الحياة كافة وبضمنها المدرسة والمكتبة المذكورتان اللتان حافظتا بفضل الجهود المضنية للشيخ النودهي، ومن بعده نجله وخلفه كاك احمد الشيخ على وظيفتهما العلمية والفكرية، وظل الجامع الكبير في عنايتهما متألقاً بدوره الديني والاجتماعي الكبير الذي عرف به دوماً.

ومثلما كان الشيخ النودهي عالماً نابغاً وأديباً وشاعراً مقتدراً فانه كان مرشداً متصوفاً رفيع المقام يعود له الفضل الاول والاكبر في ارساء دعائم

الطريقه القادرية وحمل لوائها في السليمانية وخارجها والتي شاعت بفضله في كوردستان كثيراً وتعلقت بها اعداد كبيرة جداً من السالكين والتابعين وماتزال تحتفظ لحد يومنا هذا بقدر عظيم من تأثيرها ومهابتها.

وتفيد المصادر المعنية والمطلعة ان الشيخ النودهي قد تلقى اصول ومناهج طريقته اصلا من عم ابيه الشيخ (علي دول پەمويى) وهو بدوره من الشيخ اسماعيل القازانقايي (الولياني). ومهما يكن من أمر المصدر الذي تلقى منه النودهي طريقته أصلاً، فأن الثابت هو كونه المؤسس والمرشد الابرز لتلك الطريقة الصوفية المباركة عندنا وصاحب الفضل الاكبر في نشر تعاليمها وآدابها كما اسلفنا.

ظل الشيخ النودهي وطيلة سنوات عمره المديد، مواظباً على اداء رسالته العلمية والفكرية والارشادية غير آبه بالمعوقات التي اعترضت نهجه القويم في الحياة والناجمة عن مظاهر الفوضى وعدم الاستقرار التي سادت الامارة البابانية مراراً، فأسدى خدمات عظيمة لأبناء وطنه وسائر المسلمين وحتى رحيله النهائي عن الدنيا عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٧م ودفنه بناء على وصيته في مقبرة تلة سيوان الشهيرة والمزهوة باشجارها الاخاذة من الارجوان، تاركاً لاجيال امته كنزاً قيماً من مؤلفاته العلمية والادبية التي بلغت عشرات الكتب والمخطوطات والرسائل، وأثاره وذكرياته وسجاياه الخالدة في سفره العظيم.

وتتناول مؤلفاته عموماً موضوعات العقائد والفرائض والاصول والمنطق والبلاغة والمعاني والبيان والبديع والعروض، فضلاً عن كتاباته الصوفية ومدائحه النبوية وصلواته الالهية وقد صنف القسم الاعظم من تآليفه نظماً وكلها يدل على قوة ايمانه وغزارة علمه وأدبه ورفعة مقامه وامتلاء قلبه بالوجد الصوفي الطاهر.

المرشد مولانا خالد النقشبندي

ودوره الروحي والفكري في كوردستان وجوارها


مولانا خالد النقشبندي

يعتبر الشيخ ضياءالدين خالد بن احمد بن حسين من اولاد پير ميكائيل الدوراني، والمعروف بلقبه الذائع مولانا خالد النقشبندي، يعتبر الرائد والمرشد الاول للطريقة الصوفية النقشبندية المبجلة والشائعة في كوردستان الجنوبية وجوارها حتى الاناضول وايران.

ولد شيخنا مولانا خالد، الذي ينتسب الى عشيرة الميكائيلي من افخاذ قبيلة الجاف سنة ١١٩٣هـ - ١٧٧٣م في ربوع قرداغ[٧] حيث نال تحصيله الدراسي الاولى على يدي والده التقي الامين ثم طاف بمختلف مناطق كوردستان لنيل العلوم والاستزادة منها، فدرس عند العلامة السيد عبدالكريم البرزنجي وشقيقه السيد عبدالرحيم والملا صالح التوماري، بعدئذ اكمل مولانا مشواره العلمي عند العلامة ابن ادم فالعلامة الشيخ محمد قسيم، رئيس العلماء في سنة (سنندج) والذي منحه الاجازة العلمية وأجاز له بالتدريس.

عاد مولانا بعد نيله الاجازة العلمية الى السليمانية فمارس فيها التدريس في مسجد عزيز آغا المصرف اولاً، ثم انتقل الى مسجد عبدالرحمن پاشا المعروف بمسجد بابا علي حيث درس فيه عقب وفاة استاذه السيد عبدالكريم البرزنجي (سنة ١٢١٣هـ) فافاد طلابه كثيراً في

٧- قرداغ، ناحية ومنطقة جبلية جميلة تابعة لمركز محافظة السليمانية وتقع في جنوبها الغربي.

تلقينهم العلوم والاداب السائدة.

قصد شيخنا الحج عام ١٢٢هـ، فمر في هذا السبيل بالموصل وبعدها ببلاد الشام التي التقى بعلمائها وادبائها وتبرك باوليائها، ثم بلغ الحرمين السريفين فأدى مناسك الزيارة فيهما. ويروى انه اخذ البشارة من بعض الصالحين في مكة المكرمة بأنه سيبلغ مراده في رعاية مرشد كبير ويزكيه كثيراً، فتزود بالبشارة عائداً الى السليمانية حيث انهمك بالتدريس والتعليم على دأبه السابق الى ان وصل السليمانية ذات يوم احد منسوبي المرشد النقشبندي الكبير عبدالله الدلهي. فشوق هذا المنسوب (واسمه مرزا رحيم) شيخنا مولانا خان للسفر معه الى الهند وملاقاة سيده هناك في مدينة دلهي التي كانت تكتظ عهدئذ بالعديد من العلماء والاولياء المرموقين.

وهكذا سافر مولانا مع الشخص المذكور عام ١٢٢٢ هـ بتأثير الاخبارالتي سمعها منه عن بركات وافضال سيده (عبدالله الدلهي) في الهند، فتمسك هناك بطريقته ونهجه الصوفي السديد ونال عنده اجازة الطريقة فأصبح من مرشديها البارزين.

ثم عاد بعد مضي عام الى كوردستان فاقام اولاً في سنندج (سنه) منهمكاً بنشر آداب ومناهج طريقته النقشبندية التي أدخل أستاذه الشيخ محمد قسيم فيها. ولما عاد شيخنا الى السليمانية هب الناس لاستقباله وتعظيمه كثيراً وحظيت طريقته التي دعا اليها ونشر تعاليمها وآدابها، باقبال كبير للغاية وبالشكل الذي اثار انتباه بل وقلق اتباع الطريقة القادرية التي سبقت شقيقها النقشبندية في بلوغ كوردستان والانتشار فيها

وبناء على توجيهات سيده (عبدالله الدلهي)، سافر مولانا الى بغداد بقصد زيارة مرقد الشيخ عبدالقادر الگيلاني حيث بقي في رحابه زهاء سته اشهر، فعاد (عام ١٢٢٦هـ) الى السليمانية مواصلاً ارشاده للسالكين وتعليمه للطالبين، لكنه ما لبث إن عاد بعد فترة الى بغداد

متذمراً من الوضع المتوتر السائد في السليمانية فاستقر في تكيته المعروفة بالخالدية وواظب كدأبه المعهود على الارشاد والتدريس فاستفاد منه عدد كبير من العلماء وطالبي العلم والمريدين الى ان زار بغداد الامير الباباني محمود پاشا بن عبدالرحمن پاشا فرجاه بالعودة الى السليمانية. ولما عاد الى هناك بنى له الامير المذكور التكية المعروفة بـ(خانقاه مولانا خالد) ووقف على اهلها قرى واملاكاً عدة.

واصل شيخنا مولانا خالد، تحقيق أوج نجاحاته في مجال الارشاد والوعظ والتعليم وكانت اعداد تابعيه ومريديه وبضمنهم العديد من العلماء النابغين تتعاظم بأستمرار وهيبته تزداد القاً. فاصبحت العلاقة بين اهل الطريقتين (القادرية والنقشبندية) موضع شقاق بين اتباعهما من العلماء والامراء والاشراف وسائر المريدين وبالشكل الذي ساهم في زيادة توتر الجو المضطرب أصلاً في السليمانية، فاستاء المرشد الحكيم مولانا الذي يحكى بانه تعرض للاغتيال في تلك الفترة، استاء من الوضع القائم كثيراً وعاد بسببه الى بغداد مجدداً ليستقر في تكيته السالفة الذكر (الخالدية) الى عام ١٢٣٨هـ حيث ارسل وكيله الشيخ (احمد هوليري) الى الشام في سبيل نشر طريقته هناك، فبدأت ترد عليه طلبات والتماسات عدة تدعوه للتوجه الى تلك الديار، لذلك قرر شيخنا الرحيل الى هناك، فاستقر في مدينة دمشق مرشداً وعالماً نابغاً.

بعدئذ زار مولانا بيت المقدس، وحج بيت الله الحرام وزار قبر الرسول محمد (ص) ثانيّة عام ١٢٤١ هـ ثم عاد الى الشام مجدداً ليواصل نهجه المعهود وحتى وفاته بأجله الموعود عام ١٢٤٦هـ - ١٨٢٦م جراء اصابته بالطاعون، فدفن بجبل قاسيون طيب الله ثراه،وبعد عدة سنوات من وفاته استلم مهمته ولده نجم الدين الذي رأى النور عقب وفاة والده الكريم فصار بدوره مرشداً معروفاً هناك وعلى خطى سلفه الراحل.

واجمالاً كان شيخنا الراحل مولانا خالد، مرشداً روحياً فذا وعالماً دينياً واديبا وشاعراً بليغاً له رسائل وقصائد كثيرة بالعربية والكوردية وقصائد

كثيرة بالعربية والكوردية والفارسية، الى جانب تأليفاته وشروحاته واثاره الاخرى المختلفة في مجالات اللغة والادب والعقائد والتصوف والفقه ومكتوباته الفارسية والعربية المتعددة، وقد طبع ديوان اشعاره في اسطنبول بناء على امر سلطاني بهذا الخصوص.

جدير ذكره ايضاً، ان شيخنا الذي دأب على التدريس نهاراً والارشاد ليلاً، خرج على يديه العديد من المرشدين والخلفاء الذين واصلوا وأداموا نهجه الصوفي النقشبندي في كوردستان وخارجها ومنهم: الشيخ عثمان الطويلي، الملا عبدالله الجلي، الشيخ طاهر البامرني، الشيخ عبيدالله النهري، الشيخ فتاح العقري، الشيخ عبيدالله الحيدري، الشيخ هداية الاربلي، الشيخ موسى الجبوري والشيخ معروف التكريتي.

ويعد الشيخ عثمان الطويلي (سراج الدين الاول) ١٧٧٥- ١٨٦٧م الذي ناب محل مرشده مولانا خالد في كوردستان العراق عقب استقرار الاخير في الشام، احد ابرز اقطاب الطريقة النقشبندية في عموم كوردستان، وقد سبق له اللقاء والتعارف مع مرشده مولانا في ربوع السليمانية ثم التقاه مجدداً في رحاب الحضرة الگيلانية ببغداد (عام ١٢٢٦هـ) ونال اجازة الطريقة منه عام ١٢٣١هـ،كما رافقه في سفره الى دمشق (عام ١٢٣٨هـ) لكنه عاد بناء على أمر مرشده ومشورته الى السليمانية ليكون خليفته هناك ومرشداً لطريقته فواصل نهجه الصوفي القويم في تكيته (خانقاه مولانا خالد) بمدينة السليمانية ثم في ربوع هورامان (طويلة وبيارة ضمن حدود حلبجه)، وادام اولاده وأحفاده مهمته من بعده تباعاً

المرشد كاك احمد الشيخ

شيخ الفضائل والكرامات

هو الشيخ احمد بن الشيخ معروف النودهي والشهير عندنا باسم الحاج كاك احمد الشيخ، وكان فريد عصره ودهره جامعاً في شخصيته المهيبة بين العلم والعمل والزهد والتقوى واصول الشريعة والطريقة وقد طار صيته فبلغ بلاد الهند وارجاء السلطنة العثمانية واشتهر بكونه خادماً اميناً ومعيناً دائماً للمسلمين والمحتاجين والضعفاء اجمعين.



كاك أحمد الشيخ

ولد شيخنا عام ١٧٩٣م بالسليمانية وتربى ونشأ في حضرة والده الجليل ورعاية اسرته المباركة ونال تحصيله ودراسته في رحاب مدرسة الجامع الكبير الذائعة التي كان يدرّس فيها والده ويعاونه وقتذاك الملا محمود البير حسن؛ فبلغ مستوى فائقاً في تحصيله العلمي ونبغ كثيراً في علوم التفسير والحديث والفقه. وتدل تأليفاته وتعليقاته وآثاره الباقية على مستواه العلمي الرفيع الذي حظي به، كما انه تلقى عند والده الجليل الطريقة القادرية وتربى عليها تماماً حتى استخلفه فيها ووصل الى درجة الارشاد الكامل. والمؤكد ان آثاره وأحواله وأحوال اتباعه في التقييد بالشريعة الغراء والزهد والادب لخير دليل على كرامة حضرة كاك احمد الشيخ وفضائله الروحية والدينية والذي استطاع بسجاياه الطيبة ومآثره المشهودة أن يكون خير خلف لذلك السلف من سادات اسرة البرزنجية الكرام الذين قدموا خدمات عظيمة لاتنسى لديننا الحنيف وتراثه الفكري والروحي، ولاسيما فرع النودهي الذي ينتمي اليه شيخنا وحفدته العظام أمثال الشيخ سعيد وابنه المجاهد الشيخ محمود، ملك كوردستان.

واذا كان وفاة الشيخ معروف النودهي عام ١٨٣٧ قد ترك فراغاً كبيراً ووقعاً اليماً في ربوع السليمانية ومحيطه، فان نجله كاك احمد الشيخ وفق تماماً في سد ذلك الفراغ ومواصلة نهج والده الراحل في مجال التدريس وخدمة العلم والدين والارشاد ونشر طريقته القادرية التي واصلت تألقها وتأثيرها المضطرد في عهده، وحافظ الجامع الكبير ومعه مدرسته ومكتبته، على دوره العلمي والحضاري الريادي الذي عرف به في عهد والده.

ورغم ان انتهاء الحكم الباباني في السليمانية نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر[٨] ووقوع المنطقة تحت سيطرة الحكم العثماني المباشر كان ايذاناً بانتهاء بريق العهد السابق في حياة السليمانية وخارجها فان كاك احمد الشيخ استطاع بتأثيره ومهابته الروحية والاجتماعية وعلمه الغزير من اداء رسالته المعهودة في الحياة، وظل الجامع الكبير بفضله مركز اشعاع علمي وديني نير رغم المصاعب والظروف القاهرة التي سادت هناك طويلاً.

اتصف شيخنا بجملة من الخصال والمؤهلات الفريدة التي جعلته مرشداً عظيم المقام وعالماً طيب الذكر دوماً ونذكر من خصاله تلك؛ دوامه في خدمة المسلمين وعون المستضعفين واغناء وايواء المساكين وتدخلاته وتوسطاته المستمرة لدى الامراء والمسؤولين ودوائر الحكومة لصالح قضايا المواطنين وتسهيل معاملاتهم ورفع الحيف عنهم، وجهده الدائب في رعاية ودعم قراء ومجودي وحفظة القران الكريم وسعيه الحثيث في خدمة وتعظيم علماء الدين وطلاب العلم ورفع شأنهم في أعين الناس الذين اعتبروهم بمثابة ملائكة الارض كونهم حملة الشريعة الاسلامية السمحاء،

٨- سقطت الامارة البابانية فعلياً عام ١٨٤٧م عقب هزيمة جيش احمد پاشا أمام قوات نجيب پاشا والي بغداد العثماني عند منطقة (كوى - كويسنجق) وتم تعيين عبدالله پاشا (أخ احمد پاشا الباباني) بوظيفة قائممقام السليمانية عقب التاريخ المذكور وحتى عام ١٨٥١م حيث عزل واستبدل بشخص تركي.

وكذلك دأبه في نشر المواعظ الدينية والاجابة عن اسئلة واستفسارات المسلمين وفتاوي العلماء وبعث مكتوباته بواسطة تابعيه من اهل العلم الى الناس كافة على مختلف مستوياتهم وانتماءاتهم في اغراض العقائد والصلوات والصيام وسائر اركان الدين الاخرى. وأيضاً سعيه المشكور والحثيث للاصلاح بين الناس وتحقيق الوئام بين المتخاصمين، وكثيراً ما كان يقضي شيخنا اوقاتاً طويلة بغية التراضي بين شخصين اثنين او بين الزوجة وزوجها، وهناك حكايات كثيرة مشوقة بهذا الخصوص لا مجال هنا لذكرها.

ومن جهة اخرى فان شيخنا جدد معالم الطريقة القادرية بدوام الذكر والفكر وزجر مريديه عن مخالفة السنة والكتاب وبذل جهوده الجبارة في مجال تربية وتهذيب مريديه وطلابه وارشادهم الروحي والمعنوي. والحق انه كان مرشداً جليلاً للمسلمين وخادماً نادر المثال للناس اجمعين.

ومن بين مواقفه المشهودة التي حفلت بها حياته الجهادية التواقة لخدمة المسلمين في اصقاع الارض المختلفة نذكر سفره لاداء فريضة الحج في الديار المقدسة ومكوثه هناك ٤ سنوات كاملة باذلاً خلالها اقصى طاقاته في رعاية المسلمين عند المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة. كما أقام هناك في رحاب بيت الله بمكة المباركة مضيفاً لخدمة وايواء الحجاج الفقراء المعدمين الذين كانوا يلجأون اليه بدافع الحاجة. وعندما نشبت الحرب مع روسيا عام ١٨٧٧ جهز شيخنا قوة كبيرة من مريديه واتباع طريقته للجهاد والقتال بأمرة حفيده الشيخ سعيد جنباً الى جنب الجيش العثماني.

يجدر ذكره أيضاً، ان هناك قصصاً وحكايات عجيبة عن كرامات وخوارق كاك أحمد الشيخ بلغت شهرتها آفاقاً واسعة، وقد اشار ادموندز الى هذا الموضوع باهتمام ومنوهاً ايضاً بحكاية الـ(گولەبەند) حجاب - حاجز الرصاص - الذي كان يمتلكه الشيخ. فعندما بلغت مسامع السلطان عبدالحميد الثاني وعن طريق واليه في بغداد نامق پاشا انباء معجزات

الشيـخ وحكاية حجابـه الشهير، دعا (اي عبدالحميد) الشيخ الى زيارته في اسطنبـول، لكن الشيخ اعتـذر عن السفـر بسبب كبر سنه فارسـل نيابة عنه السيد محمد - مفتي السليمانية - ومعه الـ(گوله به ند - حجاب) ومكتوباً ضمنه نصحاً وارشاداً فاستقبله السلطان بغاية اللطف والاكرام.

توفي كاك احمد الشيـخ عـام ١٨٨٨م ودفن فـي مرقـده المبارك الكائن في الجامع الكبير بالسليمانية والذي اصبح منذ ذلك التاريخ مزاراً مقدساً يتوافد عليه الزوار من مختلف الأرجاء، وغدا الجامع المذكور مبعثاً لإثارة ذكـرياته العـطرة وافعـاله الطيـبـة التي يفـوح شـذاها مع عـبق الورود والبساتين في مدينة السليمانية السـاحرة، ونشير من بين آثاره المكتـوبة الخـالدة الى إرشـاداتـه ومكتـوباته الـذائعـة التي قـدمـهـا للقـراء الكورد العـلامـة عـبـدالكريم المدرس باسم مكتـوبات كـاك احـمـد الشـيـخ والبـالغ عددها مائة مكتوب.

الشيخ محمد عثمان النقشبندي

المرشد التقي الامين

يعد المرشد التقي الشيخ عثمان سراج الدين الثاني المولود عام ١٨٩٦ (١٣١٤م) أحد أقطاب الطريقة الصوفية النقشبندية العظماء وآخر شيوخها الراحلين الكبار والتي خدمها حضرته باخلاص طيلة سنوات عمره الطويل الحافل بالارشاد والورع والجد والجهاد.

نشأ شيخنا في بيت باركه الله تعالى بالايمان والعلم والادب وتعلق منذ صغره بجده الكريم وقطب زمانه الشيخ عمر ضياء الدين (١٢٥٥-١٣١٨هـ) الذي أحب حفيده الصغير حباً لايوصف وغمره بعنايته وعطفه وكأنه أدرك بحدسه السليم وبصيرته المنورة بأن شأناً عظيماً ينتظر حفيده العزيز.

وعندما رحل الجد الكبير الى مثواه الأخير فان الحادث المفجع ترك أثراً اليماً عميقاً في نفس حفيده الذي كان في الرابعة من عمره وظلت مظاهر الاسى التي عمت افراد اسرته وسائر الاتباع والمريدين من المشاهد الاليمة التي ظلت في مخيلته ردحاً طويلاً من الزمن.

وكان والده المرشد التقي الشيخ علاءالدين (١٢٨٠- ١٣٧٣هـ) حريصاً على رعاية ابنه النابغ واعداده ليكون المرشد الامين الحافظ على النهج الذي سلكه سلفهم العظيم وعليه الحقه والده مع شقيقه ورفيق دربه الشيخ مولانا، وهما في سن صغيرة، بالمدرسة الدينية في بياره ونالا هناك ثم في ربوع (دوروه) الواقعة في الجانب الايراني قسطاً وافراً من العلوم الاسلامية المتنوعة وقواعد وأداب اللغة العربية وسائر المناهج والدروس المتداولة.

ومثلما كان والدهما التقي حريصاً على تعليمهما مع سائر الطلاب واسوة بهم فأنه اوعز أيضاً باقامتهما ومبيتهما في خانقاه (تكية) بياره ضماناً لسلامة اعدادهما وتكيفهما على حياة البر والتنسك.وسط



الشيخ عثمان و الملك الحسين بن طلال

المريدين، ولم يسمح لهما في تلك السن المبكرة من حياتهما بمبارحة ذلك المكان المهيب.

وهكذا نشأ وترعرع شيخنا عثمان في ظل ارشادات والده الشيخ علاء‌الدين محققاً النجاح والترقي في مراتب التدريس وآداب الطريقة والسلوك والتعبد، وحظي بكامل ثقته وثنائه وهو في ريعان الصبا، ثم اوصي من قبله بالاشراف على بيتهم وخانقاهم في (دورو‌ه) ورعاية شؤون مريديهم هناك. واجمالاً كانت فترة شبابه حافلة بالجد والكد والجهاد ونذكر من مواقفه المشهودة في تلك الفترة مشاركته مع سائر الاتباع والمريدين في الجهاد ضد الروس وهو لم يتجاوز ١٨ عاماً.

وعقب وفاة والده الجليل ناب محله شيخنا عثمان ونهض بجدارة بمهام الارشاد خادماً للعلم والدين والفقراء والمساكين باذلاً ماله ووقته وراحته في خدمة الضيوف والمنسوبين، ثم سافر بعد سنوات معطاء، من بياره الى دورو‌ه مجدداً نهاية الخمسينات ليواصل رسالته المباركة في الارشاد والتعليم فبنى في قرية (محمود آوا) القريبة، تكية جديدة والتف حوله عدد كبير من العلماء والفقهاء النابغين. كما شغف شيخنا على دأب

والده الراحل بالحياة العملية فشق الجداول واقام القناطر والبساتين جاعلاً من (دوروه) و (محمود آوا) منطقتين عامرتين بالخير على مدار الفصول.

عاد الشيخ عثمان الى بياره عام ١٩٧٩ وأقام فيها على نهجه المعهود وعطائه الخير لصالح المسلمين، لكن الحرب العراقية - الايرانية التي اندلعت عام ١٩٨٠ وعمت حدود البلدين وبضمنها منطقته، جعلته يتوجه الى بغداد حيث التفت حوله حشود مريديه الذين وفدوا من كل حدب وصوب. كما كانت فاجعة حلبجة الاليمة عام ١٩٨٨ وخراب ديارها وبضمنها بياره وطويلة وتشرد اهلها، صدمة مؤلمة للشيخ الذي سارع الى اعلان نصرته لابناء حلبجة المشردين ودعم قضاياهم بكل السبل المتاحة. ويبدو ايضاً ان ذلك الحادث الاليم كان من الاسباب الرئيسية التي دفعته الى مغادرة الوطن والاقامة في الغربة لاحقاً. يذكر انه وقبل الشروع بذلك حرص على زيارة مراقد الاصحاب الاطهار قرب سلمان پاك ومعه حشود اتباعه من مختلف الجنسيات والبلدان بتاريخ ١٩٨٩/٣/٢١ فتضرع هناك الى الباري تعالى داعياً منه نصرة اهله المشردين (اهل حلبجه وتوابعها)وتسهيل عودتهم الى وطنهم العزيز. بعدئذ غادر شيخنا الى الاردن ثم تركيا التي اختار فيها اسطنبول محلاً لاقامته الاخيرة فشيد هناك تكية (خانقاه)ومدرسة دينية وكما فعل ايضاً في لبنان والاردن وغيرهما.

كرس شيخنا سنواته الاخيرة في اسطنبول للارشاد والتقوى وخدمة الزائرين، واصبحت داره وخانقاه ملاذاً رحباً للكثيرين وبالاخص من المعوزين الذين كانت تنقطع بهم السبل في ديار الغربة.

زار شيخنا الاردن للمرة الاخيرة عام ١٩٩٦ وحظي بحفاوة بالغة من لدن العاهل الاردني الراحل (الملك حسين) الذي كان يكن للشيخ مودة عظيمة، فاعلن الملك حسين للشيخ عن استعداده لاعمار الاماكن المقدسة في بيارة وطويلة وعلى حسابه الخاص، لكن شيخنا شكره على هذا العرض النبيل مؤكداً بانه سيتكلف بذلك شخصياً وهذا ما تحقق فعلاً،

دما كان جلالته دائم الاتصال بأسرة الشيخ اثناء مرضه الاخير وحريصاً على معرفة وضعه الصحي، واستعداده لتقديم مايلزم بهذا الصدد، ساءت قدرة الرحمن ان يرحل الشيخ عثمان عن الدنيا في اسطنبول بعيدا عن الاهل والوطن بتأريخ ١٩٩٧/١/٣ (١٤١٧هـ) وعن عمر طويل وثري تجاوز قرناً من الزمن وكان شقيقه الشيخ مولانا قد سبقه في الوفاة بيوم واحد (في ايران).

وبرحيله فقد شعبنا الكوردي والعالم الاسلامي شخصية فذة ومرشداً وعالماً واديباً مبدعاً حقاً، وكانت مجالس العزاء التي اقيمت له في العديد من الارجاء والحداد الرسمي الذي اعلن هنا بالمناسبة في كوردستان العراق خير تقدير وتعظيم للمرشد الراحل الذي غدا ضريحه فس اسطنبول مزاراً مباركاً يتوافد عليه الزائرون من اصقاع الأرض المختلفة.

وأضافة الى ماذكر كان شيخنا الراحل عالماً حكيماً في مجال الطب البدني والنفسي والمداواة بالاعشاب الطبية ونبغ في أساليب الطب الشعبي وعلى دأب والده الشيخ علاءالدين. ولم تنحصر اثاره الشاخصة الباقية في التكايا والمدارس الدينية والمساجد التي بناها وعمرها بل ان مؤلفاته المطبوعة ومنها كتابه سراج القلوب ومؤلفاته الشعرية الصوفية في جزئين ورسائله المتنوعة تعد هي الاخرى ارثاً قيماً يحظى بالثناء والتقدير دوماً.

وختاماً نقول إن ما اخترناه وقدمناه في سياق موضوعنا هذا عن الطريقتين القادرية والنقشبندية وشيوخهما في كوردستان العراق يعد نزراً من سفر شيوخنا وعلمائنا الاكارم الذين نكن لهم جميعاً وعلى اختلاف توجهاتهم ومناهجهم الصوفية السديدة كل الاجلال والود والتبجيل.

ريج، سون، أدموندز

واستذكارات عن جولاتهم ومشاهداتهم في كوردستان

شغلت ارجاء كوردستان المختلفة، عبر القرون والاحقاب الماضية، اهتماماً متواصلاً و ملفتاً للنظر من لدن الرحالة والباحثين والسياح والمبشرين الاجانب لاسيما الاوربيين منهم، والذين زاروا وتفقدوا بلادنا خلال فترات زمنية متعاقبة خلت ودونوا عنها حصيلة مذكراتهم ومشاهداتهم المختلفة التي ضمتها نتاجاتهم المتعددة من كتب رحلاتهم وبحوثهم ومذكراتهم التي تعد مراجع علمية وتأريخية واركيولوجية قيمة عن وطننا ، وهي ماتزال تحتفظ لحد يومنا هذا بقدر متعاظم من اهميتها ورواجها رغم تقادم الزمن عليها وتحظى باهتمامات الدارسين والمتتبعين على اختلاف مستوياتهم، وامزجتهم. وبغض النظر عن انسياق عدد كبير من هؤلاء وراء الاطماع والمخططات الاستعمارية لبلدانهم في بلادنا، وعلى دأبهم في سائر اوطان الامم المغلوبة على امرها ، وسعيهم الدؤوب الى إخفاء الدوافع الحقيقية لمهامهم ورحلاتهم والتغطية عليها بستار اهدافهم ومقاصدهم العلمية والسياحية والدينية المعلنة، فأن هؤلاء انجزوا مؤلفات هامة للغاية عن تاريخ بلادنا وتضاريسها المتنوعة وطباع اهلها ولغتهم وتراثهم القومي والحضاري والديني العريق. وهذه المؤلفات تكتسب غالباً أهميتها القصوى بسبب تعدد وتنوع مواضيعها التي غطت اكثر مجالات الحياة عندنا وخلال فترات من تاريخنا تكاد تكون وقائعها وتفاصيلها في طي المجاهيل الحالكة.

وتعد رحلة الصائغ الباڤاري يوهان شلتبيرگر (١٤٧٣م) أول رحلة ورد فيها اسم الكورد. وتبعه لاحقاً الجوالون السياح الذين نذكر منهم: اوليا چلبي (١٦٣م) «الى جزيرة بوتان»، نيپور (١٧٦٦م) والقسيس فيدليس (١٧٨٤م).

وشهد القرن التاسع عشر نشاطاً ملحوظاً في هذا السباق حيث استقطبت بلادنا عدداً كبيراً من الرحالين والباحثين المعروفين أمثال وليم هود (١٨١٧م)، روبرت كرپوتر (١٨١٨م)، ج. ب. فريزر (١٨٣٤م) فيليكس جونز (١٨٤٢م)، المبشر الراهب أن غروفز (١٨٢٩م)، مانسل (٨٨٨م)، بورهارد (١٨٩٦م) وكذلك المستر ريچ (١٨٢م) (الذي سنتطرق اليه لاحقاً).

وفي السنوات التي سبقت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) زار كوردستان جمع من العلماء الالمان الافذاذ كالبروفيسور اوسكارمان والپروفيسور فون لكوك والپروفيسور اوگست پيترمان والپروفيسور مارتين هارتمان الذين جمعوا معلومات قيمة عن لغة وآداب وتراث الكورد ونقلوا معهم الى بلادهم مخطوطات نادرة بهذا الصدد. كما جاب كوردستان والمنطقة خلال الربع الاول من القرن الماضي عدد آخر من الخبراء والباحثين قدموا نتائج قيمة عن رحلاتهم ودراساتهم المعمقة في الاماكن التي زاروها ومكثوا فيها لفترات احياناً، ونشير من بينهم ايضا الى؛ سون (١٩٠٩م) هابرد (١٩١٤م)، رايدر (١٩١٣-١٩١٤م)، ف منورسكي (١٩١٤م)، ادموندز (١٩١٩ -١٩٢٥م).

ومن جانبنا ارتأينا وفي سياق جهدنا المتواضع هذا الوقوف عند سير موجزة لثلاثة من الباحثين البريطانيين البارزين الذين مكثوا وعاشوا في العراق طويلاً بحكم وظائفهم ومصالح بلادهم الاستعمارية وتفقدوا كوردستان في ظروف مختلفة واقاموا فيها ردحاً من الزمن. وكانت حصيلة تواجدهم في كوردستان والعراق مؤلفاتهم الذائعة الثلاثة التي نغني موضوعنا هذا بالعديد من اللمحات والاقتباسات المختارة منها

وهؤلاء هم المستر ريج C.J Rich والميجرسون B.Soane وادموندز C.J. Edmonds أصحاب كتب (قصة اقامة في كوردستان وفي موقع نينوى القديمة) «في جزئين» ورحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكوردستان» «في جزئين» و (كرد وترك وعرب)، وقد نقل الكتاب الاول الى العربية اللواء بهاء الدين نوري بعنوان رحلة ريچ في العراق (١٨٢م) ونقله الى الكوردية منه الاديب محمد حمه باقي وترجم الكتاب الثاني الى العربية الاستاذ فؤاد جميل فيما ترجم الثالث الى العربية المحامي جرجيس فتح الله[١]

١- كلوديوس جيمس ريج (١٧٨٧- ١٨٢١م)



كلوديوس جيمس ريج

نشأ ريچ الفرنسي المولد وترعرع في ربوع مدينة بريستول الانكليزية التي انتقل اليها صغيرا مع اسرته، وكانت علامات النبوغ والذكاء بادية عليه منذ نعومة اظفاره وهو يطلع على المبادىء الاساسية للغتين اليونانية واللاتينية. وعندما بلغ عمره الثامنة وقع نظره يوما على مخطوطة عربية عند احد اشراف بريستول أثارت فيه شغفه التام باللغة العربية ودفعته للالمام بأسرار الشرق عامة. ثم وفق بجهوده الشخصية وباعتماده على بعض المصادر المتيسرة لديه ان يتعلم القراءة والتحدث بهذه اللغة (العربية) وكذلك الالمام بعدد من اللغات الشرقية الاخرى والتعمق فيها[٢]

١- تعرف هذه الكتب غالبا باسماء مؤلفيها التي طغت على عناوينها الاصلية، فيقال كتاب ريچ وكتاب سون وكتاب ادموندز

٢- ومن هذه اللغات، اللغة الكوردية التي كان يتحدث بها ريچ اثناء رحلته في كوردستان.

سنحت الفرصة لريج عام (١٨٠٣م) بتحقيق حلم طفولته بالوصول الى الشرق، عندما افلح وبمساعدة احد زملائه في التعيين لدى شركة الهند الشرقية بصفة تلميذ حربي، لكن مقدرته الفذة في اللغات الشرقية دفعت المعنيين بأمور الشركة في لندن الى تبديل وظيفته من السلك العسكري الى المدني واسندوا اليه وظيفة كاتب تحريرات في بومباي. ولكي يتقن ريج العربية والتركية اكثر، الحق اولاً بسكرتارية المستر (لوك) الذي كان يتوجه حينذاك الى القاهرة بصفته سفيراً للحكومة البريطانية هناك. وبينما كان ريج مسافراً عام (١٨٠٤م) وعلى متن سفينة شحن اسمها (هندستان) ليلتحق بالمستر (لوك) شبت النيران في السفينة المذكورة قرب السواحل الايطالية، لكن ريج وبحارة السفينة المنكوبة تمكنوا من النجاة والوصول الى البر بسلام، ثم وفق (اي ريج) في الاقامة بايطاليا ردحاً من الزمن فتعلم لغتها ودرس الموسيقى فيها.

وقبل التحاق ريج بمقر عمله المرتقب توفي المستر (لوك) فخيره مسؤولو الشركة في اختيار الوجهة التي تناسبه، فوجد ريج الفرصة سانحة لزيارة اليونان واسطنبول ثم ازمير التي استزاد فيها من اللغة التركية والمعارف الاسلامية. وجاب آسيا الصغرى قبل انتقاله عبر قبرص الى الاسكندرية، فعين مساعداً للسفير البريطاني في مصر الكولونيل (ميسيث)، ثم اتيحت له الفرصة لاحقاً لزيارة الشام فالحجاز، بعدئذ عاد الى دمشق وحلب، فسلك طريق ماردين - بغداد قاصداً البصرة ومنها الى بومباي حيث اقام.

وعندما اقتضت مصالح بريطانيا تعيين مقيم لها في بغداد باعتباره ممثلاً لشركة الهند الشرقية، وقع الاختيار على ريج لهذه المهمة باعتباره الشخص الانسب لها. وهكذا انتقل (بعد زواجه بفترة وجيزة) الى بغداد عام (١٨٠٨م)، وكانت حدود وظيفته تمتد الى البصرة ايضاً، فاستطاع بحنكته ودهائه ومقدرته الفذة ان يخدم مصالح بلاده السياسية والاقتصادية في العراق ويوطد علاقاته الشخصية مع الولاة الترك،

سائر الاشراف والمسؤولين. وللتدليل على مركزه الاجتماعي الكبير في بغداد نذكر بأن داره غدت ملاذاً آمناً للولاة والحكام المدحورين الذين كانت تطيح بهم الانقلابات والمؤامرات المتكررة.

استغل ريج اقامته في العراق لاجراء البحوث والدراسات والتنقيبات وتفقد المواقع الاثرية في المنطقة، كما دأب كثيراً على جمع المخطوطات المتعلقة بالشرق والكثير من المنحوتات والعملات والقلائد القديمة وغيرها يدفع من اجلها بسخاء.

سافر ريج مع زوجته عام (١٨١٣م) الى اوربا عبر اسطنبول، واثناء عودته من هناك الى بغداد اجرى في طريقه العديد من البحوث والتنقيبات وبالاخص في كنائس السريان والكلدان. وجمع معلومات عدة عن مناطق الايزديين.

وبعد ان قضى سنوات في بغداد استغلها في مهامه الوظيفية وزيادة مقتنياته من المسكوكات الاسلامية والساسانية والرومانية، قرر ريج التواق الى السفر دوماً زيارة كوردستان العراق عام (١٨٢م) بدعوى الترفيه ومقتضيات وضعه الصحي وقضاء الصيف الحار هناك. واثناء عودته من كوردستان مر بالموصل وتفقد الاثار القديمة التي لم يتسن له سابقاً رؤيتها ومشاهدتها.

وبينما كان ريج يهيأ نفسه لمنصب جديد في بومباي كان قد عين له من قبل حاكمها العام، هوجم مقر وظيفته بدسيسة الوالي العثماني، لكنه تمكن من التصدي للجهوم بقوة السلاح. ثم سافر الى البصرة منتظراً الاوامر الصادرة اليه بشأن مهمته التالية، فأستغل فترة بقائه هناك لزيارة (شيراز) والاطلاع على خرائب كورش وپرس پولص فصادفت زيارته - لسوء حظه - انتشار وباء الكوليرا الذي أهلك الكثيرين وأجبر حاكم شيراز وأهلها الى مغادرة مدينتهم المنكوبة. وفي ٤ تشرين الاول (١٨٢١م) بانت اعراض الوباء المميت على ريج الذي توفي في اليوم التالي ودفن جثمانه في احدى الحدائق الملكية هناك واقيم له نصب

تذكاري تخليداً له، تاركاً من بعده بحوثه ومذكراته الشيقة ومجموعة كبيرة من المخطوطات الشرقية وعملاته وقلانده النادرة... التي اشتراها فيما بعد البرلمان البريطاني لمصلحة المتحف البريطاني وهي ما تزال محفوظة هناك. وقد اضطلعت ارملته بطبع كتاب مذكراته القيم المذكور في عام (١٨٣٦م).

ريج في ضيافة الاسرة البابانية بالسليمانية (١٨٢٠م)

غادر المستر ريج تصحبه زوجته وبطانة ضخمة من مستخدمي وحراس وموظفي المقيمية البريطانية، غادروا بغداد في شهر نيسان ١٨٢ قاصدين السليمانية بناء على دعوة الامير الباباني محمود پاشا وكان الغرض المعلن من سفرهم هو للترفيه والسياحة، لكن المرجح ان الرحلة كانت تخفي دوافع ومقاصد خفية خاصة بالمستر ريج نفسه [٣]

سلك ريج واصحابه طريق دلي عباس - كفري - طوزخورماتو - طاوق - ليلان - چمچمال حتى بلغوا مشارف السليمانية عند سرچنار واقاموا فيها للراحة والاستجمام قبل دخولهم عاصمة البابانيين وقوبلوا هناك في ذلك الموقع الجميل العامر بالينابيع والجداول العذبة الاخاذة، باستقبال حافل من قبل أركان الامارة البابانية الذين وفدوا لاستقبال ضيوفهم تباعاً وبضمنهم الامير الباباني نفسه. وفي ١٠ أيار صحب عثمان بگ شقيق الامير ضيوفه الى قلب المدينة في موكب رسمي بهيج كانت تعلوه الاعلام وتصحبه أصوات الطبول والموسيقى الصادحة.

واجمالاً لقي ريج وأصحابه أبهى اشكال الضيافة الكوردية الاصيلة من لدن الامير وأسرته الحاكمة ورئيس وزرائه (محمود مصرف) وسائر وجهاء السليمانية، طيلة اقامتهم في السليمانية لأكثر من ٣ أشهر وعلى مرحلتين. دامت الاولى الى منتصف تموز ثم سافروا صوب كوردستان

٣- يحكى بأن تردي العلاقات بين داود پاشا (والي بغداد) وريج وسعي الاول الى التدخل في شؤون الثاني كان السبب المباشر للرحلة، وقد أقرت زوجة ريج (ولها مذكراتها عن الرحلة) بأن داود پاشا كان يرتاب في أمر هذه الرحلة أصلاً.

السرقية فبلغوا مريوان وسنه - سنندج - وبانه باحثين عن طقس ابرد ثم عادوا اواسط ايلول الى السليمانية واقاموا فيها ثانية لغاية ٢١ تشرين الاول.

بعدئذ استأذن الضيوف* من مضيفيهم بالرحيل وساروا عبر دربندي بازيان، شوان ثم التون كوپري باتجاه اربيل ومنها الى أسكي كلك قاصدين الموصل التي قضوا فيها اشهر الشتاء قبل ان يعودوا عن طريق دجلة (بالكلك) الى بغداد، مقر اقامتهم، في شهر آذار (١٨٢١م)[٤]

كانت اقامة ريج في السليمانية اخصب فترات رحلته وأمتعها بالنسبة اليه وقد تسنت له خلالها فرصة الاطلاع التام على السليمانية وارجائها المجاورة ودراسة بيئتها وتاريخها ومعالمها الحضارية والعمرانية ونشاطاتها الاقتصادية والتجارية والظروف السياسية السائدة فيها.

قدر ريج عدد سكان السليمانية في تلك الفترة بعشرة الاف نسمة وعدد بيوتها بـ ٢١٤٤ بيتاً بضمنها ١٣ بيتاً للهيود و٩ للمسيحيين الكلدان الذين كانوا يمتلكون كنيسة صغيرة خاصة بهم و ٥ للارمن هذا اضافة الى ٥ خانات و٥ حمامات فضلاً عن المساجد والمباني الخاصة بدار الامارة وامرائها[٥]

والواضح أن الطابع شبه المستقل الذي حظيت به الامارة كان متزعزعاً ومتأرجحاً بفعل تدخلات الترك والفرس في شؤون الاسرة الحاكمة ومكائدهم ودسائسهم المغرضة التي خلقت التناحر والتباغض بين آل بابان وبالشكل الذي فرض جواً قاتماً على السليمانية، لكن ذلك الواقع السلبي لم يمنع ريج من ايراد وصف دقيق وآخاذ للبلاط البابانى ورجاله ومظاهر

٤- بدأت الرحلة في نيسان ١٨٢٠ وانتهت في آذار ١٨٢١ وبضمنها ٧ أشهرتقريباً في كوردستان بقسميها (الجنوبي والشرقي).

٥- اورد المنشيء البغدادي وهو الكاتب الفارسي لريج واحد اصحابه في الرحلة ارقاماً اكبر من تقديرات ريج بهذا الشأن، وقد ورد ذلك في كتاب (رحلة المنشيء البغدادي) الذي ترجمه عن الفارسية عباس العزاوي.

الحياة الاجتماعية السائدة هناك بحفلات اعراسها ومراسم مآتمها وفعالياتها الرياضية التي كادت تكون يومية كاللعب بالسيف وأصابة الهدف بالرصاص وقتال طيور القبج والمصارعة والفروسية والدبكات الشعبية الراقصة وغيرها.

والواقع ان اعجاب ريج بمضيفيه الكورد بلغ حداً ملفتاً وهو يشيد بسجاياهم الطيبة وأمانتهم وكرمهم المفرط وشهامتهم وشجاعتهم وبساطتهم ووفاء مرؤسيهم لرؤسائهم وقت الشدائد والمصائب. كما اشاد ايضا بالمنزلة الرفيعة للمرأة الكوردية والحرية الكبيرة التي كانت تتمتع بها بالقياس الى المرأة العربية والتركية والفارسية، ولم يفت ريج ايضا الثناء على خلقها وعفتها وطهرها[٦] واشاد ريج بالقدر نفسه بالحرية التي كان يحظى بها الشباب الكورد في حضرة آبائهم وطابع الانفتاح والبشر الذي كان يسود مجالس القوم ويضمنها مجلس الامير الباباني نفسه.

وكان ريج بارعاً دقيقاً في وصف تفاصيل الحياة اليومية لسكان العاصمة البابانية وبعض مظاهر عمرانها المميزة ولاسيما الحمام الرئيسي في المدينة الذي عده نموذجاً فريداً في نظافته وبنائه ومتفوقاً على جميع حمامات الشام والقاهرة واسطنبول وسائر ارجاء الامبراطورية العثمانية.

وعلى العموم عاش ريج واصحابه اياماً سعيدة في ربوع السليمانية رغم المضايقات التي كانت تخلقها لهم الرياح الشديدة الحارة «ره شه با - الرياح السوداء»[٧] والاوضاع الاليمة الناجمة عن استفحال مرض

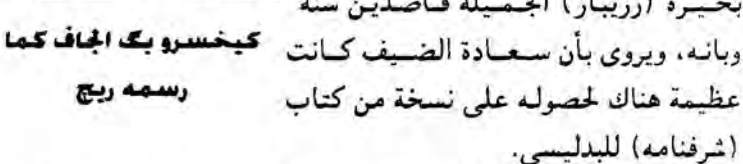
٦- أشار ريج في مذكراته أيضاً الى موضوع سفر والدة الامير محمود پاشا الى بغداد والاحتفاء بها من قبل والى بغداد وتكريمها بمنحها منطقة (قره حسن) والموافقة على اعادة حسن بگ الشقيق الاصغر للامير الى السليمانية والذي كان قد فر الى بغداد قبل عام.

٧- رەشەبا: بمعنى الرياح السوداء وهي حارة صيفاً وزمهرير شتاء: وتهب من الشرق وتشبه رياح (الشرجي) في الجنوب و(الخماسين) في مصر.

الجدري الذي اودى بحياة العديد من الصغار ومن بينهم احد ابناء الامير نفسه وابن شقيقه عثمان بگ، وذلك رغم الاحتياطات والاجراءات التي اوصى باتخاذها ريچ وزوجته في هذا المجال.

ولعل مضيفه الامير محمود پاشا كان واحداً من اعظم الرجال الذين قابلهم طيلة حياته، وهو الذي أشاد ريچ كثيرا بكرمه المفرط وسماحته الكبيرة وعقله الراجح وورعه البالغ وعطفه اللامحدود واصفاً اياه بانه رجل نادر المثال في الشرق بل وحتى في المجتمعات الراقية المتمدنة، وقد علل ريچ سبب تعلق الامير بالحكام الترك، ورغم كل فظاظتهم وسلبياتهم تجاه حكم اسرته، باحساسه الديني العميق.

وكان الامير مستاءً من الوضع الداخلي المتأزم لاسرته الحاكمة وهو الذي اكد لضيفه العزيز على قلبه (ريچ) بأن نهوض الحكومة البابانية أمر مستحيل الا ان يسلط الله طاعوناً على امرائها يفتك بهم ولايترك منهم سوى شخص واحد!



كيخسرو بگ الجاف كما رسمه ريچ

كما حظي ريچ واصحابه بحفاوة بالغة ايضا من لدن أمير الجاف كيخسرو بگ الذي سبق لريچ ان تعرف عليه في السليمانية فقد هب هذا الامير القبلي الكريم واولاده وحاشيته لاستقبال هؤلاء (ريچ وجماعته) وهم يمرون بمضارب عشيرته الصيفية عند سهوب مريوان قرب بحيرة (زريبار) الجميلة قاصدين سنه وبانه، ويروى بأن سعادة الضيف كانت عظيمة هناك لحصوله على نسخة من كتاب (شرفنامه) للبدليسي.

والواضح ان افضال الكورد وطيبتهم تركت اعظم الاثر في ذهن ريچ الذي كتب عنهم بضمير حي وامانة وصدق واعداً بتخليد ذكراهم طيلة

عمره، لكن الاجل لم يمهله لينعم باستذكار تلك الايام الحلوة المشوقة التي عاشها في ضيافة الكورد، حيث توفي بعد عام تقريباً من تلك الرحلة الشهيرة الخالدة.

٢- الميجر سون (١٨٨١- ١٩٢٣م)


الميجر سون

يعد الميجر ايلي بانستر سون احد ابرز الرحالة الذين جابوا بلادنا على مر العصور وهو صاحب الرحلة التنكرية الشهيرة التي انتحل فيها شخصية المرزا غلام حسين الشيرازي ليخفي شخصيته الانكليزية والمهمة الاستطلاعية (التجسسية) التي نفذها وتكيف من أجلها لكل الظروف والاحوال، وهو القائل «ان الكوردي مقدام شجاع ودائماً».

ولد (سون) بلندن وتعلم ونشأ هناك في كنف اسرته الانكليزية العريقة، ثم ارسل الى ايران عام ١٩٠٢ ليعين محاسباً في البنك الشاهنشاهي الايراني، ثم زار (يزد) التي اقام وتعلم الفارسية فيها وشرع يترجم رباعيات الخيام الى الانكليزية، وانتقل بعد ذلك الى بوشهر ثم شيراز التي اعتنق الاسلام فيها على المذهب الجعفري وقيل انه تزوج هناك أيضاً، وعمل في عام ١٩٠٦ مديراً لفرع البنك المذكور في كرمنشاه وشرع هناك يتعلم الكوردية والاطلاع على شؤون الشعب الكوردي، ثم استقال من الوظيفة عام ١٩٠٧م عائداً الى بلاده التي رجع منها مجدداً بعد امد قصير لينفذ رحلته الشهيرة (١٩٠٩م) التي جاء في اعقابها الى المحمرة فالحق بخدمة شركة النفط الانكلو - فارسية.

وبعد اشهر عين (سون) مشرفاً على ابار النفط في چياسرخ قرب خانقين، فنائب قنصل فخري في قصر شيرين ١٩١٣م، وعندما اندلعت

الحرب الكونيـة الاولى اسره الترك ونقلوه الى مرسين، وعاد بعد اطلاق سراحه الى محل عمله السابق، وجيء به عام ١٩١٦م ليخدم في الحملة البريطانيـة على العراق فعمل في دائرة استخباراتها رئيساً لتحرير صحيفتها (بصرة تايمس)[٨] واوفد بعدها الى مناطق البختيارية الايرانية فوفق بمعاونة عدد قليل من الرجال الكورد هناك بالقضاء على النشاطات الموالية للترك والالمان. تقلد (سون) بعد ذلك وظائف متنوعة وهامة في ديزفول، بغداد، مندلي وخانقين وارسل بعدها الى استراليا للعلاج من اغراض السل التي بانت عليه وقضى هناك ٦ أشهر فعاد منها ليعين عام ١٩١٩م حاكماً سياسياً[٩] على السليمانية الساخطة على الانكليز فاحكم سيطرته عليها بسياسته الجامعة بين الحزم واللين والترغيب والترهيب معاً، وساعدته في مهمته مقدرته المتميزة في اللغة الكوردية وثقافتها وآدابها والمامه الواسع بشؤون شعبنا، هذا اضافة الى اساليبه الاستعمارية الطموحة والمتمثلة بفتح الطرق والمدارس وتشجيع الثقافة الكوردية.

أعيد سون الى بلاده عام ١٩٢١م فواصل العمل في تنظيم قاموس كوردي حفظت مخطوطته في معهد الدراسات الشرقية بلندن، ثم توجه بناء على نصح الاطباء الى بنزرت التونسية بقصد الاستشفاء فتوفي اثناء عودته الى بلاده وهو على متن احدى السفن (٢٤ شباط ١٩٢٣م).

بدأ (سون) رحلته الشهيرة في بلادنا عام ١٩٠٩م وقد حظي منذ مستهلها بحفاوة بالغة من لدن اهلنا في قرية صغيرة ومنعزلة بكوردستان الشمالية عندما ذبحوا له افضل دجاجة لديهم وزودوه بالكثير من الزاد وبالشكل الذي رسخ عنده انطباعه الايجابي عنهم، واصفاً اياهم بأنهم

٨- كانت صحيفة انكليزية، عربية اضاف اليها (سون) قسماً فارسياً.

٩- اورد الاستاذ جرجيس فتح الله في مقدمة ترجمته لكتاب ادموندز «كرد، ترك، عرب» ان الكتاب عندنا دأبوا على ترجمة تعبير Polittucal Officer بالحاكم السياسي، لكنه «أي الاستاذ جرجيس» فضل ترجمته بالضابط السياسي كونه ادق واوفى بالغرض

(اي الكورد) طلائع شعب عظيم يشغل رقعة من الارض مساحتها ٢٥ الف كم من الاميال المربعة.

وصل (سون) الموصل قادماً بالكلك من (دياربكر) عن طريق نهر دجلة وبدأ رحلته في كوردستان بالاطلاع على مناطق الايزديين التي قدم عنها معلومات هامة وانتقل عبر اربيل وكركوك الى مناطق الشوان ثم الهموند الذين نوه بشجاعتهم وبسالتهم وبأسهم وتمرداتهم الدائمة على العثمانيين الذين دأبوا من جانبهم على قمع المتمردين الهموند ونفيهم ومعاقبتهم.

تعرف (سون) في السليمانية على عثمان پاشا الجاف، امير الجاف المعروف وقائمقام حلبجة وقدم نفسه اليه باعتباره تاجراً فارسياً راغباً في زيارة حلبجة، فدعاه الپاشا الى ذلك، وبالفعل قصد (سون) حلبجه ماراً بشهرزور، وحظي بالترحاب والحفاوة من لدن اسرة عثمان پاشا الارستقراطية النبيلة ولاسيما زوجته النابغة عادلة خانم وابنهما الشاعر المعروف طاهر بگ الجاف[١٠] وهو يقدم نفسه اليهما باعتباره كاتباً وتاجراً فارسياً يدعى (غلام حسين الشيرازي).


عادلة خانم

دامت اقامة (سون) في حلبجه اكثر من ستة أشهر وهي من اسعد ذكريات حياته حيث عمل خلالها سكرتيراً للسيدة ومعيناً لابنها الشاعر (طاهر بگ)، فيقول ادموندز بهذا الصدد أن الذ صحائف كتاب سون الشهير (كتاب رحلته) ربما هي التي أتت الى وصف اقامته في حلبجه عند اسرة الپاشا المعروفة والتي شغلت حيزاً

١٠- أخطأ سون بذكره ان طاهر بگ هو ابن زوج عادلة خان، والصحيح هو ان طاهر بگ ابن السيدة عادلة من زوجها عثمان پاشا وهو شقيق الشاعر احمد مختار الجاف وعزت بگ.

كبيراً من ذلك الكتاب.

والملفت أن هناك تضارباً واضحاً بين ما اورده (سون) وبين ماذكر في بعض المصادر[11] بشأن مغادرته لحلبجه، فيذكر هو بأنه غادر المنطقة طواعية بعد انتهاء مهمته وجاهدت عادلة خان (وكذلك طاهر بگ) لابقائه دون جدوى، فيما يذكر غيره بأنه غادر حلبجه بعد ان اطلع (طاهر بك) على حقيقة شخصيته الانكليزية ومهمته التي قدم من اجلها وتقول الرواية: ان الرجلين دأبا على التحدث في الامور الخاصة بينهما بالفرنسية التي كانا يعلمان شيئاً منها، وفي احد الايام زل لسان سون بلفظة (NO - كلا) الانكليزية فخلص طاهر - المرتاب اصلاً في شخصية محدثة (غلام حسين)- أن الرجل الانكليزي، وبعد الحاحه عليه، أخبره (سون) بالحقيقة فطلب منه طاهر المغادرة عاجلاً خوفاً على حياته من الحكومة. علماً ان عادلة خانم اوضحت لادموندز يوماً، أن ابنها طاهر بگ كان يشك دائماً في شخصية (سون) ويظنه اوروپياً لكنها اكدت وأوضحت لابنها إن (سون) ضيفهم وعليهم الا يتدخلوا فيما لايعنيهم!

سون وايام لاتنسى في ربوع حلبجه (١٩٠٩م)

يذكر (سون) ان باشوات الجاف كانوا حريصين على الوفاق والمصاهرة مع اسرة اردلان الكوردية العريقة في كوردستان ايران وقامت بين الطرفين احلاف ومصاهرات اغاظت الترك الذين كانوا يودون رؤية الجاف على غير وفاق مع جيرانهم الفرس، وبالضد من ذلك مضى عثمان پاشا الى (سنه) يوماً وعاد منها بعروس من سلالة اسرة وزراء اردلان كان ابوها يشغل منصباً رفيعاً في طهران، وما ان حلت تلك السيدة وأسمها عادلة خانم في حلبجه حتى شرعت في تدعيم مركزها وسطوتها مستفيدة من

١١- ومن هذه المصادر ديوان طاهر بگ المطبوع في السليمانية ١٩٣٦ وقد أشار الى ذلك آخرون امثال الاستاذ السجادي وادموندز، فيما ذكر (سون) بأن الشخص الوحيد الذي اهتدى الى حقيقته هو نصراني موصلي آخاه في السليمانية وقد صارحه سون بحقيقته في كركوك وهما يهمان بالسفر الى بغداد.

قابلياتها الشخصية الفذة وهيبة اسرتها الاصيلة والحرية التي وفرها لها زوجها، فشيدت بيتين فاخرين لانظير لهما في السليمانية وعلى طراز سنه (مهد اسرة ارلادن الحاكمة) وقام ببنائهما بناؤون فرس كبار فصارا مأوى الكرام ومنزل الاضياف، ودأبت على ابقاء المواصلات مفتوحة مع سنه وشرعت تأخذ بزمام السلطة في حلبجه وشهرزور في ظل غياب زوجها الطويل بفعل مشاغله الحكومية في الموصل وكركوك والسليمانية وغدت الحاكم الفعلي هناك، فبنت سجناً جديداً واقامت محكمة قضائية كانت هي رئيستها كما بنت سوقاً مزدهرة مؤلفة من أربعة صفوف من الدكاكين المسقفة والمقببة، وعلى ذلك انصبت التجارة على حلبجه والتي كان اليهود يؤلفون الشطر الرئيسي من اربابها، وبهذا تحول الموقع الذي كان مجرد قرية صغيرة مهملة سابقاً الى بلدة مزدهرة حقاً وبالشكل الذي جعل عقارب الحسد تدب في قلوب المسؤولين العثمانيين الذين ارادوا فرض سلطتهم على حلبجه وعن طريق مد اسلاك البرق اليها، لكن ابناءها قطعوا الخط المذكور تعبيراً عن رفضهم لاجراء الحكومة الهادف الى بسط سلطتها على بلدتهم، فنصحت السيدة عادلة المسؤولين بالا يعمدوا الى اصلاح الخط المذكور وانذرتهم بأن قومها سيعمدون الى قطعه مجدداً وبنفس السرعة التي يتخذونها هم في اصلاحه!. كما حرصت (عادلة خانم) باصطناع الطراز الايراني في غرس الحدائق والبساتين في حلبجه وضواحيها، وهذه لا سبيل الى رؤيتها الا في بلاد فارس فقط! وهي باختصار بساتين من الشجر العارش الضخم. ومثلما يذكر (سون)؛ ففي هذه الزاوية القصية من الامبراطورية التركية المتردية بقعة صغيرة فذة تسامت تحت ظل حكم امرأة كوردية ونمت من قرية الى بلدة في سفح جبل كان اجرد وغدا اليوم مونقاً تزينه البساتين.

واذا كانت اقامة (سون) في حلبجه تشغل ربما اروع صحائف كتابه، مثلما يرجح ادموندز، فاننا نرجح بدورنا ان تكون تفاصيل مقابلته الاولى للسيدة عادلة ووصفه لها والتي استطالت ساعة وزيادة هي قمة ما جاد

بها قلمه المقتدر واسلوبه القصصي المشوق الزاخر بالاوصاف والتصاوير الاخاذة، والتي نختار منها:

«وعلى ماهو متواضع في كوردستان تعتد هذه المقابلة خاصة، لذلك لم اجد اكثر من ١٢ خادماً وتابعاً ومسلحاً يقفون عند الباب انتصاباً وكانت ارضية الغرفة مفروشة بسجاد فاخر من (سنه) وفي النهاية القصوى كان ثمة سرير ضخم... وأمام هذه السيدة وعند قدميها بساط طويل مغطى بالحرير جلست عليه تدخن لفيفة (سيكارة)، أن اللمحة الاولى دلت على انها من اصل كوردي خالص، أن وجهها ضيق بيضوي وذات عينين صغيرتين سوداوين براقتين وأنف نسري قليلاً وكلها امارات دالة على ذلك الاصل، وتنسجم نحافتها تماماً مع العادة المتبعة بالنسبة للقوام الكوردي وهو قوام لاتعتوره سمنة ابداً... وكان غطاء رأسها من النوع الذي يصطنعه (الاكراد الفرس)، طاقية (عرقچين) ذات حلقات من عملة الذهب تقوم الواحدة منها فوق الاخرى وترتبط بكفية من حرير مما صنع في (يزد) و(كاشان) وعلى جانبي الجبهة تتدلى حوافي الشعر المرسل التمطي من الفودين حتى الخدين وتحت الاذنين... أن الشعر الخلفي الاسود مظفور وهو يختفي تحت الكفية الحرير المتدلية من غطاء الرأس. أن لبوسها كله حرير من الرداء الطويل المفتوح الى السروال. وكانت قدماها عاريتين مصبوغتين بالحناء، وتزين كاحلها ومعصمها حلقات من الذهب... وفي يديها ١٧ خاتماً رصعت بجوهر كثير وحول رقبتها قلاده من لؤلؤ.

كانت احدى النسوة تصطنع مروحة لتهويتها، وأخرى تحمل الدخينات (السكاير) على استعداد لتقديمها لها، كما ان خادمة كانت تنتظر حاملة الشربت وماء الورد. وما ان دخلت

الا تبسمت السيدة واشارت بأن أقعد على السجادة قربها، ثم سلمت علي بالسلام الكوردي القديم (وترجمته اهلاً وسهلاً بك... خدمتك على عيني صحتك جيدة بفضل الله ولطفه؟!)

كانت تصطنع لسان (سنه) الفلاحي، موطنها الاصلي ولا تصطنع لهجة السليمانية الرخوة... وكانت نغماتها خاصة واضحة حاسمة ومقتضبة وكانت تفهم الفارسية فهماً تاماً وذلك بالرغم من أنها كانت تتكلم بها على أستحياء قليل، وأمام شخص لم تعرفه الا باعتداده فارسياً...»

٣- سسيل جون ادموندز (١٨٨٩-١٩٧٩م)


سي. جَي. إدموندز

ولد أدموندز في اوساكا باليابان التي كان والده القس والتر أدموندز يعمل فيها، ثم نشأ ونبغ في بلاده (انگلترا) حيث تعلم العربية والتركية والفارسية بجامعة كمبردج والحق ترجماناً بالسلك القنصلي عام ١٩١٠، وخدم بعده في اسطنبول وبوشهر، وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى عين بصفة معاون ضابط سياسي في الحملة العسكرية البريطانية على العراق عام ١٩١٥ وخدم بهذه الصفة في العراق وايران ايضاً، ثم الحق في عام ١٩١٩ بحملة فريزر الموجهة من كركوك الى السليمانية للقضاء على ثورة الشيخ محمود الاولى وعمل في الحملة باعتباره ضابطاً سياسياً فيها.

واصل ادموندز عمله كمعاون ضابط سياسي في حلبجه التي جاب في ارجائها وتفقد معالمها الاثرية والحضرية ضمن حدودها الواسعة في مناطق الجاف وهەورامان[١٢] قبل أن ينتقل بحكم مصالح الحملة البريطانية

١٢- تشمل منطقة هورامان في كوردستان العراق قصبات خورمال، بياره وطويلة ضمن قضاء حلبجه.

الاستعمارية الى رانيه فمكث في طريقه أياماً اخرى في السليمانية التي سبق له العمل فيها عقب احتلالها من قبل الجيش البريطاني في حزيران ١٩١٩ اثر انتكاسة الانتفاضة الاولى للشيخ محمود في واقعة (دربندي بازيان). وعكف خلال وجوده في السليمانية مجدداً وعلى دأبه السابق بدراسة المناطق التي لم يسمح له الوقت سابقاً لمشاهدتها والبحث فيها مثل سورداش، وتانجرو وسەرچنار[١٣]

وعقب وصوله الى رانيه مباشرة اضطلع أدموندز بمساهمته الفعالة في النشاطات العسكرية لجيش الاحتلال هناك وبالاخص الموجهة منها ضد النفوذ التركي في المنطقة ولاسيما عند راوندوز، ثم اعيد ادموندز الى بغداد ليتولى فيها بعض المهام الى ان صدر أمر تعيينه كمستشار قسم كركوك على ملاك وزارة الداخلية (عقب تأسيس الدولة العراقية الحديثة)، وبناء على ذلك غادر ادموندز بغداد قاصداً كركوك في ٢ ايلول ١٩٢٢م وكان معه في القطار المتوجه الى كفري الشيخ محمود العائد من النفي والميجر نوئيل[١٤] فبلغوا في صبيحة اليوم التالي محطة القطار الموجودة غربي بلدة كفري والتي احتشدت فيها الجموع الغفيرة من السكان الكورد والتركمان والعرب الذين هبوا لاستقبال الزعيم الكوردي الكبير.

وبعد اقامة دامت ثلاثة ايام في ربوع كفري المبتهجة بعودة الشيخ، تفرق ادموندز عن الآخرين قاصداً محل عمله في كركوك، وظل ادموندز طيلة عامين ونصف في كركوك (وقد أبدل فيها عنوان وظيفته الى مستشار اداري) فبذل خلالها جهداً سياسياً وعسكرياً كبيراً خدمة لسياسة المحتلين الانكليز في المنطقة حيث ابدى نشاطاً محموماً خلال

١٣- سورداش: موقع وجبل مرتفع بين السليمانية ودوكان، تانجرو: نهر التاج يمر اسفل السليمانية عبر شهرزور، سەرچنار مصيف جميل قرب مدينة السليمانية.

١٤- الميجر نوئيل: المشاور السياسي وممثل المندوب السامي البريطاني في السليمانية في تلك الفترة.

العمليات العسكرية (البرية والجوية) الموجهة ضد مساعي الشيخ محمود الثورية المتكررة في السليمانية من جهة، والهادفة الى احكام قبضة الاحتلال على مناطق التوتر ونفوذ الترك ضمن اربيل من جهة أخرى، وقد تكللت مساعي المحتلين بالنجاح في عام ١٩٢٤ حينما أعادوا سيطرتهم على السليمانية واحكموا قبضتهم على رواندوز بعد دحر قوات القائد التركي (أوزدمير) هناك، وقد تنقل ادموندز في هذا السبيل مراراً وتفقد مواضع النزاع براً وجواً على الدوام.

ولما جاء وفد عصبة الامم لتقرير مسألة الموصل عام ١٩٢٥ الحق به بصفة ضابط ارتباط وكان واحداً من الافراد القلائل الذين وقفوا على اسرار تلك القضية الشائكة وعبأوا لها مجهوداتهم في سبيل كسبها لصالحهم، وقد اشار صراحة الى الدور الحاسم للكورد في انهاء تلك القضية مؤكداً؛ انه لولا صلابة وواقعية الكورد السياسية لكانت تلك الولاية قطعت برمتها من العراق.

ثم عمل في تحديد الحدود العراقية التركية والعراقية السورية (١٩٣٢م) فمستشاراً في وزارة الداخلية العراقية (١٩٣٥- ١٩٤٥م)، عاد بعده الى لندن فعين مستشاراً في وزارة الخارجية البريطانية، واوفد الى جنيف مندوباً دائماً في المؤسسات الدولية للاجئين ثم رفع الى درجة وزير مفوض واعتزل الخدمة سنة ١٩٥٠، ليقوم بعد ذلك بالقاء المحاضرات باللغة الكوردية في معهد الدراسات الشرقية الافريقية التابع لجامعة لندن خلال ١٩٥١-١٩٥٧م.

ارتبط ادموندز بصلات وثيقة مع اعلام بلادنا ولاسيما توفيق وهبي الذي ظل على اتصال به دوماً وقد اشتركا معاً في تأليف معجم كوردي - انكليزي عام ١٩٦٦م، وظل دائم النشاط والحركة حتى وفاته في حزيران (١٩٧٩).

الف ادموندز كتباً اشهرها (كرد،ترك،عرب) ١٩٥٧م، زيارة الى لالش ١٩٧٦م وله مقال هام عن الخلفية الدستورية للقضية الكوردية في العراق

نشر عام ١٩٦٩م في مجلة كوردستان الصادرة بالانگليزية في لندن، لسان حال جمعية الطلاب الكورد في اوروپا.

يوصف ادموندز بانه في مقدمة الخبراء في شؤون الكورد ولغتهم في العصر الحديث. وهو موظف بريطاني كبير عاش في العراق اكثر من ٣٠ عاماً وكانت له الكلمة المسموعة في المناصب التي شغلها جميعاً، وكان يتقن الكوردية بكل لهجاتها الرئيسية اضافة الى معرفته بالعربية والتركية والفارسية أيضاً، ويعتبر كتابه الذائع الصيت (كرد، ترك، عرب) والجامع بين السياسة والرحلات والبحوث من اهم المؤلفات والمراجع عن الكورد وبلادهم، وهو ثمرة بحوثه ودراساته ومشاهداته الدائبة في المنطقة خلال (١٩١٩ - ١٩٢٥م) وقد اتحف مؤلفه من خلاله قراءه بمعلومات قيمة عن تاريخ الكورد ومظاهر بيئتهم الجغرافية في كوردستان العراق وحياتهم الاجتماعية والقبلية ومذاهبهم الصوفية وأصولها مع التنويه بنتاجات بعض شعرائهم النابغين.

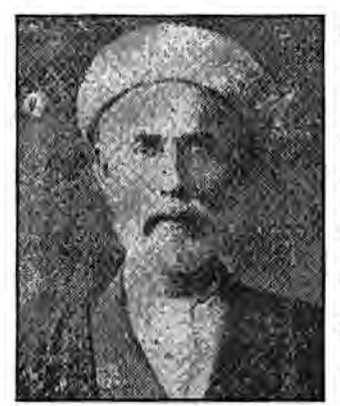
أن الاساس الذي بنى عليه كتابه الشهير ذلك، كما يؤكد ادموندز نفسه هو التاريخ السياسي للنزاع بين بريطانيا وتركيا على ولاية الموصل (محافظات نينوى، دهوك، اربيل، كركوك والسليمانية حالياً) مضيفاً اليه مجموعة تجارية الشخصية الخاصة من عمله في مواطن النزاع، وقد حاول في هذا الاطار العمومي رسم صورة لمجتمع كوردستان العراق (كوردستان الجنوبية) وتقديم وصف جغرافي له، وهو القائل «ان كوردستان بلاد جبال شم ذات طرق ومسالك وعرة، ظلت قروناً لم تتمتع بوحدة سياسية تمنحها تراثاً أدبياً عاماً مشتركاً ولهذا اختلفت لهجاتها المحلية من واد الى واد الا ان المزايا الجوهرية في اللغة الكوردية تبدو بارزة واضحة في تلك اللهجات».

ادموندز مشاهدات ومواقف في كركوك

(١٩٢٢-١٩٢٥م)

عاد ادموندز الى كركوك في ايلول ١٩٢٢ ليباشر بمهام وظيفته الجديدة كمستشار قسم ثم كمستشار إداري، كما أسلفنا، وكان على اطلاع كبير بأوضاع المنطقة بالنظر لعمله السابق هناك عام ١٩١٩م باعتباره ضابطاً سياسياً في قوة فريزر يوم كان الرائد لونگريك حاكماً سياسياً في كركوك المعروفة بأهميتها المتعددة الاغراض من الناحية السياسية والعسكرية والادارية.

كان متصرف اللواء في تلك الفترة هو فتاح پاشا - الجنرال السابق في الجيش التركي ومن اهالي طوزخورماتو اصلاً- الذي اعتاد على توكيل معظم اعماله الرسمية على عاتق ادموندز الذي كانت تربطه به علاقات قوية، فيما كان رئيس البلدية مجيد بگ اليعقوبي زاده، ومدير الشرطة مراد بگ المنتمي الى عشيرة الكيژ من جهة الام، وكانت شخصية نائب رئيس المحاكم (عمر نظمي بگ) تطغى على شخصية رئيسه تماماً. ومن وجهاء كركوك حينذاك نذكر عزت پاشا الذي أصبح وزيراً للاشغال والاسكان في أول حكومة عراقية، وناظم بگ عميد اسرة النفطجي زاده وسيد احمد خانقاه الرئيس الروحي المعروف والشيخ محمد علي الطالباني وكذلك رئيس الاساقفة الكلدان في كركوك. كما كان يتواجد في كركوك عدد من الضباط والموظفين الانكليز وسرب من المقاتلات البريطانية وفوج المشاة (٥٨) الهندي وسرية من خيالة الليفي، وكان هناك ايضا في سوق المدينة عدد من البقالين الهنود الذين تبعوا جيش الاحتلال الى المنطقة.



سيد أحمد خانقاه

وبغض النظر عن الاعباء الوظيفية والمهام العسكرية والسياسية التي تكفل بها ادموندز في كركوك، تبعاً لمصالح ومخططات المحتلين وطيلة اقامته في كركوك التي دامت عامين ونصف واشرنا اليها سلفاً بايجاز شديد، فانه وجد هناك الفرصة كي يستمتع بهواية التنزه وصيد الطيور البرية، وبالأخص في الأطراف الجنوبية من كركوك وصولاً الى ضفاف نهر سيروان. هذا اضافة الى نزهاته وجولاته التفقدية (غربي مدينة كركوك) بين التلال الاثرية الزاخرة بالصوانيات وكسر الفخار والرقم الاجرية ذات الكتابات المسمارية القديمة جداً والتي كانت تثير اهتمام طبيب الصحة المدني (وليام كورنر) كثيراً، وهو المعروف ببحوثه واستطلاعاته الدائبة في هذا المضمار وبالاخص اثناء جولاته الصحية في المنطقة.

كما ونوه ادموندز باكتشاف اثري مهم حصل في عام ١٩٢٣م عندما عثرت جماعة من الليفي - الاثوريين - اثناء قيامهم بتسوية لساحة العرضات المقابلة لثكنتهم، عثرت على جرة مختومة ملئت الى حافتها بالفي مسكوكة نقدية ساسانية تقريباً، وبعد توزيعها حظي (كورنر) بمجموعة منها وجد المتحف البريطاني فيها ما يمثل خمسة ملوك وهم (قباذ الاول ٤٩٩- ٥٣١م) و (خسرو الاول ٥٣١-٥٧٩م) و (خسرو الثاني ٥٩٠- ٦٢٨) و (هرمزد الرابع ٥٧٩- ٥٩٠) و (بهرام السادس ٥٩- ٥٩١) واخر المسكوكات يعود تاريخها الى ٦٠١م وهناك مايميل الى الافتراض بأن ذلك الكنز كان قد دفن عندما أخذ الجيش الاسلامي يهدد كركوك بعد معركة القادسية الفاصلة عام ٦٣٦م.

ومن المواقف المحرجة التي تعرض لها المحتلون في كركوك في تلك الفترة، نشير الى ما أورده ادموندز بشأن حالة الهياج والهستريا التي اصابت المدينة في شهر كانون الثاني ١٩٢٣ بينما كانت مباحثات لوزان ماتزال جارية[١٥] فقد توضح بأن الترك يحشدون قواتهم في منطقة الجزيرة

١٥ افتتح مؤتمر الصلح في (لوزان) بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ وكان اللورد كرزن وعصمت اينونو الممثلين الرئيسين لبريطانيا وتركيا، ولم يتفق الطرفان في =

القريبة من زاخو، وانبثقت في عشية وضحاها لجان سرية موالية للترك في كركوك يساهم فيها معظم الاسرة المتنفذة، فيما كانت السليمانية الثائرة بقيادة الشيخ العائد من المنفى، تعيش حالة عارمة من الحماس الوطني، وفي وجه هذين التهديدين الداخلي من قبل الموالين للترك في كركوك، والتهديد الأخر من السليمانية، وجد المحتلون وازلامهم انفسهم في ورطة كبيرة كلفتهم العديد من المجهودات والاحتياطات والمناورات السياسية والعسكرية، قبل أنفراج الوضع بالنسبة اليهم، بعد جهد جهيد.

وبالنظر لتحميل السيد أحمد خانقاه المسؤولية المباشرة عن اثارة التمرد داخل كركوك، فقد تقرر بناء على طلب ادموندز والمتصرف اعتقاله وابعاده الى بغداد، وكان هذا الاجراء دقيقاً وخطراً تبعاً لمنزلة السيد الدينية ونفوذه الروحي، وعندما واجهوه بالتهمة والاجراء المتخذ ضده رد على المتصرف وادموندز بمزيج من الجد والاستخفاف والاستنكار،ولما احتج على امر نقله من كركوك وبهذه السرعة وقبل التهيؤ لذلك، اقتضت الحاجة استدعاء النقيب (ريف) مفتش الشرطة الذي نقر على كتف السيد واشار اليه بتنفيذ الامر، فجذب السيد طيات جبته الى صدره وبحركة كبرياء وتعاظم دفع رأسه الى الوراء وهو يخرج من الغرفة حيث تبلغ بالاجراء، فنقل الى المطار حيث كانت بانتظاره طائرة ذات محركين اقلته الى بغداد وعندما التقى به ادموندز في ظروف تالية طيبة وجده لايقر بالتهم ولاينفيها وانما شكا بأنه لم يعط اغطية كافية ليتقي برد الطائرة الشديد![١٦].

= المؤتمر على حسم مشكلة ولاية الموصل التي كانت تركيا تطالب باعادتها اليها، فتقرر ارجاء هذا الموضوع الى وقت أخر (بعد سنة) على ان يحال النزاع الى عصبة الامم حال فشل الطرفين في التوصل الى اتفاق.

١٦- واضافة الى المطار البريطاني (العسكري) في كركوك فان الانكليز اوصلوا اليها الخط الحديدي الممتد من بغداد عبر حدود كفري وطوزخورماتو وذلك باشراف المهندس اليك هولت في عام ١٩٢٤.

الانتفاضة الاولى للشيخ محمود الحفيد

ظروفها، انتكاساتها، معطياتها

في السادس من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٤م، أي بعد يوم واحد فقط من إندلاع الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية، بلغت الحملة العسكرية البريطانيه القادمة عن طريق البحر، ميناء الفاو فأحتلته سريعاً. فأصبحت بلادنا سريعاً ساحة رئيسية من ساحات الحرب الكونية الاولى (١٩١٤- ١٩١٨م) في الشرق الاوسط والتي تمكن المحتلون الجدد خلالها من بسط سيطرتهم على الشطر الاعظم من بلادنا في الجنوب والوسط والشمال. ولما توقفت تلك الحرب في ظهراليوم التالي من توقيع هدنة مودروس (٣٠ تشرين الأول ١٩١٨) بين الطرفين المتحاربين،كانت القوات البريطانية الاستعمارية على بعد ٤٠ ميلاً فقط جنوبي الموصل وهي تطارد فلول الجيش العثماني المنهارة على طول نهر دجلة. وكانت تلك القوات قد احتلت في وقت سابق خط المدن والقصبات على الطريق العام بين خانقين والتون كوبري، وبضمنها كفري التي دخلتها في ٢٨ نيسان ١٩١٨م فكركوك التي احتلتها في شهر آيار ثم اخلتها بعد ٢٤ ساعة لتعيد احتلالها مجدداً قبل الهدنة المذكورة بخمسة ايام، واخيراً احتلت القوات البريطانية الموصل يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ رغم احتجاج القائد التركي وذلك تطبيقاً لشروط المادة (١٦) من الهدنة، فطلب من الجيش التركي الجلاء عن كل ولاية الموصل.

وفي غضون تلك الظروف وتبعاً لمقتضيات مصالحهم ومخططاتهم



الشيخ محمود الحفيد

الاستعمارية في المنطقة، شعر المحتلون الانكليز بضرورة التعاون مع الشيخ محمود الحفيد الزعيم الوطني والقومي البارز وعميد اسرة سادات البرزنجية المعروفة والذي سبق وان حارب ضدهم على رأس المجاهدين الكورد في معركة الشعيبة (عام ١٩١٥)، وذلك بغية استمالته الى جانبهم، فخططوا لاقامة نظام ادارة مؤقت في السليمانية يكون محل رضا سكانها الكورد التواقين الى نيل حقوقهم ومطالبهم القومية المشروعة في ظل معطيات ونتائج الحرب العظمى. وللترويج لهذه السياسة ارسلت سلطات الاحتلال الميجر نوئيل الى السليمانية فابلغ الشيخ إن اية قبيلة أو جماعة تسكن بين نهري سيروان (ديالى) والزاب الكبير، لها كامل الحرية بالانضمام تحت زعامته في حال رغبتها بذلك.

ثم عين الشيخ حكمداراً في السليمانية (تشرين الثاني ١٩١٨م) وعين له الميجر (نوئيل) مستشاراً بمنصب ضابط سياسي (والميجر دانليس) مستشاراً عسكرياً، كما تم تعيين معاوني ضباط سياسيين لاقضية

جمچمال وحلبجة ورانية، وتكفل ضباط آخرون بتدريب قوة عسكرية بأسم ليفي السليمانية إضافة الى تنظيم جهاز شرطة على النمط الحديث.

لكن التعاون بين الطرفين لم يدم طويلاً إذ توترت العلاقات بينهما سريعاً بسبب اختلاف الاهداف والنوايا الى حد بعيد، فالشيخ كان معروفاً بتطلعاته وطموحاته الوطنية والقومية الواسعة، والانكليز كانت تهمهم مصالحهم ومقاصدهم الاستعمارية الخاصة التي قدموا من اجلها اصلاً وسعوا بكل السبل والامكانات المتاحة امامهم من اجل ضمانها وحمايتها فكان أمراً محتماً والحال كذلك، أن يسعى الانكليز من اجل احتواء الشيخ الحفيد أولاً تمهيدا للاطاحة به نهائياً في أقرب فرصة متاحة.

ولما تعين الميجر سون ضابطاً سياسياً في السليمانية خلفاً لنوئيل، راح يعمل بكل ماعرف به من أصرار ودهاء في سبيل تقويض سلطة الشيخ وزعزعة مركزه بين انصاره وجماهيره. وكان سون على معرفة كاملة باحوال المنطقة وعادات وتقاليد وثقافة ولغة اهلها لأنه زارها متنكراً عام ١٩٠٧م باسم التاجر المزعوم (المرزا غلام حسين شيرازي)، ولهذا راح يمارس مهامه ونشاطاته المريبة في السليمانية دون تردد. وازاء الخطر المحدق به وبحكومته الواعدة قرر الشيخ من جانبه الأخذ بزمام المبادرة والتصدي للانكليز، فقاد مع انصاره انتفاضته الاولى عليهم في شهر ايار عام ١٩١٩م وبمساعدة محمود خان دزلي واتباعه القادمين من منطقة هورامان (هەورامان) الكوردستانية الايرانية، فافلحوا في احكام قبضتهم على السليمانية سريعاً والسيطرة على فصائل الليفي نصف المدربة فيها والتي كان يقودها رسميا الشيخ قادر (أخ الشيخ الحفيد) ويدربها البريطانيون. كما اعتقلوا كل الرعايا البريطانيين دون ان يسيئوا معاملتهم ورفعوا علمهم الوطني المؤلف من هلال احمر في ارضية خضراء وانزلوا العلم البريطاني الموجود فوق دائرة الضابط السياسي البريطاني... ولم يكن الميجرسون موجوداً في السليمانية وقت حدوث الانتفاضة بسبب سفره الى كركوك وهو في طريقه لاستقبال زوجته التي

وصلت البصرة، وبذلك افلت من الاسر. ثم انتقلت الانتفاضة الى خارج السليمانية ايضاً، فسقطت حلبجة عقب قتال شديد وانسحب منها معاون ضابطها السياسي الملازم الطيار (ليز) متجها نحو خانقين قبل ان يحتل الثوار مقره، وتفاقمت اوضاع المحتلين سوءاً اثر الضربة الموجعة التي تلقوها في طاسلوجة اواخر شهر آيار والمتمثلة بهزيمة القوة العسكرية التي قادها الميجر (بومي) من كركوك بهدف السيطرة على الوضع في السليمانية وتكبدها خسائر فادحة في الارواح والمعدات (بضمنها ٤ مصفحات و ١٩ سيارة مسلحة) فتحررت في اعقابها چمچمال وارسل معاون الضباط السياسي فيها الكابتن (بوند)، اسيراً الى السليمانية. ثم وصلت الاعمال الثورية الى حدود كويسنجق وجوارها قبل ان يفلح الانگليز في اعادة سيطرتهم عليها مجدداً، وانضم الى الشيخ الكثير من المترددين الذين لم يكونوا حسموا امرهم بعد لصالح حكومته، حتى ان القبائل الكوردية الايرانية تمردت بدورها على حكومتها مطالبة الانضمام بالدولة الكوردية التي يكون الشيخ على رأسها!



محمود خان دزلي

وتبعاً لذلك عاشت السليمانية وجوارها حالة من الحماس الثوري العارم وارتفعت معنويات الثوار كثيراً فأخذوا يعدون العدة لمواصلة انتفاضتهم

، التقدم باتجاه كركوك، فيما بدأ الانكليز الذين أصيبوا بالصدمة ، الذهول، باتخاذ التدابير العاجلة لتنظيم حملة عسكرية كبيرة والتوجه بها صوب السليمانية لأخماد انتفاضتها ودرء خطرها المستفحل الذي بات يهدد وجودهم ومصالحهم في المنطقة بشكل جدي وخطير جداً.

حملة فريزر ومعركة دربندي بازيان



الجنرال فريزر

هكذا بدأت الاستعدادات في كركوك على قدم وساق لتجريد حملة عسكرية بريطانية ضخمة بهدف إعادة الامور الى نصابها، بالنسبة للمحتلين، في السليمانية وجوارها! وانيطت قيادة تلك الحملة بأمير اللواء السير (ثيودور فريزر) قائد الفرقة ١٨ المرابطة في الموصل وتألفت قوة الحملة المحتشدة في كركوك، والتي سميت بقوة كوردستان الجنوبية من اللواء ٥/١ المعروف بلواء سوري الشرقي East Surre ،وفوج المشاة البورمي ٨٥ والفوج ٨٧/١ البنجابي والفوج ١١/١ المهراتي والسرية الاولى من فوج المشاة البنغالي ٤٩ والسرية ٢٣٩ من فوج الرشاشات الهندي والبطرية الجبلية الهندية ٢٥ وقطع من بطريتي (ب) و(د) من كتيبة المدفعية الآلية الملكية ٣٣٦ وجناح (أ) من السرب ٦٣ من القوة الجوية مع وحدات من صنف المخابرة والهندسة والالغام وغيرها من التشكيلات الملحقة. ورسم ان يقوم الميجرسون بمرافقة الحملة بصلاحيات ضابط سياسي لكن وجوده في الاجازة الممنوحة له جعل (ولسن) وكيل الحاكم البريطاني العام في العراق، يعين (امونذز) بدلاً عنه في تلك المهمة فوصل كركوك بدوره قادماً من بغداد ليجد المعنيين بالحملة منهمكين باعدادها على عجل ومنهم الجنرال (فريزر) والرائد (لونكريك)

ضابط كركوك السياسي والرائد (كلود اوكنليك) ضابط ركن الحركات والملازم ليز الذي عاد للقوة الجوية طوال مدة العمليات ...وغيرهم.

استكمل فريزر تحشيد قواته في منتصف شهر حزيران ومع تصاعد موجة الحر اللاهب يوم ١٥ منه بدأت الحملة بالتحرك نحو چمچمال التي كان معاون الضابط السياسي فيها، الكابتن بوند اسيراً في السليمانية كما ذكرنا، فدخلتها وعسكرت فيها مؤقتاً. وفي اليوم التالي ١٦ حزيران قام الانگليز باستطلاع تعرضي من جهة مضيق دربندي بازيان إذ كانت المعلومات المتوفرة لديهم تفيد بأن الشيخ وأصحابه يتمركزون فيه ويحكمون سيطرتهم عليه.

وفي السابع عشر من حزيران تقدمت الحملة كلها الى قرية تكية كاكه مند (المعروفة بتكية دربندي بازيان أيضاً) المجاورة لفتحة المضيق وعلى الطريق العام بين كركوك والسليمانية، ثم بدأ مشاة الحملة وبسكوت تام وتحت جنح ظلام ليلة ١٧-١٨/٦/١٩١٩ بتسلق المرتفعات المحيطة بالمضيق ومحاصرته وتطويقه من طرفيه الشمالي والجنوبي قبل انبلاج الفجر ودون أن يحس بهم الثوار الذين سرعان ما بدأت مدفعية الانگليز تقذف حممها على موقعهم مع اول خيوط فجر ١٨ حزيران الدامي، ثم بوغتوا بالهجوم السريع الذي شنه عليهم اعداؤهم من جانبي المضيق ومن جهة تكية كاك مند - أي على الطريق العام - فلم يكن أمامهم من خيار سوى القتال اليائس والدفاع عن انفسهم قدر المستطاع وبكل ماعرفوا به من عزيمة واصرار في تلك المعركة غير المتكافئة التي حسمها الانگليز لصالحهم تبعاً لرجحان كفتهم في العدد والعدة وفعالية التكتيك العسكري الذي أتبعوّه في المعركة والمعتمد على اسلوب السرعة والمباغته والتطويق الذي واجهوا به الثوار الذين وجدوا أنفسهم فجأة محصورين في موقعهم الضيق المهلك.

بلغت تضحيات الثوار في معركة دربندي بازيان ٤٨ شهيداً وعدداً اكبر من الجرحى والاسرى وبضمنهم زعيمهم الشيخ الحفيد الذي لاذ بالصخرة

الكبيـرة القابعـة في المضـيق (والمعروفـة الآن بصـخـرة البطل - بەرده قارەمان) متأثراً بجرحه البليغ الذي أصيب به اثناء القتال. ولما اسره اعداؤه وتعرفوا على شخصيته اصيبوا بالذهول والغبطة ازاء ماحدث، فقد كان حادث اسره بتلك الصورة التراجيدية ضخماً ومدويا الى درجة لم يملك المرء معه الا ان يتردد في تصديقه، فانقسم الضباط الانكليز بدورهم بين مصدقين بالنبأ ومكذبين له!.

وبعدما حسم الانكليز الموقف لصالحهم في دربندي بازيان سارعوا الى التفكير بمصير اسراهم في السليمانية والعمل على اطلاق سراحهم قبل وصول اخبار الواقعة المشؤومة الى السليمانية وذلك تحاشياً لاي رد فعل انتقامي ضدهم، فأصدر فريزر امره الى رعيل الخيالة ٣٩ بأمرة الملازم (دينيهاي) ليندفعوا الى السليمانية بسرعة، فوصلوها في الساعة ٦٫٣٠ عصراً وتوجهوا فوراً الى بناية الدبو Depot، معتقل الضباط البريطانيين، ولما ادرك هؤلاء حقيقة الموقف أنضموا الى دينيهاي وجماعته بشأن اتخاذ التدابير اللازمة للسيطرة على المدينة إنتظاراً للقوة الكبرى في اليوم التالي.

وفي ١٩ حزيران تقدمت قوة الحملة الرئيسية نحو السليمانية فعسكر القسم الاعظم منها عند مجرى نهير سرچنار العذب البارد، فيما واصل بعض فرسانها سيرها باتجاه مركز المدينة ليجدوا المعتقلين سالمين وبضمنهم معاون الضابط السياسي الاقدم (گرينهاوس). وفي ٢٣ حزيران دخلت القوة البريطانية برمتها السليمانية في تشكيلة استعراضية.

وفي ٢٩ حزيران اعيد احتلال حلبجة بعد معركة ضارية اقتص المحتلون في اعقابها من عشائر المنطقة عن طريق نهب ممتلكاتها من الحبوب والمواشي، وبسقوطها (أي حلبجة) في ايدي الانكليز مجدداً، قدر للملازم ليز، معاون الضابط السياسي هناك، العودة الى مقر عمله السابق والمباشرة بمهامه فيه.

ثم واصلت ارتال العدو تمشيط مناطق واسعة ضمن سورداش وشهربازار

وبرزنجة وپنجوين وخورمـال وقرداغ وسنگاو... وفـتـشت القـرى الموجـودة هناك واعـتـقلت بعـض الشـيـوخ والاشـخـاص المسـاهمين في الثـورة اضـافـة لمصادرتها كميات كبيرة من الاسلحة والاعتدة.

وبذا افلحت حـملة فـريزر في اخـمـاد الانتـفـاضـة الاولى للشـيـخ الحـفـيـد الذي أسـر جـريحـاً في واقـعـة دربندي بـازيان فـاصـيـبت حـركـة التـحـرر الكوردية عـهـدئذ بضـربة مؤلمة، وسـادت السليـمـانيـة وسـائر ارجـاء بلادنا اجواء مفـعـمة بالحسرة والالم والاسى، لكن ذلك الواقع المرير لم يقدر على اذعان شعبنا وكبت مشاعره القومية والوطنيـة الاصيلة ومنعه من مواصلة نهجه النضالي القويم الذي سلكه شيخهم وزعيم ثورتهم الشيخ الحفيد.

محـاكـمـة الشـيـخ مـحـمـود فـي بـغـداد

نقل الشـيـخ الجـريح الى بغـداد ، شأنه شـأن رفـاقه الآخـرين الذين اسـرتهم قـوات الاحتـلال البـريطاني اثنـاء معـركـة دربندي بازيان المشـؤومـة، فعـولج (أي الشـيخ) من الجرح الذي أصيب به وهو ينتظر مع صهـره الشـيخ محمد غريب أمـر محاكـمتهـا ، فيـمـا اودع السجن رفـاقـهمـا من الضـبـاط الكورد الاسـرى واسـتخـدمـوا في الاشـغـال الجـسـمـانيـة الشـاقـة ونذكـر منهم؛ قـادر أفندي القـرداغي، عزت طوبجي، قـادر عائشة خـان، رشيـد جودت، رشـيد غفور و ادهم أفندي.

وفي المسـتـشـفى حيث كـان يعـالج الشـيخ زاره ولسـن، مـعـاون الحـاكم البريطانـي العام، فوجده صلباً رابط الجـاش وعلى قناعة راسخـة بأنه ليس من حق الانكليـز أن يحـاكـمـوه، كـونه حـارب وجـاهد وضـحى بمقـتـضى حق شرعي مـعتـرف بـه واقرته دول الحلفـاء. كما لفت الشـيخ انتبـاه ولسـن الى المبادىء الـ١٤ التي سبق وان اعلنها الرئيس الامـريكي ولسـن بشأن حقوق الامم المغلوبة والمقهورة.

ولما تماثل الشـيخ للشفـاء قـدم مع صهـره الى محكمـة عسكرية (مـحكمة الديوان العرفي) كل اعضائها من الانكليز وتلخـصت التهمة الموجهة ضده

بحمل السلاح ومقاتلة بريطانيا العظمى والتسبب في سفك دماء كثيرة بانزال العلم البريطاني وتمزيقه.

ومن جانبه انتقد الشيخ المحكمة كونها مؤلفة من اعدائه الانكليز حصراً، ومعرباً عن رفضه التام لتوكيل اي محام للدفاع عنه انطلاقاً من قناعته الراسخة ببراءته من جهة، وعدم استعداده للاعتراف بشرعية المحكمة من جهة اخرى، ثم اضاف الشيخ بأنه قاتل وجاهد ضد الانكليز بسبب مظالمهم وتجاوزهم على سيادة وطنه وتنكرهم لحقوق شعبه الكوردي المظلوم.

وكانت سلطات الاحتلال قد استقدمت من السليمانية (بالترهيب والترغيب) وبرفقة الكابتن (بوند) جمعاً من الاشخاص لاستخدامهم في المحكمة كشهود لادانة الشيخ الذي بدأ مستهينا بهم ومردداً أمامهم وامام اعضاء المحكمة تأكيده القاطع على انه دافع عن حرية وحقوق شعبه ومعربا في نفس الوقت عن رفضه التام للقرار الذي تتخذه المحكمة بحقه كونه يصدر من اعدائه الذين لاينتظر منهم انصافه. ثم بلغ الانفعال بالشيخ حدا جعله يتناول عمامته ويرميها الى صدر گرينهاوس الذي كان يشهد في المحكمة ضده، فافرغ هذا الاخير كل مافي جعبته من ادعاءات واباطيل بقصد ادانة الشيخ ويضمنها موضوع انزال العلم البريطاني وتمزيقه من قبل عزت نجيب بأمر من الشيخ.

فأوضح عزت من جانبه انه كان مكلفاً من قبل الحكمدار (الشيخ) بتنظيم شؤون الدوائر الرسمية وموظفيها ابان الانتفاضة،وكان ملزماً بتنفيذ امره فيما يتعلق بانزال العلم البريطاني الذي طواه وقدمه بكل احترام الى گرينهاوس الذي مزقه وركله بقدمه من فوق الشرفة الى الاسفل (شرفة دائرة الضابط السياسي) وهو يسبه (اي يسب عزت) ويسب بريطانيا معه!. ولما سئل الشيخ عن هذا الموضوع اجاب بأنه فعلاً أمر بانزال العلم، وذلك من جراء جور المسؤولين الانكليز وسياساتهم التعسفية في البلاد.

وفي ١٩١٩/٧/٢٥ اصدرت المحكمة حكم الموت شنقاً بحق الشيخ محمود وصهره الشيخ محمد غريب فأستقبل (أي الشيخ) القرار بابتسامة قاسية ومعبرة واجه بها الشهود ،لكن العقوبة خففت لاحقاً الى السجن لمدة عشر سنوات. فنفي مع صهره الى الهند.

في تلك الاثناء كان اقاربه وافراد اسرته الكبيرة الذين نزحوا من السليمانية في اعقاب معركة دربندي بازيان، يعيشون ظروفاً حياتية ونفسية صعبة في كوردستان ايران (ضمن محافظة سنندج) التي لجأوا اليها، وذلك رغم جميع مظاهر الحفاوة والدعم التي لاقوها هناك.

جدير ذكره، أن الاجواء القائمة التي سادت السليمانية وجميع ارجاء كوردستان عقب أخماد الانتفاضة الاولى للشيخ الحفيد لم تحل دون تواصل النشاطات الثورية المختلفة التي عمت ارجاء عدة من السليمانية وكركوك واربيل وبهدينان، ونذكر منها المساهمة الكوردية الفعالة في ثورة العشرين الوطنية التي ابلى خلالها ابناء منطقة گەرميان خصوصاً بلاء حسناً وكذلك الحال بالنسبة للعمليات الجريئة التي نفذها في اطراف دربندي بازيان، كريم بگ الهموند الذي الحق مع اتباعه بالانگليز ضربات موجعة وطيلة غياب الشيخ عن الوطن والذي استمر ثلاث سنوات تقريباً.

ويقيناً ان المعطيات والنتائج الصعبة والقاسية التي افرزتها معركة دربندي بازيان في حزيران ١٩١٩م ومحاكمة الشيخ في اعقابها ثم نفيه الى الهند، لم تفلح رغم مرارتها في اسكات صوت شعبنا المناضل المطالب بحقوقه المشروعة واطلاق حرية الشيخ الحفيد واعادته الى الوطن، وقد أثبتت الوقائع والأحداث اللاحقة عكس ما توقعه المحتلون وخيبة مخططاتهم ونواياهم في بلادنا تماماً.

مشير الهموند وعلاقته بانتكاسة دربندي بارزيان؟!

يظهر مما تقدم إن واقعة دربندي بازيان كانت حدثاً مفجعاً كبيراً في تاريخ شعبنا الحديث، فلم يكن غريباً اذن ان تستأثر (اي الواقعة) بكل هذا الاهتمام الكبير الذي اولاه اياها الكتاب والمتتبعون الذين افردوا لها العديد من مواضيعهم وبحوثهم التي شرحوا فيها ظروف واحداث هذه الفاجعة التي اطاحت بانتفاضة الشيخ الاولى وافرزت جملة من المعطيات والنتائج المريرة التي احاطت بمسيرة نضال شعبنا في ذلك العهد.

واذا كان وقع الفاجعة اليماً على ابناء شعبنا جميعاً، فان وطأتها كانت اقسى على انصار الشيخ والمقربين منه بشكل خاص، والذين يبدو إن نشوة انتصاراتهم السريعة والمتكررة التي حققوها على عدوهم اثر اندلاع انتفاضاتهم الاولى، جعلتهم يعيشون حالة عارمة من الحماس الثوري ويبالغون كثيراً في تقدير قوة جيشهم (جيش كوردستان) الذي ظنوه الجيش الذي لايقهر، فجاءت الانتكاسة في دربندي بازيان لتخيب امالهم وطموحاتهم وتؤكد لهم بالدليل القاطع والملموس صدق المثل المأثور القائل: إن حسابات الفلاح تختلف عن حسابات البيدر! لكنهم بدلاً من الاقرار بواقع تلك الانتكاسة، وبدلاً من البحث في ظروفها وعواملها ومسبباتها الحقيقية، راحوا يبحثون عن الاعذار والحجج الواهية لتفسير ماحصل، فوجدوا ضالتهم سريعا في مشير محمد سليمان الهموند[1] الذي حملوه المسؤولية المباشرة في ترجيح كفة العدو على الثوار والحاق الهزيمة بهم في دربندي بازيان.

فقد تردد أن مشير الذي قاتل مع الانكليز ضد الشيخ في تلك المعركة هو الذي تقدم صفوف الاعداء وارشدهم للالتفاف حول الثوار وتطويقهم عند المضيق وبانه هو الذي دلهم على الشيخ الجريح عند صخرة (بەردە

١- مشير محمد سليمان، أحد أغوات الهموند البارزين في عهده، ومن اتباع الشيخ الحفيد اثناء تنصيبه حكمدارا في السليمانية، لكنه اختلف معه بسبب الجاه والنفوذ على مايبدو فانضم الى الانكليز وشارك معهم في موقعة دربندي بازيان.

قاردمان) وعرفهم على شخصيته. وبسبب هذه الرواية التي راجت وشاعت عقب الواقعة طويلاً وأخذ بها القسم الاعظم من ابناء شعبنا وبضمنهم نخبة معروفة من كتابنا ومؤرخينا (ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الاستاذان رفيق حلمي وعلاءالدين السجادي) فان مشير تعرض الى سيل متواصل من النقد والتشهير والتجريح لم يسلم منه احياناً حتى افراد اسرته واقاربه، والامّر من ذلك ان الرأي العام الكوردي الذي حسم امره بادانة مشير، لم يكن مستعداً لتقبل اي رأي مهما كان وجيهاً يتضمن شيئاً من الدفاع والانصاف بحق هذا الرجل الذي لم يتورع البعض عن نعته بـ(ابو رغال) الكورد.

واستمرت تهمة الخيانة تلك تلاحق مشير اثناء حياته وبعد مماته طويلاً، فكان ذلك مبعث احراج كبير لاقاربه واصحابه الذين حاولوا عبثاً تبرئته من تلك التهمة الكبيرة، الى أن بادر د. كمال مظهر مؤخراً الى تصحيح ذلك الموقف من خلال مقاله الجريء المعنون (ويژدان وميژوو - الضمير والتاريخ) والمنشور في العدد ٢ ١ من مجلة ره نگين (سنة ١٩٩٧م) والذي الغى فيه كاتبه مع بالغ اعتذاره الجم لمشير وأسرته وعشيرته، حكمه السابق بادانته وتحميله المسؤولية المباشرة في فاجعة دربندي-بازيان بل وحتى التصريح بأنه لولا خيانة مشير لما كان بأمكان الانگليز ان يقهروا الكورد ابداً!

وقد أحدث المقال المذكور دوياً واسعاً واستقطب اهتماماً كبيراً من لدن العديد من المتتبعين، فأثنى عليه الكثيرون فيما إنتقده البعض الآخر. ثم توالت على اثره تعقيبات ومواضيع اخرى شتى سعى اصحابها فيها اما الى تبرئة مشير استناداً الى معلوماتهم واستنتاجاتهم التاريخية والجغرافية والعسكرية أو تجديد إدانته السابقة دون ان يضيفوا اية معلومة جديدة بهذا الشأن.

وبدورنا ارتأينا عرض فحوى النقاط الثلاث التي اوردها د. كمال في مقاله المثير الذي كرسه لرد الاعتبار الى مشير وتبرئته عما نسب اليه

بشأن فاجعة دربندي بازيان وكمايلي:

١- أن جميع الوثائق البريطانية السرية القديمة ذات العلاقة بالشيخ الحفيد والمتيسرة حالياً والتي يملك د. كمال الكثير منها، لم تشر الى اي موقف مشين لمشير ولم يذكر اسمه بسوء في هذا السياق.

٢- ان فريزر، قائد الحملة البريطانية التي حققت النصر في معركة دربندي بازيان لم يكن محتاجاً لعون مشير او غيره من الزعماء القبليين الكورد كي يحقق التفوق في تلك المعركة، فهو كان يقود جيشاً جراراً ومجهزا باحدث الاسلحة والاعتدة والدروع والآليات في مواجهة الثوار الكورد الذين لم يكن عددهم يتجاوز ٣٠ مقاتلاً من رجال العشائر الذين لم يكن بحوزتهم سوى بعض الاسلحة الخفيفة العتيقة وقليل من الاعتدة والمؤن التي تزودوا بها لخوض هذه المعركة الحاسمة والهامة.

٣- لم يكن الانكليز بحاجة الى مشير (او غيره) كي يكون دليلاً لهم في الموقع الذي خاضوا فيه معركتهم، لانهم كانوا على دراية تامة وشاملة بطبيعة المنطقة (الجغرافية) استناداً الى ما بحوزتهم من المعلومات المتنوعة والخرائط والصور المأخوذة من الجو والارض و التي وفرت لهم ادق التفاصيل عن تضاريس بلادنا شبراً شبراً. علماً ان الانكليز وتبعاً لاهتمامهم القديم ببلادنا قد عكفوا على جمع المعلومات المختلفة عنها منذ القرن السادس عشر فلم تكن هذه الارض مجهولة بالنسبة اليهم. كما ان الميجرسون الذي كان يشغل منصب الحاكم السياسي في السليمانية عهدذاك، سبق وان زار كوردستان العراق في مطلع القرن الماضي، متنكراً في مهمة سرية جاسوسية دون ان ينتبه اليها احد وهو يجوب خلالها جبالنا ووديانا وسهولنا وبضمنها مضيق دربندي بازيان الذي قطعة سيراً على الاقدام.

وفضلاً عما ذكره (د. كمال) فان هناك عاملاً هاماً آخر ساعد الانكليز كثيراً على حسم المعركة لصالحهم سريعاً تمثل بالتكتيك العسكري الناجح

الذي إتبعوه خلالها والمعتمد على تطويق الثوار اولاً من طرفي المضيق ومن قبل مشاة الگورگة المتمرسين في معارك الجبال، ثم مباغتتهم بقصف مدفعي كثيف تمهيداً للتقدم عليهم سريعاً من جانبي المضيق (المطوقين) ومن جهة تكية كاكه مند (على الطريق العام بين كركوك والسليمانية) التي كانت تتمركز فيها القوات الرئيسية للعدو. في حين اتبع الشيخ واصحابه خطة قتالية خاطئة عندما حشروا انفسهم في جيب ضيق مهلك وبالشكل الذي سهل على خصومهم الذين كانوا يفوقونهم في العدد والعدة بأضعاف مضاعفة، الالتفاف عليهم ومحاصرتهم ودحرهم...

واذا كانت النقاط التي اوجزناها تؤكد أن مشير لم يكن السبب في ماحل بالشيخ ورفاقه في معركة دربندي بازيان، فان هناك اضافة الى ذلك روايات عدة ومختلفة تناقض الرواية الشائعة والمتداولة بشأن الدور المنسوب الى مشير في اسر الشيخ ومفادها إنه اول من تعرف عليه - وهو مصاب عند صخرة بەردە قارەمان - فسارع الى إخبار الانكليز بذلك ثم تقدمهم اليه كي يأسروه ويأخذوه معهم.

ونلخص في هذا المجال اثنتين من تلك الروايات (التي تدعم موقف مشير) فتفيد الاولى التي نقلها كريم آغا الهموند[٢] عن مشير نفسه، ان هذا الاخير توجه الى ساحة المعركة بناء على أمر فريزر فسمع هناك صوتاً يناديه بأسمه، في الوقت الذي كان مقاتلو السيخ والگورگه يبحثون بأسنان حرابهم عن الاحياء بين جثث الثوار الشهداء، وعندما إقترب من مصدر الصوت هاله ما رأى، اذ كان المنادي هو الشيخ الحفيد (الجريح) نفسه، ولما استفسر منه متحسرا عن سبب بقائه في هذا المكان أجابه بأن أحدهم أخذ فرسه فارا بجلده[٣] فطلب الشيخ منه (أي من مشير) ملازمته كي لايقتله الگورگه والسيخ الحاقدون فيدعون انه قتل اثناء المعركة، ثم كلفه باستدعاء ضابط انگليزي كان يعرفه (المرجع كونه

٢- كريم آغا الهموند رئيس الهموند الحالي ويسكن چمچمال.

٣- وهو من اتباع الشيخ الحفيد وقد ورد اسمه بـ(محمد نيرگەلەیی).

ادموندز) كي لايفتك به من وصفهم بالقذرين (أي السيخ والگورگه)، فلبى مشير طلبه ثم تعاون مع ذلك الضابط على نقل الشيخ من مكانه، وهو متألم في قرارة نفسه أن يرى زعيم الكورد بهذه الحال! والرواية الثانية منقولة عن الشيخ لطيف الحفيد (نجل الشيخ محمود) بينما كان في قرية سيتەک ضمن شهربازار عام ١٩٧ ، اذ حكى للحضور انه في العام ١٩٦٥م وبينما كان موجوداً في احدى قرى كوردستان الايرانية، حضر للاحتفاء به وجهاء القرية وبضمنهم شيخ طاعن في السن ذكر له انه كان مع الشيخ الحفيد في معركة دربندي بازيان، فاشار هذا الشيخ الى إن مشير الهموند ما أن علم بجرح الشيخ الحفيد في المعركة سارع الى استقدام الانگليز اليه بهدف حمايته والحيلولة دون قتله من قبل الهنود (السيخ او الهندوس) الذين كان من دأب بعضهم الفتك بالجرحى!

وبغض النظر عن هذه الحكايات والاخبار المختلفة بصدد معركة دربندي بازيان وملابساتها وظروفها والدور الخياني المنسوب لمشير خلالها والمحاولات المنصفة لتبرئته أخيراً من وزر تلك الخيانة التي نسبت اليه، فان الثابت هو ان مشير محمد سليمان الهموند قد اختار في ذلك الظرف الصعب المحيط بشعبه خندق المستعمرين المحتلين لبلادنا والمتنكرين لحقوق وتطلعات واماني الكورد المشروعة، وهو موقف منحرف ومدان لايمكن تبريره بأي حال من الاحوال، لكن الثابت ايضاً، إن مشير لايتحمل مسؤولية انتكاسة دربندي بازيان وتبعاتها ونتائجها المؤلمة وبضمنها طبعاً حادث اسر الشيخ الحفيد الذي ترك جريحا في ساحة المعركة التي طوقها وهيمن عليها العدو نظراً للعوامل والاسباب التي ذكرناها... فاذا كان مشير مدانا وملاماً بسبب وقوفه مع المستعمرين الانگليز وتعاونه معهم حاله حال البعض من وجهاء ورؤساء عشائر الكورد وغيرهم الذين سلكوا مثل هذا النهج المنحرف إبان عهد الاحتلال البريطاني في العراق (وبعده)، فأنه ليس عدلا تحميله وزر انتكاسة كبيرة من نمط انتكاسة دربندي بازيان والتجني عليه بسبب ذلك.

صفحات من تاريخ الكورد النضالي

في ثورة العشرين

تحتل ثورة العشرين الوطنية[1] مكانة بارزة في تاريخ العراق الحديث باعتبارها اول انتفاضة عامة معادية للاستعمار شارك فيها ابناء العراق على اختلاف قومياتهم، دياناتهم، مذاهبهم وفئاتهم الاجتماعية والثقافية المتعددة. وهي في الواقع اول حركة تحررية وطنية معاصرة استطاعت لم الشعب العراقي بعربه وكورده وسائر قومياته المتآخية الاخرى في خندق نضالي واحد للدفاع عن حقوقهم وحريتهم وكرامة واستقلال بلادهم، وقد قدموا في هذا السبيل تضحيات جسيمة وبطولات رائعة اكدت بمجملها على انتمائهم الوطني الاصيل وتمسكهم بوحدة مصيرهم واهدافهم وهم يقارعون معاً الاستعمار ومخططاته واساليبه الخبيثة التي استهدفت وطننا ارضاً وشعباً.

وبالنظر لأهمية ثورة العشرين وسمو ونبل اهدافها الوطنية وسعة نطاقها وعمق نتائجها وجسامة تضحياتها، فأنها حظيت باهتمام بالغ من لدن الكتاب والمؤرخين العراقيين وغيرهم، ولم يحظ حتى اليوم حدث أخر في تاريخ العراق المعاصر مثلما حظيت به ثورة العشرين من متابعة

١- ان ما حدث في عام (١٩٢٠) هو نموذج لانتفاضة كبرى وتحرك جماهيري واسع، وقد اختارت جماهير العراق لهذا الحدث اسم (ثورة العشرين) وصار هذا المصطلح شائعاً ومتداولاً على الالسن في جميع المؤلفات العراقية تقريباً، رغم ان مفهوم الثورة قد لاينطبق علمياً على ذلك الحدث رغم اهميته واتساعه.

واهتمام.

ومع كل ما كتب عن هذا الحدث الهام فأن صفحات وجوانب عدة منه ماتزال بحاجة الى البحث والدراسة والتقصي بشأنها وفي مقدمتها مايتعلق بموضوع مساهمة الكورد في هذا الحدث الوطني ودورهم المؤثر في خلق مقدماته وظروفه، الموضوع الذي لم ينل لحد الآن مايستحق من اهتمام مطلوب ودراسة جادة، الا في حالات قليلة. فلم يتطرق الجيل السابق من المؤلفين الكورد الى هذا الجانب رغم تعلقه بهم، الا في اطار محدود جدا كما تخلو المذكرات المنشورة للوطنيين الكورد من معلومات تخص ثورة العشرين تقريبا[٢]!

أما المؤرخون العراقيون فقد تحدثوا عن موضوع المشاركة الكوردية في هذه الثورة بشكل عرضي وعابر أو ضمن معالجتهم لمواضيع اخرى متعلقة بتلك الحقبة من تاريخ العراق، ودفع كل ذلك ببعض المتتبعين والمستشرقين الاجانب الى الاعتقاد بأن الكورد لم يسهموا اصلاً في ثورة العشرين، فيما تطرق بعضهم الى الموضوع في نطاق ضيق ودون ان يتجنبوا الوقوع في أخطاء وهفوات واضحة.

والواقع ان التغافل عن دور الكورد في هذه الثورة وتهيئة ظروفها يعد اجحافاً بالغاً بحق تاريخهم وتراثهم النضالي والوطني المعروف، وعليه فان الامانة التاريخية تستوجب السعي الجاد من اجل رفع هذا الحيف ومنح الكورد موقعهم الحقيقي الذي يستحقونه في ثورة العشرين[٣]

٢- تعد مذكرات الاستاذ رفيق حلمي، الجزء الثالث، استثناء من تلك الحالة، فقد وردت فيها شذرات هامة بصدد الموضوع، وينقل الاستاذ حلمي صوراً واقعية عن احداث صيف ١٩٢٠ في بغداد وذلك لاشتراكه فيها شخصياً، حيث نظمت هناك المظاهرات والاجتماعات الجماهيرية عشية الثورة والتي اشتركت فيها الاوساط الكوردية في العاصمة، هذا اضافة للدور البارز الذي اضطلع به بعض الاشخاص الكورد هناك قبل الثورة واثنائها، والذين ورد ذكرهم في المذكرات المذكورة.

٣- ساهم الاستاذ المؤرخ د. كمال مظهر بجهود قيمة مشكورة في هذا المجال، وقدم غيره مساهمات متفرقة هامة بدورهم ايضاً.

ولاشك ان محاولة كهذه تعد تثميناً لتاريخ الكورد النضالي وامراً ضرورياً في نفس الوقت لتفنيد الآراء والمزاعم الخبيثة التي روج لها المستعمرون الذين دأبوا على تصوير ثورة العشرين الوطنية وكأنها مجرد تمرد عربي متخلف محدود في وسط وجنوب العراق وعلى رقعة ضيقة من الفرات الاوسط.

واذا كانت ثورة العشرين قد سبقها نضال جماهيري دؤوب في مختلف ارجاء العراق (وفي مقدمتها النجف) فان مناطق كوردستان المختلفة كانت متميزة بدورها في هذا المجال، فلم يمض وقت طويل على احتلال الانگليز لكوردستان العراق في اواخر الحرب العالمية الاولى، حتى أنفجرت هناك سلسلة من الحركات الثورية والانتفاضات المسلحة المتواصلة كلفت المحتلين الكثير من طاقاتهم البشرية والمادية ومجهوداتهم العسكرية، وكان لذلك صدى مؤثراً في اجزاء العراق الاخرى التي كانت تعيش حالة عامة من السخط والتذمر على المحتلين.

والواقع كانت عوامل الاستياء من سياسات الانگليز الاستعمارية وأساليبهم القمعية واستهانتهم بمشاعر ومقدسات شعبنا تزداد حدة يوماً بعد يوم في كوردستان حالها حال الوسط والجنوب من الوطن وكان لذلك اثره المتميز في مجمل العوامل التي هيأت الظروف الموضوعية لاندلاع الثورة التي لم يكن بوسع كوردستان ان تبقى بعيدة عنها ورغم كل المساعي التي بذلها المحتلون بهذا الخصوص.

وقعت الانتفاضة الكوردية الاولى في منطق زاخو عندما ثارت عشيرة گويان[٤] على المحتلين في ربيع عام ١٩١٩ وكان اول ما قاموا به هو تدبيرهم خطة اغتيال معاون الحاكم السياسي في زاخو الكابتن (پيرسون) اثناء استطلاعه لاوضاع عشائر المنطقة وفي مقدمتها عشيرة گويان، حيث استغل (حسو دينو) احد رؤساء العشيرة وجود المسؤول

٤- كانت عشيرة نصف متنقلة، بلغ تعدادها انذاك اكثر من الفي اسرة، وعدد مسلحيها اكثر من الفي شخص.

المذكور في منطقته فلم يشأ ان تفلت منه فرصة اغتياله وذلك بالنظر لما عرف به هذا المسؤول من سعيه المحموم الى بث بذور الفساد والفتنة والشقاق بين السكان. فارسل (حسو) أتباعه وأردوه قتيلاً بين قريتي بيجو وماركة في ٤ نيسان ١٩١٩ دون ان يصيبوا مرافقيه وحراسه بأذى، فاسرع (لچمن) حاكم الموصل السياسي بالحضور الى زاخو لاحتواء الازمة حيث وجه الطائرات لقصف مناطق گويان وأمر باستخدام كل اساليب القسوة والبطش لاخماد الانتفاضة التي اتسع نطاقها لتشمل العشائر المجاورة. وقبل ان يفلح المحتلون في قمع تلك الانتفاضة التي دامت حتى أواخر الصيف، اندلعت في السليمانية الانتفاضة الاولى للشيخ محمود بتاريخ ٢١ مايس ١٩١٩، ثم اعقبها الشيخ الحفيد بانتصاره التاريخي على قوات الانگليز القادمة من كركوك، عند مضيق طاسلوجة في اواخر مايس. لكن المؤسف ان تلك الانتفاضة انتكست عقب واقعة دربندي بازيان المشؤومة في حزيران من العام المذكور، وكان من نتائجها جرح الشيخ واسره ثم محاكمته ونفيه الى الهند لاحقاً. وبذلك أصيبت الحركة الثورية الكوردية بضربة كبيرة لكنها لم تقض على عزيمة وهمة شعبنا رغم مرارتها فأستمرت مظاهر المقاومة والكفاح في العديد من أرجاء كوردستان وانتقل ثقل الانتفاضات من جديد الى منطقة بهدينان[٥] التي كانت مدنها وقصباتها سوحاً للعديد من الوقائع والمعارك المشهودة، فشهدت المنطقة قبل حلول عام ١٩٢ مصرع العشرات من قوات الاحتلال بمن فيهم عدد كبير من ضباطهم ومسؤوليهم ومنهم الحاكم السياسي لمنطقة الموصل (بيل) ومعاون الحاكم السياسي في العمادية (دايلي) ومعاون الحاكم السياسي في عقرة الكابتن (سكوت) وآخرين غيرهم.

والواقع أن الانفجارات العديدة التي شهدتها كوردستان ساهمت

٥- تشمل منطقة بهدينان ضمن كوردستان العراق، محافظة دهوك وأرجاء شاسعة من الموصل حالياً.

كل أو بأخر في تهيئة جو اكثر ملائمة للانفجار الاكبر المتمثل بثورة العشرين، حيث أنها اسهمت جدياً في اضعاف موقع الانكليز في جزء حساس ومهم من البلاد وكما اقرت بذلك الوثائق الرسمية البريطانية صراحة. ومن جانب آخر كانت اخبار الانتفاضات الكوردية تنتشر بين الناس في مناطق العراق الاخرى، فلم يكن بالامكان اخفاء مثل تلك الاحداث الكبيرة التي كانت تتكرر بين يوم وآخر، يضاف الى ذلك ان تلك الاحداث ساعدت على كشف القناع عن وجه المحتل الجديد وسياسته الماكرة، كما بينت انه (أي المحتل) ليس بالقوة التي لايمكن تحديها ومواجهتها، وهي بهذا لعبت دوراً كبيراً في تهيئة الجماهير الكادحة من عربية وكوردية للمعارك المقبلة ضد المحتلين.

ومع كون دور الكورد مؤثراً في التمهيد لثورة العشرين فأن هناك جملة من العوامل ساهمت في تحديد المشاركة الكوردية في الثورة بعد اندلاعها وتأتي في مقدمتها الضربات القوية التي وجهها المحتلون لابناء كوردستان خلال انتفاضاتهم المتكررة التي سبقت الثورة، ونجاح الانكليز في كسب العديد من رؤساء العشائر والمتنفذين الى جانبهم وتحريضهم لضرب الثورة وقمعها، كذلك سعي المحتلين الدؤوب الى تصوير الثورة وكأنها تمرد عربي متخلف، مع تأكيدهم عن قصد، على ان الشيعة هم الذين يقودونها. وقد وقع الكثيرون فعلاً تحت تأثير الدعاية الانكليزية فيما يخص الطابع القومي والديني للثورة. كذلك لم تتخذ قيادة الثورة مع كل اخلاصها وجرأتها، الاجراءات الكفيلة بدفع الاوساط الكوردية نحو المساهمة الفاعلة في الثورة وذلك رغم أهتمامها المبدئي بضم العشائر العربية والكوردية معاً الى الثورة والاعتماد عليها جميعاً في الكفاح المسلح. يضاف الى ذلك أن (مكتب الثورة) الذي لعب دوراً قيادياً هاماً خلال الثورة وقبلها، لم يوفق حتى في ارساء فرع واحد له في كوردستان ولم تكن لقادة الثورة دراية حقيقية بأوضاع كوردستان وطبيعة مسألتها القومية، كما لم تكن لهم سياسة واضحة تجاه هذا الجزء الهام

من البلاد والذي كانوا مخططين له ان يكون ضمن حكومتهم المستقلة المنشودة، ولم يكلف احدهم نفسه بنشر بيان او بلاغ واحد في احدى صحيفتي الثورة (الفرات والاستقلال) يشير فيه من قريب او بعيد الى هذا الموضوع. ولولا تفاعل تلك العوامل والظروف وغيرها، لكان بأمكان شعبنا الكوردي أن يلعب دوراً اكبر وابرز في احداث ثورة العشرين، ومع ذلك كان لدوره الذي قدر له ان يلعبه في تلك الحقبة الهامة من تاريخ العراق، مكانة متميزة في سجل شعبنا النضالي باعتباره بداية عهد هام ومشرق من النضال العربي - الكوردي المشترك الذي تحول الى عنصر محرك اساسي لمجمل حركة التحرر الوطني العراقي.

لهيب الثورة يمتد الى خانقين

انطلقت الشرارة الاولى من ثورة العشرين من الرميثة يوم ٣ حزيران ١٩٢ عقب اعتقال سلطات الاحتلال للشيخ (شعلان ابو الجون) ثم اطلاق سراحه عنوة من قبل اتباعه، فكان الحادث مناسبة لانفجار السخط الجماهيري العارم واعلان الثورة المرتقبة على المحتلين والتي عمت ارجاء الوطن المختلفة وبضمنها كوردستان التي اتخذ اشتراك ابنائها فيها (في الثورة) طابعاً عفوياً غالباً ولم يتم بشكل واحد او بنفس الزخم عموماً.

امتد لهيب الثورة الى منطقة ديالى في ٦ آب ثم انخرطت فيها العشائر الكوردية المجاورة، لاسيما عشائر خانقين[٦] حيث يؤكد العارفون وجود تنسيق مسبق بين ابراهيم خان الدلو في كفري و خورشيد بگ الدلو في خانقين بصدد اعلان الانتفاضة في حدود منطقتيهما المجاورتين وفي وقت واحد.

وجه ثوار خانقين ضربتهم الموجعة الاولى في ١٤ آب عندما حرروا قزلرباط (السعدية) اولاً، ثم احرقوا مقر الحكومة داخل خانقين وهاجموا

٦- وهي عشيرة الدلو التي كان يقود مقاتليها الثائر كريم خسرو بگ وعشيرة السورميري وجمع من ابناء الكاكائي والباجلان وغيرهم.

..سات النفط الانكلو - ايرانية في نفطخانة وقطعوا خطوط السكك الحديدية بين بعقوبة وخانقين وعينوا خورشيد بگ حاكماً على البلدة أطلقوا سراح الموقوفين ووزعوا موجودات المخازن الحكومية على السكان واشاعوا الامن والاستقرار في البلدة التي هرب منها معاون الحاكم السياسي الكابتن (ماترسون) وزوجته الى قصبة قورهتو المجاورة فيما وقع الطبيب الانكليزي هناك اسيراً بايدي الثوار.



إبراهيم خان الدلو

ولمعالجة الوضع في خانقين، سارعت قوات الاحتلال الى اتخاذ اجراءات عاجلة للحيلولة دون اتساع نطاق الانتفاضة ودرء تهديدها لخطوط مواصلاتهم مع ايران، وقد اشرف الكولونيل (لاكين) على العمليات العسكرية في هذه الجبهة فأرسل قوة للسيطرة على الوضع هناك. لكنِ الثوار وفقوا في التصدي لها، ثم شنوا في ١٦ آب هجوماً واسعاً على محطة قطار خانقين التي كانت تتمركز فيها قوات العدو فوقعت معركة طاحنة بين الطرفين بلغت تضحيات الثوار خلالها ١٥ شهيداً.

وجراء تدهور الموقف اضطر الانكليز الى جلب تعزيزات اضافية بالسيارات من قزوين وكرند الايرانيتين كما استعانوا برجال العشائر الموالية لهم هناك لضرب الثوار، فتمكنوا بذلك من احتلال بعض القرى المحيطة بخانقين في ١٩ آب ثم دخول البلدة نفسها في اليوم التالي وتبعاً لذلك فر الكثيرون من الاهالي الى داخل الحدود الايرانية ضمن (قصر شيرين) فيما استمرت أعمال القمع والانتقام بحق المتبقين داخل البلدة. ورغم الصعوبات الجمة التي واجهها الثوار المنسحبون من خانقين

فـإنهم واصلوا تجـمـيع صـفـوفـهم وتحـديهم الشـجـاع للعـدو الذي افـادت التـقـارير الواردة اليـه في ذلك الظرف بأن الثـوار تمكنوا من تعـزيز قـواتهم وشـراء كـميات كـبيـرة من الاسلحة والاعـتدة وبأن هناك احتمـالاً بانضمـام العشـائر الكوردية الايرانيـة الى جانبـهم وقد عـزز توقـعـات الانگليـز هذه قـيـام حـوالي ٣٠ مـسلح من رجـال العشـائر المسـلحين بمهـاجمـة القـوات البريطانيـة المـنهمكة في اصلاح الخط الحديدي بين السـعـدية وخانقين والتي انقذتها من الخطر التعزيزات العاجلة القادمة من خانقين فأجبر الثوار على الانسحاب بعد ان سقط منهم حوالي ٤٠ شهيداً.

ساعـدت الظروف الانگليز في اعادة سيطرتهم تدريجيـاً على كل ارجاء خانقين وبالاخص عقب اعتـمادهم المتزايد على مسلحي العشائر الايـرانيـة المواليـة لهم وتحديداً مـن الكلهـور والسنجـاويين الذين سـمـح لهـم المحـتلون بنهب كل ما يستطيعون الحصول عليه من الغنائم والمكاسب.

واخيراً لم يبق امـام الثوار، وبفعل ضغوطات المحتلين ومـرتزقتهم، سوى اللجوء الـى المناطق الجبليـة الحدودية الوعرة والتـحصن هناك ثم التـخطيط لاجتيـاز الحدود، لكن المؤامـرات توالت ضـدهم، فأصـابتـهـم احداها بضـربة مـؤلمة عندمـا تمكنت شـرذمـة من السنجـاويين مـن اغتـيـال عـدد من زعـمـاء الثورة وبضمنهم الثائر الشجاع كريم خسرو بگ.

لم يهنأ الانگليز باعـادة احتلال خانقين كثيـراً، فسـرعان ما امـتد لهيب الثـورة الى مناطق كـوردسـتـان الاخـرى سريعـاً، فـفي مندلي تلك البلدة الكوردسـتـانيـة الحدوديـة الاصيلة، انتـفـض سكانهـا من الكورد والعـرب على المحتلين واستلموا زمـام الامور فـيـهـا برئاسة (موسى افندي) قبل ان يحـتلهـا الانگليـز مـجـدداً، وفي طوزخـورمـاتو و كـفـري فـوجئ المحـتلون بصدمات وخيبات مريرة اخرى عندما ثار اهلنا الطيب هناك وحرروا هاتين البلدتين العـريقـتين من براثن العـدو عـقب صولات شـجـاعـة برهنـوا خلالهـا على اصـالة نهـجـهم النضـالي الشـجـاع وصدق انـتـمـائهم الوطني الاصـيـل واخلاصهم الكبير لشعبهم ووطنهم.

كفري وطوزخورماتو، والثورة واحدة!

اندلعت الانتفاضة في طوزخورماتو بقيادة رفعت اسماعيل بگ الداودي، المعروف بعدائه الشديد للانگليز وولائه اللامحدود للشيخ محمود الحفيد الذي كان رفعت يستهدف اطلاق سراحه واعادته من المنفى عن طريق الضغط على الانگليز، وكان بينه وبين ابراهيم خان الدلو في كفري تخطيط مسبق بهذا الشأن.

تمكن رفعت بگ واتباعه وباسناد ودعم عشيرتي البيات والسائح[٧] المتحالفتين معه من تحرير بلده طوزخورماتو واخضاعها لسيطرتهم التامة في ٢ آب ١٩٢ حيث انزلوا العلم البريطاني فيها والفوا مجلساً محليا برئاسة رفعت بگ وعضوية قادة الثورة اضطلع بتسيير شؤون البلدة. اما كفري الناقمة على الانگليز بدورها فأنها كانت متأثرة بانباء نجاحات الثوار في الوسط والجنوب والتي كانت تصلها عبر (الخالص) غالبا ومع شيء كثير من المبالغة والتهويل. وكان لاحداث خانقين تأثيرها المباشر بلا شك على كفري، خاصة وان ابناء الدلو الموزعين على المنطقتين المتجاورتين كانوا يشكلون قوتين رئيستين في الثورة هناك. وبحسب بعض المصادر فقد جرى اتفاق مسبق بين فرعي العشيرة بصدد الثورة على الانگليز معاً، مثلما اسلفنا. كما كان لاحداث طوزخورماتو المجاورة صداها وتأثيرها على الوضع في كفري وخاصة في ظل العلاقات الوثيقة بين قادة الثورة في كلتا المنطقتين الجارتين. كما اشرنا.

وفي الواقع كانت كفري، عهدئذ متاهبة للثورة على المحتلين في اية لحظة، وذلك بسبب تذمر اهلها من الممارسات القمعية والمظالم التي دأب المحتلون على ارتكابها هناك لاسيما معاون الحاكم السياسي الكابتن سالمون (سليمنت أو شليمون) ومساعده، وسعيه الدائم (نقصد سالمون) الى اطلاق ايادي الموالين للانگليز في شؤون المنطقة وتعيينهم في الوظائف والمراكز الحساسة والهامة.

٧- البيات عشيرة مؤلفة من التركمان والعرب، والسائح قبيلة عربية.

انطلقت الشرارة الاولى من الانتفاضة الموعودة في كفري بقيادة ابراهيم خان الدلو في ٢٢ آب ١٩٢ وقد سبقتها اعمال ثورية جريئة نفذها السكان الثائرون القاطنون في القرى الواقعة غربي كفري ضد المعسكر الموجود عند كنگربان والخط الحديدي المار هناك[٨]

كان ابراهيم خان واتباعه الثوار متحصنين في مواقعهم على جبل باوه شاسوار المطل على كفري قبل ساعات من انتفاضتهم التي إندلعت مع انبلاج فجر اليوم المذكور،ولم يكن تشخيص الثوار صعباً في اعلى الجبل الكائن شرقي البلدة وهم يمدون فوهات بنادقهم نحو مركز الدرك الكائن اسفل الجبل. ومع دوي الاطلاقات الاولى المنطلقة من باوه شاسوار، ساد الحماس والعزم سكان كفري الكادحين من الكورد وأخوتهم التركمان المستبشرين بالثورة التي انتظروها، وأضافة الى ابراهيم خان واتباعه من الدلو، كان ابناء الروغزائي والترخاني من افخاذ الجاف يطوقون البلدة من الشرق، فيما كان الفلاحون الثائرون من سكان القرى الغربية والجنوبية المحيطة بكفري يتأهبون بدورهم للتوجه الى داخل البلدة.

وبغية تدارك ذلك الوضع الخطير سارع (سالمون) مع بعض وجهاء المنطقة الى جبل باوه شاسوار بقصد اقناع ابراهيم خان بالتوقف عن انتفاضته، لكن زعيم الانتفاضة لم يذعن لذلك بل أمر باحتجاز سالمون وارساله اسيراً الى قريته (ئاوايي ابراهيم خان) ثم بدأ الهجوم على كفري من ثلاث جبهات.

وبعد ساعات من القتال حرر الثوار بلدة كفري بعد ان كبدوا المحتلين عدداً من الجرحى والقتلى الذين تناثرت جثثهم في ساحة السراي والطرقات، ثم شكل الثوار هناك حكومة مؤقتة برئاسة ابراهيم خان وعضوية شقيقه اكبر وويسي بگ الدلو وحميد عبدالرحمن كاريزي والحاج

٨- يقع هذا الموقع غربي كفري وكانت توجد قربه حامية انكليزية مجاورة لمحطة السكك الحديد التي انشأها الانكليز حديثاً لمقتضيات مصلحتهم الاستعمارية في المنطقة.

محمد الترخاني ومحمد جان الروغزائي وفتحت الدوائر ابوابها لتمشية امور المواطنين ووزعت المؤن التي تم الاستيلاء عليها، على المواطنين مجانا

وعقب فشل المحاولات التي بذلها الانكليز بهدف اعادة سيطرتهم على كفري، ولاسيما في اعقاب نجاح الكمين الذي نصبه فلاحو القرى الجنوبية والغربية على الخط الحديدي واستيلائهم على القطار القادم من جلولاء والمحمل بالامدادات والذخائر لمعسكر كنگربان ثم اشعالهم النار فيه، اضطرت سلطات الاحتلال الى اجراء المفاوضات مع ابراهيم خان عن طريق ممثلها مراد مبارك، فيما مثل الثوار محمد سعيد الونداوي.

عرض المحتلون على ابراهيم خان مبلغ ٥ الف روبية ومنصب قائمقام كفري لقاء اطلاق سراح سالمون والكف عن الثورة، لكن ابراهيم خان اشترط اطلاق حرية الشيخ محمود واعادته من النفي قبل الشروع بتنفيذ اية مطالب من قبله. وبهذا فشلت المفاوضات بين الطرفين، فلجأ الانكليز الى استخدام القوة انطلاقاً من كنگربان لحسم الموقف فجهزوا قوة كبيرة مدعومة من حلفائهم في المنطقة، لكن محاولتهم تلك كلفتهم غالياً عندما اندحر المهاجون وتكبدوا عشرات القتلى والجرحى الذين كان بينهم جمع من الهنود، فيما بلغت تضحيات الثوار ٧ شهداء بينهم الثائر المعروف حميد عبدالرحمن كاريزي، وترددت شائعات بشأن استشهاد ابراهيم خان نفسه، أدت الى مصرع الكابتن سالمون (المحتجز اصلاً) من قبل حارسه القليل الصبر رشيد محمد سنجان الذي تعرض بسبب ذلك الى تعنيف ومعاقبة زعيم الانتفاضة فوراً.

كانت الاحداث تلك بمثابة نذير شؤم للانكليز الذين نشط حاكمهم السياسي في كركوك (لونگريك) لتحشيد اكبر عدد ممكن من افراد العشائر المتحالفة معهم بصدد احتلال كفري وطوزخورماتو ثانية، فانطلقت من كركوك قوة كبيرة مجهزة بالمدافع والاسلحة الثقيلة بأمرة (الميجر مولوي) سلكت طريق ليلان - قرەحسن باتجاه طوزخورماتو،

فتصدى لها في الطريق الشيخ قادر سيامنصور واتباعه لكن الطائرات البريطانية تدخلت في المعركة فاحرقت قرى الشيخ المذكور وشتت قواته فأجبروا على الانسحاب باتجاه التلال المتفرقة هناك.

وفي اليوم التالي وصلت القوة المعادية مشارف طوزخورماتو بعد ان التحق بها في الطريق بين داقوق وطوز، المزيد من الاتباع المتحالفين مع الانگليز، ثم ارسلوا تحذيراً شديداً الى الثوار بوجوب اخلاء البلدة، لكن الثوار آثروا المقاومة والتحدي بكل شجاعة، فدرات على الفور معركة شرسة أستخدم فيها العدو طائراته ومدافعه لقصف طوزخورماتو بعنف، فانتهت الواقعة بسقوط البلدة وانسحاب الثوار منها بعد أن قدموا ٤٤ شهيداً وعدداً كبيراً من الجرحى، وهم من ابناء الداودي والبيات والسائح الذين امتزجت دماؤهم الزكية في دروب وأزقة طوزخورماتو التي شهدت في ذلك اليوم صورة رائعة من التلاحم النضالي بين الكورد والتركمان والعرب.

ولم يكن أمام رفعت بگ الداودي ورفاقه سوى اللجوء الى التلال الواقعة شرقاً فيما طالت اعمال الحرق والتدمير عشيرته بين طوز وداقوق، كما فرض المحتلون غرامات باهظة على العشائر الثائرة هناك.

واصل المعتدون سيرهم باتجاه كفري، عقب احداث طوزخورماتو وهم يحرقون وينهبون في طريقهم قرى المنطقة ويحيلون بمدافهم اكواخ الفلاحين رماداً، ثم التم شملهم في معسكر كنگربان مع سائر حلفائهم من اغوات القرى القريبة من كفري[٩]. وأخيراً بدأت استعداداتهم لاقتحام كفري على غرار شقيقتها الجريحة طوزخورماتو، فبدأت الطائرات تحوم على ارتفاع منخفض لتحديد مواقع الثوار وتمركزهم تمهيداً لضربها بالمدافع الثقيلة المنصوبة جنوبي البلدة. ولم يمض وقت طويل حتى انهالت حمم

٩- وهم الشيخ حميد الطالباني من منطقة كل و مراد مبارك رئيس الشبانة (قدما مع القوة البريطانية القادمة من كركوك الى كفري)، والشيخ عبدالوهاب الطالباني نجل الشيخ حميد وعبدالكريم آغا الزنگنة، وجميل بابان من اغوات منطقة كفري.

القذائف على الثوار في باوه شاسوار، وبدأت الرشاشات تصلي البيوت والطرقات داخل كفري، وتصاعدت السنة اللهب والدخان الاسود من القرى المحيطة بكفري شرقاً وغرباً بينما كانت حشود الانكليز وحلفائهم تزداد بالتدريج وسيل المهاجرين النازحين من القرى المشتعلة يتقاطر على البلدة من كل حدب وصوب، فيما كان الثوار متحصنين استعداداً للمنازلة بكل شجاعة واصرار وبدا واضحاً أن العدو لايتورع عن حرق البلدة وتدميرها كاملة وهو يزحف اليها من كل الجهات. فعقد ابراهيم خان ورفاقه ووجهاء كفري اجتماعاً قرر فيه الثوار الانسحاب من البلدة حماية لارواح وممتلكات أهلها، فسار ويسي بگ وجمع كبير من أبناء الدلو وعوائلهم جنوباً بأتجاه جبل حمرين فيما توجه ابرهيم خان وبعض رفاقه نحو المناطق الوعرة شرقاً وبهذا أصبح الدرب سالكاً أمام العدو لدخول البلدة مجدداً في اوائل ايلول[١٠] فبدأت الاعتقالات والمطاردات واعمال القمع والنهب وحجز الاموال والاملاك بحق السكان المشاركين في الانتفاضة. وعلى العموم كانت روح الانتقام والشر طاغية على المحتلين والاغوات المتعاونين معهم، فاستنجد أهل كفري بـ(عمر آغا) الشخصية المعروفة في المنطقة والذي التمس بدوره من الاغوات المتعاونين مع الانكليز راجيا حماية ارواح وممتلكات المواطنين المغلوبين على امرهم، فنجوا بذلك من فاجعة مريرة كانت بانتظارهم خلال الايام الاولى من عودة سلطات الاحتلال الى المنطقة.

نعود الى ابراهيم خان ونقول، بانه حاول اعادة الثورة من جديد إنطلاقاً المناطق المتاخمة لكفري من الشرق، وتحديداً من مضارب عشيرتي الروغزائي والترخاني الحليفتين معه، لكنه سرعان ما أيقن أن محاولته

١٠- هناك تضارب بصدد هذا التأريخ فيحدده د. كمال مظهر بـ(٣٠ آب) ومصطفى نريمان بـ(١٠) ايلول ويبدو لي ان هذا الاخير ربما هو الارجح، والملاحظ أن هناك تقارباً بشكل عام بين تفاصيل وتواريخ أحداث انتفاضتي خانقين وكفري كما اوردها الباحثان المذكوران، لكن د. مكرم الطالباني حدد اواخر تشرين الاول كموعد لبدء انتفاضة ابراهيم خان في كفري

تلك ستعرض المنطقة الى المزيد من الويلات، فقرر الرحيل شمالاً نحو ديار الداودي في طوزخورماتو حيث لم يفلح هناك ايضاً في مسعاه بصدد اشعال الثورة مجدداً، فقرر اجتياز التلال الموجودة والتوجه مع رفاقه جنوباً نحو مناطق البيات فيما كان الاعداء يترقبونه ويترصدونه.

وصل ابراهيم خان قرية تل شرف في مطلع كانون الثاني ١٩٢١ حيث نزل في ضيافة محمد حسون البياتي رئيس فخذ (دلالو) من عشيرة البيات وهو بصدد مواصلة رحلته في اليوم التالي باتجاه جبل حمرين واللحاق بأهله الذين لجأوا الى هناك، وشاءت قدرة الباري أن تكون ليلته هناك آخر ليلة في حياته، حيث توفي متأثراً باعراض الحمى التي اشتدت عليه بين أحبته من اهل البيات، ثم سير جثمانه في موكب مهيب ضم المئات من الفرسان الكورد والعرب والتركمان ليُدفن في مقبرة قرية (عمر مندان) بكل مهابة وتعظيم، بعده واصل اصحابه رحلتهم باتجاه ملاذ الاهل في جبل حمرين.

وسرعان ما أصبح قبر (إبراهيم خان) مزاراً يتوافد عليه الشرفاء من أهل المنطقة فاغاظ ذلك الانكليز الذين كلفوا عملاءهم بنبش قبر الثائر الراحل واخراج جثمانه والتخلص منه بهدف محو ذكرى صاحبه نهائياً! لكن رفاقه الاوفياء فوتوا على المحتلين ومأجوريهم تحقيق مخططهم القذر هذا وسارعوا لنقل رفات زعيمهم العزيز على قلوبهم الى جبل حمرين لحمايته من كيد وعبث الخونة الحاقدين، فدفنوه هناك، في مقبرة (الصنيدج) حيث يشمخ الآن في مرقده حتى بعد موته، ومازال اخبار بطولاته ومآثره ومفاخره الخالدة تحظى بالاعجاب والتقدير وتثير الحماس والعنفوان.

الوضع في اربيل والسليمانية اثناء الثورة

يظهر مما تقدم، أن اهلنا في گەرميان[11] لعبوا دوراً وطنياً مشهوداً وإسهاماً فاعلاً اثناء ثورة العشرين الوطنية التي استرخصوا خلالها الارواح والاموال وعانوا بسببها من المصاعب والاهوال، لكن عزاءهم هو أنهم سجلوا بنضالاتهم وتضحياتهم تاريخاً نضالياً مشرفاً تفتخر به امتهم دوماً

وفيما يخص ارجاء كوردستان الاخرى فيمكن القول بأن مجموعة العوامل والظروف القاهرة التي اشرنا اليها، ساهمت مجتمعة في تحديد دورها وتحجيم مشاركتها في الثورة، لكن وبالرغم من ذلك، فأن مدناً وقصبات عدة ضمن تلك المناطق، أمكن لها ان تحقق مساهمة فعالة في الثورة وتفشل مخططات ومساعي الانكليز الهادفة الى عزلها عنها (اي عن الثورة).

وبالنسبة لاربيل وبعض توابعها، فأن محاولات الانكليز الهادفة الى احتوائها لم تحقق لهم اهدافهم المرجوة وأن مخططاتهم المبذولة منيت بالخيبة والاحباط، خصوصاً وأن الاجواء هناك كانت متأثرة الى حد كبير بمعطيات الانتفاضات المتكررة السابقة التي عمت كوردستان وانتفاضة تلعفر بداية حزيران ١٩٢ التي شكلت احدى مقدمات ثورة العشرين الهامة حيث تجسدت فيها اردة ونضال جميع القوميات في العراق بصدد مناهضة الاحتلال والتي تركت صداها الواسع في سائر المناطق الاخرى عموماً واربيل خصوصاً.

فمنذ اندلاع ثورة العشرين في العراق بدأ ابناء اربيل يعقدون اجتماعات عدة اعربوا فيها عن تأييدهم المطلق للثورة ونظموا حملات دعائية واسعة مناهضة لسلطات الاحتلال. وتزامناً مع توارد اخبار

١١- يطلق الكورد تسمية (گه رميان أو گه رمه سير) على المناطق الحارة ضمن وطنهم وهي تشمل في سياق بحثنا مناطق خانقين ومندلي (ضمن محافظة ديالى) وكفري وطوزخورماتوو وداقوق وليلان وقره حسن... ضمن كركوك.

انتصارات الثورة في الوسط والجنوب تفاقمت الاوضاع اكثر بالنسبة للمحتلين، واتخذ الموقف ضدهم طابع النضال العلني. ففي بداية شهر آب جرت محاولة لاغتيال الكابتن (هي) حاكم المدينة السياسي ثم تبعتها محاولة لحرق داره التي اضطر لاحقاً لتركها والعيش في الثكنة العسكرية استعداداً للهرب في اي وقت. وفي ١٢ آب جرت محاولة ثانية لاغتياله عند مضيق راوندوز ومعه زوجته فنجيا من الموت باعجوبة، كما جرت محالات عدة لاغتيال مساعده ايضاً.

وعموماً فقد (هي) سلطته الفعلية على المنطقة واضطرت سلطات الاحتلال الى نقل موجودات خزينة اربيل الى كركوك وقامت باجلاء العديد من موظفيها الى خارج المدينة. ولتدارك ذلك الوضع المتأزم اضطر (ولسن) وكيل الحاكم البريطاني العام في العراق الى زيارة اربيل جواً بتاريخ ٨ ايلول ترافقه ثلاث طائرات حربية!

اجتمع (ولسن) بالمسؤولين وجمع غفير من ابناء المدينة الذين تحدث اليهم في خطاب مطول عن انتصارات الانكليز في الفرات الاوسط ومشدداً على ان الوضع هادئ في السليمانية، كما استغل المناسبة لتوجيه الشكر الى المتعاونين مع السلطات من رؤساء العشائر والمتنفذين وغيرهم.

لم تمض ايام معدودات على عودة ولسن الى بغداد حتى تم الكشف عن خطة لطرد المحتلين من اربيل واقامة حكم محلي فيها مما اجبر السلطات لارسال قوتين عسكريتين من الموصل وكركوك تمكنتا بمساعدة العشائر الموالية لهم من السيطرة على المدينة التي ظلت الاجواء فيها تتسم بالحذر والتوتر ردحاً من الزمن.

ورغم أن الانكليز تمكنوا من فرض سلطتهم على اربيل منتصف ايلول فأن الاوضاع في أطرافها ظلت خطيرة لفترة أطول وخصوصاً في كويسنجق التي غادرها معاون الحاكم السياسي (كيرك) منذ ٨ أيلول. وكان الثوار قد قطعوا خطوط التلغراف بينها وبين أربيل ولم يفلح

المحتلون في بسط نفوذهم عليها مجدداً واعادة ادارتهم اليها حتى شهر تشرين الاول.

واستمرت خطورة الاوضاع في منطقة خوشناو طيلة شهر آب واوائل شهر ايلول، ومن جرائها فقد العدو العديد من جنده وكذلك الحال بالنسبة لـ(باتاس) التي حررها ابناؤها السورچي مطلع ايلول، وراوندوز التي حوصرت حاميتها التي تمكنت لاحقاً من الانسحاب الى أربيل بصعوبة بعد تكبدها العديد من القتلى. يذكر أيضاً ان معركة كبيرة أخرى دارت رحاها بالقرب من الزاب الكبير في ١٥ ايلول أسفرت عن تضحيات كبيرة في صفوف السورچي الثائرين.

وعموماً فأن نشاطات الثوار من عشائر اربيل كانت فاعلة ومستمرة لفترة من الزمن ولاسيما من جانب ابناء عشيرتي السورچي وخوشناو الذين فرضوا خلال ايلول نوعاً من الحصار على مدينة اربيل وبشكل جعل الانگليز هناك قلقين ومستعدين للهرب دوماً.

أما بالنسبة للوضع في السليمانية اثناء ثورة العشرين فانه لم يكن خطيراً هناك قياساً الى معظم المناطق الاخرى ذلك لانه لم تكن قد انقضت بعد سوى أشهر قلائل على انتكاسة انتفاضة الشيخ محمود الاولى التي كان السكان مايزالون يعانون من وطأتها ومرارتها، كما كان الميجرسون حاكم السليمانية السياسي، فاعلاً في التأثير على اوساط متنفذة داخل السليمانية كالتجار الحريصين على مصالحهم ولفيف من المثقفين ومعظم الضباط السابقين في الجيش العثماني الذين عينهم (سون) في المناصب الحساسة، هذا اضافة الى نجاحه في كسب ولاء عدد من رؤساء العشائر الى جانب الانگليز. وخلاصة القول ان (سون) الذي وصفه (ولسن) يوماً بالخبير الفذ في شؤون الكورد وبلادهم، قد عمل جاهداً كي يسبق الأحداث استناداً الى دهائه وشخصيته الطاغية ومخططاته الاستعمارية الواسعة، فأشاع جواً ثقافياً نشيطاً في السليمانية ومارس اسلوب الاغراءات المادية ومنح الامتيازات من جهة،

وأسلوب الترهيب والوعيد من جهة أخرى وذلك تبعاً لمقتضيات الموقف ومصالح الاحتلال البريطاني في المنطقة.

لاننسى ايضاً الدور السلبي الذي لعبته صحيفة (پيشكه‌وتن)[١٢] بهذا الصدد، حيث دابت على تصوير ثورة العشرين كحركة عربية صرفة لاتهم الكورد في شيء. كما ركزت على انباء الاندحارات المستمرة للعشائر العربية وخسائرها الكبيرة في الارواح والاموال وقد جاء في العدد ١٦ من الصحيفة: (طارد الجيش العشائر عند الجوبوعية والحلة وأحرق القرى الكائنة في شرق الحلة والتي كان يتحصن فيها العدو ثم سلم الاهالي انفسهم وبعدما تأكد وجود جماعة من العرب في المحمودية، تابعهم الجيش وبعد مواجهة دامت نصف ساعة فر العرب تاركين قتلاهم وجرحاهم).

پێشكه‌وتن

كما ابرزت الصحيفة اوامر السلطة الصارمة وأخبار أحكام الموت الصادر بحق الثوار وفرض الغرامات عليهم وقطع المياه عنهم ونورد هنا بعض الامثلة والشواهد على ذلك فقد ورد في العدد ١٧: (ارسل الجيش الى الهندية فقطعوا المياه عن العشائر المساهمة في التمرد) وفي العدد ١٩: (تحركت أرتال الجيش يوم امس الى ارجاء داقوق ودخلت قرية رفعت بگ الداودي... فاضرمت النيران في القرية والبساتين الموجودة هناك ولم

١٢- هي اول صحيفة كوردية على صعيد كوردستان العراق وقد ظهرت في السليمانية واستمرت خلال الفترة من ٢٩ نيسان ١٩٢٠ ولغاية ٢٧ تموز ١٩٢٢.

تترك منها شيئاً)، وفي العدد ٢١: (بعد مساءلات مستفيضة ثبتت خيانة بعض سكان شهربان اثناء فوضى العرب لذا تم اعدام عدد من السكان لادانتهم وفرضت غرامات كبيرة على شهربان) وفي العدد ٢٣: (تم تغريم عشيرة الداودي بمبلغ ٣٥ الف روبية و ١٣ بندقية، وطوزخورماتو بسبب اشتراكها في اعمال التخريب بـ ١٧٫٥٠ الف روبية، أعفي فارس بيگ البيات وغرم بـ ٣ الاف روبية و ٢ بندقية، ولن يعفى غيرهم من البيات في الوقت الراهن).

كما حرصت الصحيفة ايضا: على نشر اخبار وصول القوات الكبيرة والاسلحة الحديثة الى بغداد والبصرة تباعاً، والتنويه بموقف الكورد الموالين لسلطات الاحتلال وتعمدت عن قصد واضح نشر أخبار القسوة والقمع والتنكيل المتبعة بحق الثوار الكورد. وكان القصد من ذلك كله ابعاد شبح الثورة عن هذه المناطق وعزلها عن مجمل الاحداث الثورية التي شهدتها اجزاء الوطن الاخرى. ومع ذلك ورغم حالة الجزر التي أصابت الحركة الوطنية في المنطقة بفعل ظروفها واسبابها الخاصة التي اشرنا اليها، فأن ابناء السليمانية استقبلوا أنباء الثورة بارتياح كبير وبالاخص من قبل انصار الشيخ محمود. كما ان أرجاء عدة من المنطقة شهدت حركات عفوية معادية للاستعمار نشير من بينها الى قيام افراد عشيرة (دزلي) الموالية للشيخ الحفيد، ببعض النشاطات الثورية في اطراف حلبجه وما اعقبها من اعمال القصف والتدمير التي نفذتها الطائرات البريطانية بحق بعض قرى هەورامان.

أما على صعيد بهدينان فأن الاوضاع توترت في بعض مناطقها اثناء الثورة ومنها عقرة التي اقر بشأنها البلاغ الرسمي الصادر يوم ١٨ ايلول ١٩٢ بأن الاحوال غير مستقرة فيها، كما كان لمقتل الكولونيل (ليچمن) على ايدي ثوار الزوبع صداه المؤثر بين سكان بهدينان الذين عانوا في حينه الكثير منه سابقاً.

ونقول في الختام أن المساهمة الكوردية في ثورة العشرين تعد صفحة

نضالية مشرقة حقاً في تاريخ النضال العربي الكوردي المشترك، وهي بحاجة الى المزيد من التقصي الجاد والبحث المعمق والى كثير من الجهد الدؤوب في هذا المجال، ويقيناً أن عملاً كهذا من شأنه أن ينصف تاريخنا وإرثنا النضالي كثيراً.

عودة الشيخ محمود الحفيد من المنفى

وسنواته النضالية الاخيرة

لم يهنأ المحتلون، كما ذكرنا، بالنتائج والمعطيات التي تحققت لهم إثر واقعة دربندي بازيان المشؤومة في شهر حزيران ١٩١٩م والتي تمخضت عن إخماد الانتفاضة الاولى للشيخ محمود الحفيد وجرحه واسره فمحاكمته ونفيه الى الهند لاحقاً، إذ سرعان ماسادت أجواء التوتر وعدم الاستقرار معظم ارجاء كوردستان العراق واستمرت أعمال المقاومة والتحدي من قبل ابناء شعبنا في مناطق عدة، وغدا موضوع إعادة الشيخ من المنفى مطلباً جماهيرياً عاماً وملحاً لم تقدر سلطات الاحتلال على تجاهله والتغاضي عنه. كما أخذت النشاطات والتحركات المعادية للانگليز في منطقة راوندوز واطرافها وتهديدات الترك لهم هناك، أخذت تثير مخاوفهم وقلقهم فعلاً وتزيد من تفاقم وخطورة الوضع المتوتر أصلاً.

وبهدف أحتواء ذلك الموقف المتأزم وتهدئة الرآي العام قرر المحتلون أخيراً الموافقة على اعادة الشيخ الحفيد من الهند، بعد انقضاء ثلاثة اعوام على نفيه، وهم يمنون النفس ان تكون تلك الفترة (اي فترة اغترابه ووجوده خارج البلاد) قد أثرت فيه وجعلته يعدل عن مواقفه الثورية وطموحاته ونواياه الوطنية والقومية السابقة.

وفي صيف عام ١٩٢٢ وصل الشيخ الحفيد بغداد قادماً من المنفى عبر الكويت، ثم واصل رحلته بالقطار صوب كفري وهو في طريقه الى السليمانية، مهد نشأته ونبوغه وتألقه، فبلغها (أي كفري) يوم ٢١

أيلول ١٩٢٢ وحظي فيها بمظاهر أستقبال رائعة ومهيبة شارك فيها الكورد والعرب والتركمان معاً.



الشيخ محمود الحفيد

وبعد ان أمضى الشيخ ثلاثة ايام سعيدة ومشهودة في ضيافة محسن آغا احد وجهاء كفري البارزين، أستأذن بالرحيل من مضيفه الشهم وسائر أهل كفري الأصلاء الطيبين، الذين ودعوه بمثل ما أستقبلوه به من حفاوة وتقدير، فوصل مع الموكب المرافق له السليمانية (نهاية ايلول) حيث استقبلته المدينة وسط مظاهر احتفالية منقطعة النظير ومشاهد عاطفية مؤثرة للغاية.

ولم يمض وقت طويل على عودته للسليمانية، حتى ثار الشيخ ثانية على المحتلين الذين خابت آمالهم بعودته، فأرسى دعائم حكومته المستقلة الواعدة في شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٢ وصار يعرف بملك كوردستان.

وفي ربيع عام ١٩٢٣م افلح الانكليز في احتلال السليمانية مجدداً قبل ان يطردهم الثوار منها في صيف نفس العام. وبعد مضي عام واحد على ذلك الحدث، أي في صيف عام ١٩٢٤م أجبرت قوات الاحتلال الشيخ وانصاره على مغادرة السليمانية نهائياً عقب حصار طويل وقصف جوي مكثف، فلجأوا (اي الثوار) الى المناطق الجبلية الحدودية المجاورة التي أداموا فيها نهجهم النضالي الشجاع ومقاومتهم المستميتة ضد المحتلين. كما انتقلت النشاطات الثورية بناء على توجيهات الشيخ الى مناطق مختلفة ضمن كركوك وگەرميان. وظل الامر كذلك الى أن اجبرت الظروف القاهرة الشيخ على التخلي عن نضاله العسكري والسياسي -

سابقاً - والاقامة مع أسرته واقاربه في قرية پيران الحدودية الايرانية بمقتضى الاتفاقية المعقودة بينه وبين السلطات العراقية في حزيران عام ١٩٢٧م، فأستقر الشيخ الثائر في تلك القرية الكائنة على مبعدة ٨ أميال في الطرف الجنوبي الشرقي من پنجوين وهو يمني النفس بحمل راية الكفاح والجهاد مجدداً، وفي أقرب ظرف متاح.

انتفاضة الشيخ محمود في خريف ١٩٣٠ (انتفاضته الاخيرة)
أسبابها، ظروفها، تبعاتها

يمكن القول إن منطقة السليمانية وجوارها عاشت فترة من الهدوء الظاهري دامت ثلاث سنوات، وذلك عقب أستقرار الشيخ في قرية پيران بموجب الاتفاقية المعقودة بينه وبين السلطات الحكومية في حزيران عام ١٩٢٧ كما اسلفنا. واستمر ذلك الوضع قائماً الى ان سادت مظاهر السخط والهياج المنطقة مجدداً، وذلك بسبب ابرام المعاهدة البريطانية - العراقية في ٣ حزيران ١٩٣٠م (معاهدة الاستقلال) التي اثارت استياء شعبنا العراقي عموماً، وشعبنا الكوردي خصوصاً كونها اهملت حقوقه ومطالبه القومية العادلة التي نصت عليها مقررات عصبة الامم السابقة في عام ١٩٢٥ و برغم كل التعهدات والالتزامات المقدمة من الجانبين العراقي والبريطاني بشأن تأمين وتلبية تلك الحقوق.

لقد صمم ابناء السليمانية عهدئذ على مقاطعة الانتخابات المرتقبة بصدد انتخاب المجلس النيابي الجديد (البرلمان) المكلف بالمصادقة على بنود تلك المعاهدة التي رأى فيها العراقيون إنها تنطوي على تنازلات عدة لصالح بريطانيا على حساب سيادتهم ومصالحهم الوطنية، بينما شعر ابناء كوردستان العراق حيالها بخيبة اكبر لأنها لم تلب أهدافهم ومطالبهم القومية الملحة والمشروعة كما تقدم، وعليه كان عزم اهلنا في السليمانية كبيراً على المطالبة بحقوقهم والدفاع عنها والتصدي لتلك الانتخابات المزيفة والمشبوهة. وتبعاً لذلك شهدت السليمانية، مدينة الفداء والتضحيات، احداث (عتبة السراي) المؤلمة الدامية في ٦ أيلول

١٩٣٠ (يوم ٦ أيلول اسود) التي حصدت فيها اسلحة العدو الغادرة من بنادق ورشاشات، ارواح العشرات من سكان السليمانية المنتفضين وجرحت الكثيرين منهم، فأثارت المذبحة غضباً جماهيرياً عارماً على صعيد العراق كله وتأجج في نفوس اهلنا لهيب الثأر المقدس والرغبة في الانتقام من الجناة.

وفي غضون ذلك الوضع المرير قرر الشيخ الحفيد المقيم في پيران معاودة النضال المسلح دفاعاً عن حق تقرير مصير الكورد والاخذ بثأر الدماء الزكية التي اريقت غدراً في السليمانية يوم السادس من ايلول الاسود ، فاستغل حالة الهيجان السائدة في المنطقة لينتفض مجدداً على السلطات الحكومية المدعومة من الانكليز في اواخر تشرين الاول ١٩٣٠م حين كانت الحركة التحررية الكوردية تعيش مرحلة جديدة وهامة بفعل الظروف والتطورات السائدة ودخول العديد من التنظيمات ساحة العمل السياسي وتواصل عشرات البرقيات المطالبة بحقوق الكورد على بغداد ولندن وعصبة الامم، فكان الوضع مبعث قلق حقيقي للحكومة العراقية وحلفائها الانكليز الذين شعروا بخطر حقيقي من جراء الانتفاضة الجديدة للشيخ الذي حرر مع انصاره مطلع عام ١٩٣١ مناطق هامة في أطراف السليمانية مثل شاندري وخورمال بعد ان بسطوا في وقت سابق، سيطرتهم على مرتفعات پنجوين[١]، وبات الوضع أكثر خطورة بالنسبة للسلطات في ظل وجود الدلائل القوية على استعداد منطقة بهدينان للانضمام بدورها الى شقيقتها منطقة سوران في انتفاضتها المتنامية، فشرع المحتلون باتخاذ جملة من التدابير والمخططات من أجل تفادي ذلك الخطر المرتقب والحيلولة دون تحول الانتفاضة الى انفجار كبير يعم كوردستان بأسرها ويطيح بكل مخططاتهم ومصالحهم في المنطقة، وبغية

١- تقع بلدة پنجوين وهي مركز قضاء بنفس الاسم، في الطرف الشرقي من مدينة السليمانية، وتقع قصبة شاندري في جنوبها (جنوب پينجوين)، أما خورمال فهي ناحية ضمن قضاء حلبجة وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي من السليمانية.

احساد الانتفاضة سريعاً، وهي المرحلة الاخيرة من انتفاضات الشيخ الحفيد، لجأ المحتلون الانگليز الى الاعتماد المتزايد على سلاحهم الجوي في العراق والذي ضم احدث طائراتهم القاصفة في ذلك العهد، وعقدوا بهذا الخصوص اجتماعاً خاصاً يوم ١٣ كانون الثاني عام ١٩٣١ وفي مقر المندوب السامي البريطاني ببغداد (السير فرنسيس همفريز) حضره اضافة اليه تسعة مسؤولين انگليز كبار بضمنهم قائد السلاح الجوي البريطاني في العراق واربعة آخرين من قادة السلاح، وبالفعل اخذت الطائرات البريطانية - ونتيجة لما تقرر في الاجتماع المذكور - تقصف بكثافة مناطق تواجد الثوار بلاهوادة وبضمنها القرى والارياف الواقعة تحت نفوذهم وسكانها العزل وممتلكاتهم، لكن تلك الغارات الجوية الشرسة لم تضعف من همم الشيخ الحفيد ورفاقه ولم تحل دون وصول مظاهر العصيان والتمرد الى مناطق اخرى داخل وخارج حدود السليمانية وبضمنها العديد من القصبات والقرى الواقعة في گەرميان. وعليه عقد المسؤولون الانگليز في العراق اجتماعاً ثانياً مشابهاً للأول وفي نفس المكان السابق، بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٣١، تقرر فيه أن يطال القصف الجوي المركز جميع القصبات والقرى التي يتواجد فيها او يلوذ بها الثوار وعقب نصف ساعة فقط من تبليغها بالقصف الذي سيقع عليها، وذلك عن طريق القاء المنشورات عليها من الجو.

ويعد يوم واحد فقط من الاجتماع المذكور، أي (٢٣ آذار) باشر الطيران البريطاني بمهاجمة الاهداف والمواقع المقصودة فاحدث فيها القتل والحرق والدمار، وبضمنها المناطق الكائنة شمالي قضاء خانقين، والتي وصلها لهيب الانتفاضة سريعاً، كقرى: هورين، شيخان، بيلوله، كاني كرمانج، شاهوازي، باخه هه ناره العائدة الى عثمان بگ الشرفبياني، وايضاً قصبة قورەتو وقرية چياسرخ الحدودية وغيرها.

وللتدليل على اهمية الدور النضالي الذي أضطلع به حينذاك ابناء عشيرة الشرفبياني بأمرة رئيسهم الشجاع عثمان بگ (١٨٩١-١٩٦٨)

المناصر للشيخ الحفيد، نشير الى المعلومات الواردة في الوثائق البريطانية بشأن خطورة الوضع القائم هناك في منطقتهم (أي منطقة الشرفبياني) لاسيما عقب هجومهم على مركز شرطة بيلولة[٢] ومحاصرة العشرات من افراد الشرطة المتحصنين فيه وطيلة اسبوع كامل، والذين اوشكوا على الاستسلام للثوار لولا تدخل السلاح الجوي البريطاني لصالحهم بقيادة الجنرال الطيار لويدكورتن، الحائز على ميداليتين رفيعتين قبل قدومه الى كوردستان. فقد انيطت بهذا الجنرال ادارة العمليات الجوية في منطقة خانقين فأوصى قائد السلاح الجوي البريطاني في العراق بمنحه ميدالية أخرى جراء طلعاته الجوية الفاعلة على المنطقة ودوره المؤثر في قمع حركتها المسلحة وتحديداً خلال الفترة (٢٧-٣١ آذار) التي بلغ الوضع المتوتر فيها ذروته وتعرضت ديار الشرفبياني خلالها الى الخراب والدمار فانسحب اهلها الى مناطقهم الجبلية القريبة فتحصنوا فيها ردحاً من الزمن.


عثمان بگ الشرفبياني

ولم يكن مصير عدد من القرى الكائنة جنوبي قرداغ افضل من مصير شقيقاتها في خانقين، اذ تعرضت هي الاخرى الى غارات جوية عنيفة وخصوصاً يوم ٣٠ آذار الذي القت فيه الطائرات المعادية، وحسب اعتراف البريطانيين انفسهم، ٩٩ قذيفة من زنة ٢ پاوند على تلك القرى وصلتها بـ(٥٢٠٠) اطلاقة رشاش.

٢- كان يوجد في بيلوله مركز ناحية (هورين - شيخان)، ثم أنتقل مركز الناحية وعقب الاحداث التي ذكرناها بفترة، الى قصبة ميدان المجاورة، فاصبحت الناحية تسمى بـ(ميدان) وماتزال.

لكن جميع تلك الهجمات الشرسة فشلت في اخماد انتفاضة الشيخ مع وصول تأثيرها الى المناطق المجاورة التي سادتها اعمال المقاومة والتحدي ومظاهر الحماس البالغة ومنها اضافة الى ما ذكر، مناطق: الماف في شهرزور و گەرميان، والدلو في كفري، والجباري والداودي والزنكنة والطالباني في اطراف كركوك والهموند في چمچمال.

وبعدما ادرك الاعداء انهم عاجزون لوحدهم في القضاء على الانتفاضة الجديدة للشيخ الحفيد سارعوا الى الاستعانة بالنظام الشاهنشاهي الايراني والطلب منه دعمهم في هذا المجال، لاسيما وان الشيخ كان يحظى بالدعم والاسناد من لدن ابناء منطقتي دزلي وبانه وغيرهما من ارجاء كوردستان الايرانية.

ولضمان تحقيق ذلك الهدف اتصل الملك فيصل الاول بالقيادة الايرانية طالباً عقد اجتماع عاجل مشترك بين الجانبين يكرس لتنسيق جهودهما المشتركة بشأن مهاجمة الشيخ الحفيد وحليفه محمود خان دزلي[٣] كما دعا (أي فيصل) الانكليز الى دعمه في هذا المسعى أيضاً فأختيرت بلدة مريوان الحدودية الايرانية (المتاخمة لـ پنجوين) مكاناً لذلك الاجتماع، حيث أقلت طائرة الملك فيصل الخاصة الوفد الحكومي العراقي - الانكليزي المشترك الى هناك فقوبل بالحفاوة والترحاب من قبل الوفد الايراني المضيف، فتمت بعده مناقشة الاجراءات والخطط الهادفة الى تحقيق غرضهم المشترك الذي ذكرناه.

وبذلك اصبحت ايران عامل ضغط اضافي وفعال على الشيخ وانصاره وحلفائه، في الوقت الذي بدأ فيه البرلمان العراقي بمناقشة التخصيصات المالية الجديدة المكرسة لتمويل نفقات العمليات العسكرية الموجهة ضد الانتفاضة. كما صعد السلاح الجوي البريطاني في تلك الاثناء ايضاً، من

٣- كان محمود خان من رؤساء عشائر الكورد البارزين في ايران، وقد لعب دوراً مع ابناء عشيرته ابان الانتفاضة الاولى للشيخ الحفيد في السليمانية (كما تقدم)، وظل حليفاً مخلصاً له ابان المراحل اللاحقة من نضالاته.

غاراته الجوية على مناطق تواجد الثوار ونشاطاتهم.

وفي خضم تلك التطورات والظروف الصعبة المحيطة بالشيخ وانتفاضته وبناء على الاتصالات والمراسلات التي اجراها معه رؤساء العشائر الموالية له في گەرميان (ضمن لواء كركوك) قرر (اي الشيخ) التوجه الى هناك واتخاذ تلك المنطقة الهامة قاعدة لانتفاضته والانطلاق منها اعتماداً على انصاره من ابناء الجاف والهموند والطالباني والزنگنه والجباري والداودي والدلو لضرب قوات وتجمعات العدو المحيطة بمدينة كركوك العزيزة وتفريق شملها ودحرها تمهيداً لتحرير تلك المدينة المعروفة بأهيمتها الاستراتيجية المتعددة الاغراض.

وبعد رحلة طويلة ومضنية عبر خلالها الشيخ وصحبه مناطق شهرزور وقرداغ وسنگاو والزنگنة وصلوا الى مبتغاهم في منطقة گل الواقعة في الطرف الجنوبي من كركوك بعد ان أنضم اليهم في طريقهم الى هناك المزيد من الانصار المسلحين المتأهبين للقتال الى جانب زعيمهم ورمز نضالهم الوطني و القومي الشيخ الحفيد، فاستقبلوا بمنتهى الود والحفاوة وكرم الضيافة التي عرف بها اهلنا الطيب في گەرميان، مهد الاصالة والامجاد والتضحيات.

ثم بدأ الشيخ وقادته و انصاره بالاستعداد والتهيؤ لتنفيذ مخططهم الثوري الكبير الهادف الى تحرير مدينة كركوك العزيزة ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية القصوى، بينما كانت مشاهد الربيع الخلابة وأنفاسه العطرة تغمر تلال وسهوب گەرميان الفيحاء وتزيدها سحراً وجاذبية وألقاً.

معركة (ناوباريك) البطولية في گەرميان ١٩٣١

يظهر مما تقدم، ان تحرير كركوك صار هدفاً اساسياً للشيخ وأنصاره ابان تلك المرحلة من عمر انتفاضتهم، فشرعوا عقب وصولهم منطقة گل مباشرة بالتخطيط والعمل من اجل ذلك الهدف إعتماداً على دعم عشائر

گەرميان وامكاناتها وقدراتها القتالية المتاحة في هذا السبيل، وقد اقتضت الخطة بمهاجمة تجمعات قوات العدو الرئيسية القريبة من كركوك انطلاقاً من ارجاء گل الوعرة والزحف عبر ليلان الى داخل المدينة (كركوك).

ولم يدر بخلد الشيخ ان المسؤولين العراقيين والانگليز المعروفين بانتهاجهم لمختلف الدسائس والمؤامرات في مناهضتهم له قد تهيآوا من جانبهم لمواجهته له وافشل مخططه الذي قدم من اجله وذلك باستغلال الخلافات والخصومات الموجودة بين بعض عشائر المنطقة التي كان يعول عليها الشيخ في تنفيذ ذلك المخطط، وتأجيج نار الفتنة والشقاق بينها وبالتالي عزلها عن خط الانتفاضة وكسب بعضها الى جانبهم في معركتهم ضد الشيخ الحفيد. وفعلاً أفلحت مساعيهم الخبيثة تلك في كسب ولاء العديد من المغرر بهم والذين آثروا توجيه فوهات بنادقهم الى صدور آخوتهم الذين استرخصوا دماءهم واموالهم على طريق الكفاح والنضال ضد المحتلين وأعوانهم.

كما اتخذ العدو الذي كان يتابع تحركات الشيخ عن طريق جواسيسه وعملائه. جملة من الاحتياطات والاجراءات العسكرية الاحترازية تحسباً لهجمات الثوار على مدن وقصبات كركوك، فجلبوا المزيد من التعزيزات الى المنطقة بواسطة السيارات والخط الحديدي المار بين كركوك وبغداد (الخط المتري القديم).

وفي ٤ نيسان ١٩٣١ وبينما كان الشيخ الحفيد وجمع من أنصاره وبضمنهم عدد من وجهاء گەرميان المعروفين نازلين في ضيافة الشيخ مجيد الطالباني صاحب قرية (ئاوباريك)[٤] وصلت المعلومات الى أستخبارات القوة الجوية البريطانية (في العراق) بوجودهم هناك (اي الشيخ ورفاقه) فسارعت من جانبها فوراً الى تبليغ السلطات الحكومية

٤- ئاوباريك قرية من قرى عشيرة الطالباني في منطقة (گل) ضمن قضاء طوزخورماتو. وتبعد القرية عن مركز القضاء بمسافة ٢٠ ميلاً.

العراقية بذلك.

وفي اليوم التالي ٥ نيسان(٥) توجهت الى الموقع قوة كبيرة مؤلفة من مئات الجنود والشرطة والمرتزقة، بقيادة امير اللواء (الحاج رمضان باشا)، وهي معززة بالمدافع والرشاشات الثقيلة (المتورلوز) وسائر الاعتدة اللازمة لمعركتها المرتقبة في (ئاوباريك).

وقبل وصول تلك القوة الى القرية، كانت الطائرات البريطانية قد باغتت الثوار في موقعهم وبدأت تقصفهم بشدة بهدف حصرهم ومنع انسحابهم من القرية قبل وصول القوة الحكومية القادمة لملاقاتهم.



كريم بگ الجاف

ثم وصلت القوة المهاجمة مشارف القرية بعد ظهر ذلك اليوم المشهود في تاريخ شعبنا المعاصر فهاجمتها من جبهتين رئيسيتين تمهيداً لاختراقها السريع، لكنها جوبهت بمواجهة ضارية من قبل الثوار وأهل (ئاوباريك) البواسل، الذين تحصنوا بين الاشجار والسواقي الموجودة في الطرف الجنوبي من القرية، وعند الوادي الكائن شرقها، فدارت هناك رحى معركة شرسة بين المهاجمين المعززين بمختلف الاسلحة والاعتدة والمدعومين من السلاح الجوي البريطاني وبين المدافعين (الثوار) المؤلفين من بعض اتباع الشيخ ومقاتلي الجاف المرافقين لاميرهم الشهم كريم بگ، وبعض شيوخ الطالباني (بضمنهم صاحب القرية) وآغوات الزنگنه، أما القوات الاخرى الموالية للشيخ والمتوزعة خارج قرية (ئاوباريك) بسبب عدم قدرتها (أي القرية) على استيعابها، فإنها لم

٥- حدد الاستاذ علاءالدين السجادي تاريخ معركة (ئاوباريك) باواخر شباط ١٩٣١م، بينما حدده الاستاذ أحمد خواجه ود. كمال مظهر بـ(٥) نيسان من نفس العام وهو الاصح كما يبدو.

ـكن قـادرة على الاشتـراك في الواقـعة بفـعل فـاعليـة الطيـران المعـادي والاسلوب المبـاغت الذي اتبـعـه العـدو في هجـومـه السـريع على الموقع وغيـرها من المعطيات والظروف الصعبـة الاخرى التي لا يمكن حصرها في هذا المجال[6]

نعـود الى اجواء المعركـة وطبيعـتـها فنذكر بأنـها وصلت ذروتها عندما حاول المهاجمون أخيراً اختراق مواقع الثوار الرابضين فيها ، فـوصل القتال أحيانـاً الى حد التـشابك والتـداخل بين المتـقاتلين. لـكن الثوار لم يـفقدوا رباطة جأشـهم، بل قـاتلوا عـدوهم قـتـال الابطال، واسـتمروا صـامـدين في أماكنهم، كما تصدوا من جانب آخر باسلحتهم الخفيفة لطائرات العدو المغيرة التي كانت تتناوب في مهاجمتهم وقصفهم بلا هوادة طيلة ساعات المعـركـة، وافلحـوا في أصابة احـداها اصـابة مؤثرة وابعـادها عن سـاحـة المعـركة فـتمكن قـائدها المدعـو (گاردنر) من الهـبوط بها على بعـد اميـال من الطرف الجنوبي الشرقي لبلدة طوزخورماتو.

واجمالاً، ضرب ابطال مـعركـة (ئاوباريك) مـثـلاً رائعـاً فـي الشـجاعـة والصمـود خلال تلك الواقـعـة الحـاميـة التي اسـتغرقت عدة سـاعات وتمكنوا مع حلول ظلام المسـاء من اختراق الطوق المحكم المفروض عليـهم والافلات

٦- كتب د. مكرم الطالباني مقالاً في مجلة ره نگين (العدد ٦٨) كرسه للحديث عن معركة ئاوباريك وظروفها وتفاصيلها، وقد أرجع فيه سبب إخفاقة الشيخ عهدئذ الى نجـاح مسـاعي الحكومة في عزل بعض العشـائر الموالية له عن انتفـاضتـه، ووجود الخصـومـات وقضـايا الثـأر بين عدد أخر من تلك العشـائر وبالشكل الذي منعها من القدوم الى منطقة (گل) والمساهمة في معركة (ئاوباريك) عبر أراضي خصومها، مشيراً بهذا الخصوص الى الخصومات الموجودة بين الهموند من جهة والزنگنة والطالباني من جهة اخرى. وذكر ايضاً ان علاقات الطالباني لم تكن على مايرام مع الداودي والجباري، وكذلك الحال بالنسبة لعلاقات شيوخ الطالباني مع الشيوخ البرزنجيين، والتي أتسمت بالعداء الشديد في تلك الفترة.

والملفت ان د. مكرم وقع في خطأ بين عندما اشار في مقاله الى وجود الثائر كريم بگ الهموند في ذلك التاريخ (عام ١٩٣١م) فالثائر المذكور كان قد أستشهد عام ١٩٢٦ أي قبل وقوع معركة (ئاوباريك) بخمس سنوات كاملة!!

من المكيدة التي دبرت ضدهم باحكام بعد ان كبدوا العدو العديد من القتلى والجرحى. ولابد من التنويه هنا بالدور القيادي الشجاع والمعهود الذي تميز به الشيخ الحفيد اثناء المعركة والشجاعة الفائقة التي ابداها رفاقه البواسل الذين فوتوا بأقدامهم وتجلدهم على المهاجمين الذين كانوا يفوقونهم كثيراً في العدد العدة، فرصة أسرهم أو القضاء عليهم، ونخص بالذكر منهم الشيخ علي قەلبەزە (الذي استشهد في المعركة مع ١٨ ثائراً من اتباعه) والامير كريم بگ الجاف الذي ابلى مع شقيقه الاصغر داود بگ ونجله محمد امين بگ (مينه جاف الشاعر) ومقاتلي عشيرته، بلاء حسناً في (ئاوباريك). ولقد استأسد داود بگ بشكل خاص اثناء صولات المعركة فحظي بأعجاب وثناء الشيخ الحفيد الذي مدحه بعبارته الحماسية الشهيرة: « ان داود اسد.. اسد، لم لاتذكرون».



داود بگ الجاف

والواقع أن الشيخ ورفاقه حققوا في ذلك اليوم المجيد ملحمة بطولية رائعة سطروها بدماء شهدائهم الخالدين، وهم الشيخ علي واصحابه وبعض مقاتلي الجاف و رفاق الشيخ من الذين قدموا معه من حدود السليمانية.

وبعد ما انسحب الثوار مساءً من الموقع مصطحبين معهم شهداءهم وجرحاهم، استمرت الطائرات البريطانية بملاحقتهم منذ اليوم التالي وقصفت القرى والمواقع التي كانوا يتواجدون فيها، فقرر الشيخ تبعاً للظروف والعوامل القاهرة المحيطة به عقب واقعة (ئاوباريك)، مغادرة گەرميان والعودة عبر مرتفعات قرداغ وسەگرمه الى الحدود الايرانية التي بلغها مع اصحابه يوم ٢١ نيسان ثم وصلوا قرية پيران مجدداً ليلة ٢٢-٢٣ من نفس الشهر.

الوضع بعد (ئاوباريك) واستسلام الشيخ

بعدما استقر الشيخ الحفيد في قريه پيران أخذ يحلل المعطيات والنتائج الصعبة التي افرزتها معركة (ئاوباريك) البطولية ويدرس مليا احتمالات المستقبل تبعاً للموقف الراهن، وخصوصاً بعدما تبين له بالدليل القاطع كيف ان الاعداء افلحوا بدسائسهم وخبثهم في كسب ولاء البعض من ابناء عشائر الكورد الذين اختاروا الخندق المعادي للانتفاضة، فشعر (اي الشيخ) بألم بالغ اصاب قلبه الكبير من الصميم بفعل ذلك الموقف المشين الذي سلكه هؤلاء تجاهه، وهو الذي نذر أحلى سنوات حياته وكل ممتلكاته وطاقاته الجسدية والمادية لخدمة شعبه وقضاياه المصيرية التي أخلص لها دوماً، فايقن واستناداً الى ذلك الوضع المؤلم، بأنه مجبر لا محالة على مقاتلة ابناء شعبه الذين غرر بهم الاعداء، الامر الذي كان يعني ببساطة سفك دماء الكورد بأيدي الكورد انفسهم. وعليه قرر الشيخ التروي وبحث الموضوع من كل جوانبه قبل اتخاذ قراره النهائي بشأن مستقبل انتفاضته ومصير رفاقه المخلصين. ثم أزداد موقف الشيخ صعوبة، عندما بدأت مرحلة أخرى من التعاون الوثيق بين النظامين الايراني والعراقي بخصوص مهاجمته وأنهاء مساعيه الثورية عاجلاً. وظهر ذلك جليا عندما سافر قائد قوات المشاة العراقية في كوردستان الزعيم (خليل زكي) الى ايران في مايس ١٩٣١م يصحبه مستشاره، الضابط البريطاني (روبرتس)، فاجتمعا مع المسؤول الايراني العقيد (محمود خان ايمن) بشأن وضع الخطط المتعلقة بالهجوم على الشيخ. ونتيجة لذلك اخذت القوات الايرانية بالاستعداد لمهاجمة پيران بينما احتشدت القوات العراقية في الجانب الاخر من الحدود تمهيداً للمهمة الموكلة اليها وملاحقة الشيخ حال دخوله الاراضي العراقية، في حين اخطر المسؤولون الانكليز من جانبهم الشيخ بأنه سيتعرض لامحالة الى الهجوم الايراني - العراقي القريب في حال اصراره على مواقفه ونواياه السابقة والمعروفة.

وتبعاً لذلك التطور وغيره من الظروف والمعطيات الصعبة التي وجد

الشيخ فيها نفسه فجاة عقب معركة (ئاوباريك)، كما أسلفنا، فقد أرتأى التوقف عن ادامة نهجه الكفاحي المسلح وتجنيب أنصاره وابناء شعبه الكادح المزيد من التضحيات والمصاعب. فتوصل يوم ١٣ مايس ١٩٣١م الى قراره النهائي بأنهاء انتفاضته الاخيرة مجبراً والعودة الى ارض الوطن فوراً، فسار صوب پنجوين حيث قضى ليلته خارجها. وفي اليوم التالي ١٤ مايس، بلغ الشيخ تلك البلدة الجبلية الجميلة التي شهدت العديد من صولاته وجولاته سابقاً، فأجرى فيها محادثات مستفيضة مع الكابتن (ڤيڤيان هولت) مبعوث المندوب السامي البريطاني في العراق، السير. همفريز وبحضور متصرف السليمانية (أحمد توفيق بگ)، وافق الشيخ بعدها على القاء السلاح وتسليم نفسه للسلطات الحكومية العراقية. ولاشك ان القرار المذكور كان مبعث اغتباط المسؤولين العراقيين والانگليز على حد سواء وفي مقدمتهم الملك فيصل الاول والمندوب السامي البريطاني الذي ابرق عاجلاً الى وزير المستعمرات البريطاني في لندن مبلغاً اياه بالنبأ السعيد بالنسبة اليهم. وفي اليوم التالي لمحادثات پنجوين قدم الشيخ الى السليمانية بصحبة المبعوث الانگليزي ومنها ارسل الى بغداد، وقد كتب هذا الاخير (أي الكابتن ڤيڤيان) تقريراً سرياً وهاماً كرسه للحديث عن انتفاضة الشيخ الاخيرة وانعكاساتها وتفاصيل محادثاته معه (اي مع الشيخ) في پنجوين وظروف نقله من هناك الى السليمانية فبغداد ثم ابعاده الى جنوب العراق.

ويعد التقرير المذكور شهادة منصفة وهامة من لدن أحد المسؤولين الانگليز بحق خصمهم اللدود الشيخ الحفيد الذي قارعهم طويلاً، حيث اثنى كاتبه كثيراً على بسالة وشهامة الشيخ الثائر وطموحه وكبريائه مؤكداً بأنه قاتل وخسر بشرف ومنوهاً بالتوديع الحافل والمؤثر الذي خصه به اهل القرى المجاورة لپنجوين بعد استسلامه، وهم يقبلون يديه وعيونهم مغرورقة بالدموع والحسرات تخنقهم، وأضاف معلقاً:

«ان اكبر خطأ اقترفه الشيخ هو انه جاء الى الدنيا متأخراً

بقرن عن العهد الذي كان يجب ان يولد فيه[٧]. »

كما اشار مراسل جريدة التايمس اللندنية الذائعة في تقريره الذي ارسله من بغداد الى صحيفته يوم ٣٠ مايس، أشار الى مظاهر الاحتفاء الصادقة التي حظي بها الشيخ اثناء مجيئه من پنجوين الى السليمانية التي خرج سكانها لاستقباله وتقبيل يديه.

ثم نقل الشيخ الى بغداد ومنها أبعد الى جنوب العراق، فقضى ردحاً من الزمن في الناصرية والسماوة قبل ان ينقل الى عنة ومنها اعيد الى بغداد عام ١٩٣٣م، فأستمر مناصروه ومؤيدوه بزيارته وتفقد احواله على الدوام.

واخيراً شاور الشيخ بعض مقربيه بصدد الهرب والتخلص من ظروف اقامته الجبرية ومبارحة بغداد سراً في اقرب فرصة ممكنة فتحققت له تلك الفرصة اخيراً اثناء اندلاع حركة مايس ١٩٤١م (المعروفة بحركة رشيد عالي الگيلاني)، ثم وصل بمعاونة انصاره الى قريته (داری كەلی) الكائنة غربي السليمانية بمحاذاة جبلي برانان وسه گرمه، حيث استقر هناك وبدأ يخطط لمعاودة القتال واشعال لهيب الانتفاضة مجدداً. لكن الوقائع السائدة جعلته يتيقن بأن عملاً من هذا النوع سيجبره على مقاتلة بعض الكورد الذين استمالهم الاعداء الى جانبهم، وكما حصل سابقاً، فلم يشأ الشيخ مقاتلة ابناء شعبه. وعليه قرر العدول مكرهاًعن مخططه الهادف الى محاربة السلطات التي اختار الاتفاق معها بشأن الاقامة الدائمة والاستقرار في قريته (داری كەلی) طيلة سنوات عمره الباقية التي ظل فيها الشيخ ناقماً ساخطاً على الحكومة العراقية وحلفائها الانكليز وحتى الرمق الاخير من حياته المعطاء المباركة في شهر تشرين

٧- المقصود من كلامه هو ان الانكليز كانوا يمتلكون قدرات عسكرية وتسليحية هائلة في القرن العشرين حيث ثار عليهم الشيخ الحفيد، ولو كان الشيخ موجوداً في القرن السابق (القرن ١٩) الذي لم تكن فيه مثل تلك الاسلحة والطائرات الفتاكة موجودة، لكان بامكانه أن يحقق وقتذاك ماعجز عن تحقيقه فيما بعد!

الأول عام ١٩٥٦

وبعدما رحل الشيخ المجاهد الى مثواه الاخير ظلت مآثره ومفاخره ومواقفه وتقاليده النضالية الراسخة وسجاياه الوطنية والقومية والانسانية الرفيعة خالدة في سفر امتنا، وذكرى كلماته البليغة المؤثرة محفورة في الاذهان والخواطر، وهو الذي خاطبه يوماً، الملك فيصل الاول ببغداد، عقب انتفاضاته ونضالاته المتكررة ضده وضد اسياده الانكليز، بقوله: «محمود! ما كل هذا الظلم والتعسف ولم اشعلت نار التمرد والعصيان بوجهي؟ ».

فرد عليه الشيخ الثائر بشجاعته الفائقة وفصاحته المعهودة:

« فيصل!... بعض الناس يأخذون الكفار الى الكعبة ليسفكوا هناك الدماء ويستبيحوا بيت الله الحرام، فلا تعد ذلك ظلماً، لكنك تعد مطالبتي بحقوقنا المغتصبة داخل ارضي وشعبي ظلماً! فبئس لهذه الدنيا!! ».

لمحات من تاريخ الجاف

ودورهم الوطني والقومي المشهود

يؤلف أبناء الجاف احدى أكبر وأعرق قبائل كوردستان قاطبة وقد نالوا تبعاً لذلك اهتماماً ملفتاً للنظر من لدن المؤرخين والباحثين والرحالة الاجانب الذين أفردوا لهم في العصر الحديث حيزاً واسعاً من نتاجاتهم المتعلقة بالكورد، والتي تعد بمجملها مراجع تاريخية وعلمية قيمة عن امتنا التي تعرض تاريخها الحضاري وارثها القومي الى الكثير من الحيف والتشويه والاهمال والضياع على مر العهود المنصرمة.

وبرغم ذلك الاهتمام البين والمتأخر بالجاف، شأنهم شأن العديد من القبائل الكوردية الاصيلة الأخرى، فأن المخفي من تاريخهم سيظل أعظم بكثير من جميع تلك المعلومات والأخبار المدونة عنهم والتي لاننكر رغم قلتها، أهميتها وفائدتها القصوى لجيلنا الحالي التواق دوماً الى معرفة ماضي أمته وأمجاد سلفه العريق.

ومهما توسعنا في تقصي وتتبع تاريخ الكورد القبلي، وبضمنه تاريخ الجاف طبعاً، فأننا سنظل قاصرين عن الالمام الكافي بهذا التاريخ الذي تبقى جوانب عدة وهامة منه طي المجهول رغم الجهد الطيب الذي بذله في هذا المجال المهتمون والباحثون والجوالون الذين جابوا بلادنا لاغراض ومقاصد شتى وأسدوا خدمات وأسهامات لاتنسى لماضي الكورد وإرثهم الحضاري والقومي.

والمتأمل لنتاجات هؤلاء الباحثين جميعاً سيلفت انتباهه حتماً هذا

الاهتمام المشوب بالاعجاب الذي أبدوه بأخبار الجاف وطابع حياتهم القبلي المتنقل اصلاً وخلقهم الكوردي الرفيع، وهذا الاهتمام يعود اساساً الى سعة انتشار هذه القبيلة وبأسها وتأثيرها قديماً وحديثاً. فالجاف لم يكونوا مجرد قبيلة كبيرة ومهيبة فحسب، بل الاصح أنهم كانوا أمارة قبلية مؤلفة من عشائر وطوائف عدة حافظت طويلاً على وحدتها وتماسكها ضمن اتحادها الاكبر الذي تزعمه امراؤهم - بگزاداتهم - في مختلف المراحل والظروف، وبذا فان تاريخ الجاف القبلي يتألف من جميع الاحداث والوقائع التي رافقت مسيرة هؤلاء القوم ابتداء من اسرتهم الحاكمة ومروراً بعشائرهم الكبيرة وانتهاء بفروعهم وأفخاذهم الصغيرة[1].

فقد أعرب ريج الذي زار كوردستان عام ١٨٢ ونزل عندهم ضيفاً في ٢ آب عند مضربهم الصيفي بمريوان، عن اعجابه البالغ بطابع حياتهم الرحالة وهيبتهم وحسن منظرهم وحكمة وجاذبية مضيفه اميرهم كيخسرو بگ، كما اثنى على علو شأن نسائهم وحريتهن الظاهرة، موضحاً أن فرسانهم يشكلون أفضل مقاتلي الكورد حيث قدر قوتهم القتالية بألفي فارس وأربعة الاف مقاتل مشاة (تفنگچي) فيما قدر فريزر (سنة ١٨٣٤) نفوس القبيلة بـ ١-١٢ ألف أسرة رحالة منوها بمقدرتهم على تقديم ألف فارس للپاشا الباباني (سليمان پاشا) وقت الطلب.

أما أدموندز فقد وصفهم بالكورد الخلص الاقحاح وبأنهم بدون شك،

١- يمكن تقسيم الجاف الى ثلاثة اقسام رئيسية:

أ- الجاف المرادي في كوردستان العراق، ويشكلون الغالبية العظمى من الجاف ومن فروعهم الرئيسية: الميكايلي، الروغزائي، الترخاني، الشاطري، الكلالي، الهاروني...

ب - جاف جوانرود في ايران ومنهم روستم بگي، قبادي، ولد بگي، باباجاني.

ج - الجاف الساكنون في مناطق گوران ضمن زهاب وقصر شيرين في كرمنشاه الايرانية ومنهم: الـ(تايشه يى) وقادر ميرويسي، نيرژي ويمكن اضافة الجاف الساكنين عند الضفة الشرقية من نهر سيروان ضمن خانقين الى هذا القسم.

أعظم قبيلة في جنوب كوردستان وبأنهم كثيراً ما يشار اليهم بكلمة كورد فحسب لتدل على معنى قاصر عليهم خاص بهم يميزهم عن غيرهم من القبائل والريفيين. ونوه (باسيل نيكتين) بأقدامهم وصيتهم في كوردستان الجنوبية، وقال عنهم الميجر سون بأنهم قبيلة كبيرة على حظ عظيم من الشهرة، وهم احتفظوا دوماً بتماسكهم وطابعهم شبه المستقل داخل ديرتهم الممتدة من قزلرباط جنوباً الى بنچوين شمالاً. ومن جانبه أشاد محمد أمين زكي بگ بوحدتهم ووشائجهم القوية فيما بينهم مقدراً عددهم في كوردستان العراق (نهاية عقد الثلاثينات من القرن الماضي) بـ٢٠ ألف اسرة أو ١٢ الف نسمة، كما شاطره علاءالدين السجادي الرأي بشأن قوة الجاف وعدد نفوسهم الكبير بشطريهم الرحل والمستقر. كما أعجب عباس العزاوي بأخلاقهم العالية وصفاء سريرتهم وحسن سلوكهم وعقيدتهم وأدائهم للفرائض الدينية مضيفاً بأنه لم ير انتشاراً وكثرة في قبائل العراق الكوردية مثلما رآه في هذه القبيلة وفروعها.

واليوم، فأن الجاف الذين يقدر عددهم بمئات الألوف من الساكنين في ديارهم الشاسعة الممتدة ضمن مناطق متعددة من مناطق السليمانية وكركوك واربيل وديالى في كوردستان الجنوبية وأرجاء مختلفة من محافظة كرمنشاه وبضمنها مهدهم الأصلي في جوانرود وبعض المناطق الايرانية الاخرى، يشكلون جزءاً هاماً وأصيلاً من كيان هذه الامة بتراثهم القبلي العتيد ودورهم الوطني والقومي المتميز في تاريخ شعبهم وأسهامهم الروحي والثقافي والفكري المبدع الذي تدل عليه عطاءات عالمهم الديني الجليل ابن الصلاح الشهرزوري و شيخهم المرشد مولانا خالد النقشبندي وشعرائهم العظام (نالي ومولوي وولي ديوانه وطاهر بگ وأحمد مختار بگ الجاف وگوران ومينه الجاف ونبرد الجاف...) وآثار عمرانهم المتمثلة بقلعة محمد پاشا (قلعة شيروانه) عند كلار ومسجد محمود پاشا في قزلرباط وقلعته الكائنة قرب قرية تازه دى[٢] وبقايا

٢- تازه دى: قرية تقع شمالي كلار،عند ضفاف سيروان.

ابنيـه: عثمـان پاشا الجـاف وزوجتـه النـابغـة (عـادلـة خـانم) في حلبـجـه وغيرها من الاطلال والشواخص التي ماتزال تتحدى جبروت الزمن وتعيق برائحة الاسلاف الذين تركوا من بعدهم تاريخاً حافلاً بالامجاد والوقائع، والذي سنختـار منه في سيـاق موضوعنا هذا، صفحات تتعلق أساساً بالجـاف القاطنين في كوردستـان العـراق والذين عرفـوا ومـايـزالون باسم الجـاف المرادي، وعسى أن نكون موفقين في عرضهـا وتقديمها للقـراء الكرام.

عراقة الجاف وأصل تسميتهم

لاشك أن الجـاف قـديمو العـهـد في التـاريـخ، لكن المعلومـات المدونة عن تاريخـهم القـديم وأصـولهم الأولى شـحـيحـة للغـاية، فـبأسـتـثـنا ء بعض الاشـارات البسـيطة التي أوردها قلة من المؤرخين الذين يرجعـون تاريخ الجـاف الى أحقـاب موغلة في القدم (العهـد السـاساني) دون أن يخوضوا في التـفـاصيل كـثيراً فأننا نكاد لانعرف الا شيئاً قليلاً مهماً يستحق الذكر عن ذلك التاريخ العريق.

وينطبق ذلك الواقع نفسه على العـهـود المتأخرة التـالية التي لايتجـاوز نطاق معلوماتنا عن الجاف خلالها حدود الأخبار والحكايات المنقولة عنهم جيلاً بعد جيل كثيراً فلم يرد ذكر الجـاف وفروعهم الا متأخراً في بعض المراجع والمخطوطات الاسلامـيـة التي أشـارت عـلانيـة الى أسمـا ء بعض فروع الجـاف الرئيسـيـة كـالگلالي والهـاروني إبان القرنين الرابع والخامس الهجريين، ونشير بهذا الصدد الى اسم القلقشبندي الذي تحدث عن فـرع الگلالي. كمـا ورد اسم الجـاف أيضـاً في المخطوطات العـائدة للقـرنين السـابع والثـامن الهـجـريين، ثم تعـاظم ذكـرهـم خـلال المراحل اللاحـقـة وخصوصاً في عـهـد الصفويين وحكم نادر شاه الأفشـاري[٣]، وقد طلب المرزا مـهـدي استـرابادي منهم وغيـرهم من الطوائف الكوردية التي بلغ

٣- ولد نادرشاه ١٦٨٨ وتوج شاهاً على بلاد فارس ١٧٣٦ واغتيل في مكيدة محكمة ١٧٤٧

مجموعها ٥ طائفة في كرمنشاه وخارجها، بشأن دعمه ومساندته عقب اغتيال نادر شاه، فلم يلب طلبه سوى رئيسي الجاف والمنكور، كما عرف عن الجاف كونهم قبيلة كبيرة ومعروفة بهذا الاسم في عهد الزنديين الذي استمر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

أما بخصوص أسم الجاف فأن التأويلات والتفسيرات متباينة بهذا الشأن كثيراً، اذ يفيد أحد الآراء بأن التسمية مشتقة من لفظة (جەفا كێش) المحلية المركبة والدالة على معنى الشقاء والعذاب على اعتبار أن الجاف كانوا غالباً طلائع جيوش الحكام والامراء فقاسوا بسبب ذلك الويلات والمصائب فأنطبقت التسمية عليهم تماماً، ثم أختصرت الى لفظة (جه فا) وحورت أخيراً الى (الجاف). وقد أيد هذا الرأي واستحسنه الأمير كريم بگ بن فتاح بگ الذي كان واحداً من رؤساء الجاف البارزين، ومع ان الاستاذ علاءالدين السجادي مال الى استحسان هذا الرأي بصدد اشتقاق الاسم من كلمة (جه فاكيش) المركبة، الا أنه عاد ورجع عليه رأيه الشخصي بكون الاسم مأخوذاً من اسم جافر (جعفر بالعربية) الذي ربما كان احد اجداد الجاف القدماء على اعتبار أن الكورد دأبوا غالباً على مناداة جافر بـ(جافه).

اما الشاعر المعروف قانع رأى أن الجاف من أنسال فرسان الـ(جه فايى)، نخبة قوات الشاه سلطان حسين الصفوي (١٦٩٤-١٧٢٢)، الذين كلفوا بمهمة حماية منطقة أصفهان من اللصوص وقطاع الطرق. غير أنهم أنفسهم تحولوا بمرور الأيام الى أعمال السلب والنهب، فأشاعوا الخوف والفزع بين أهالي المنطقة، فصار أسمهم الـ(جه فايى) خير معبر عن قساوتهم وشدتهم اللتين عرفوا بهما بين السكان. بينما يرجع العلامة عبدالكريم المدرس اشتقاق الاسم من (ژاف) بمعنى الرطب أو الطري في أشارة الى الاعشاب الطرية التي دأب الجاف الرحل على البحث عنها لمواشيهم.

وللملا جميل الروژبياني رأيه الوجيه في الموضوع والذي يؤيده فيه

آخرون غيره من المهتمين ومفاده أن الاسم مأخوذ من أسم جاوان (جاڤان) القبيلة الكوردية الايرانية العريقة. حيث تفيد مصادر ومعلومات مختلفة أن جماعات من الجاوان انحدرت في وقت غير معلوم من موطنها الاصلي عند الجبال الموجود حوالي دماوند الايرانية الشمالية، الى محافظة كرمنشاه الحالية غربي (ايران) وفرضت اسمها الاصلي على الموضع الذي قدمت اليه فصار يعرف بـ(جاوان رود - جاوان رو)، كذلك عرفت القبيلة التي نشأت وترعرعت هناك فيما بعد باسم الجاف المحور من (جاوان - جاڤان)... كما ان بعض فرق (الجاوان) نزحت لاسباب شتى في منتصف القرن الرابع الهجري لاسباب غير واضحة تماماً (نتيجة لكوارث طبيعية أو بسبب المعارك والنزاعات التي حدثت في مناطقها)، نزحت باتجاه بعض المناطق الوسطى في العراق وقدر لها ان تلعب دوراً مؤثراً وبارزاً في سير الاحداث والوقائع التي أحاطت بالمنطقة عهدذاك. وفي أواخر القرن الخامس الهجري نجد الجاوانيين قد انحدروا نحو الجنوب اكثر وساهموا مع قبيلة بني اسد في بناء مدينة الحلة وسكنوا هناك في الحي الموسوم باسمهم (حي الاكراد) المعروف الى يومنا هذا.

والمرجح ان هؤلاء الجاوانيين قد عادوا فيما بعد (بعد نحو ١٢ عاماً تقريباً) الى كوردستان الشرقية ودخلوا بين غيرهم من الجاوانيين في (جاوان رود - جوان رو) يوم كانت قبيلتهم تعرف هناك باسم الجاف.

مجيء الجاف الى كوردستان العراق

يشكل نزوح الجاف من مهدهم الاصلي جوانرود[٤] الى كوردستان العراق بداية حقبة جديدة وهامة في حياة هذه القبيلة الرحالة عندما هاجر زعيمها ظاهر بگ بن يار أحمد بگ بن سيف الله بگ ومعه حوالي أربعمائة من اسر قومه الرحالة باتجاه كوردستان العراق حيث عبروا نهر سيروان واستوطنوا ضفته الغربية عند موقعي (دزيايش) وباني خيلان ضمن حدود دربنديخان الحالية. ويتفق عدد كبير من الباحثين ومنهم

٤- جوانرود: قضاء ضمن كرمنشاه في كوردستان الشرقية.

المجرسون وأدموندز وعلاءالدين السجادي ومحمد أمين زكي بگ بأن مجيء ظاهر بگ والقسم الاكبر من قبيلته الى الموقع الجديد الكائن في حدود الامارة البابانية، كان في عهد السلطان العثماني مراد الرابع الذي أطلق على هؤلاء القادمين لقب المرادي تعبيراً عن حظوتهم لديه بسبب مساعدتهم له في فتح بغداد وانتزاعها من أيدي الفرس ١٠٤٨ هـ(١٦٣٨-١٦٣٩م).



ظاهر بگ الجاف

وقد ورد ذكر الجاف في المعاهدة المعقودة بين السلطان مراد الرابع والشاه صفي الصفوي (١٠٤٩ هـ)، هكذا: "ومن عشائر الجاف تبقى عشيرتا ضياءالدين وهاروني الى جانبنا (اي الى جانب الدولة العثمانية) والعشيرتان المدعوتان پيره وزردوئي الى جانب الدولة الصفوية"

لكن الواقع التاريخي لايؤيد ما ذهب اليه هؤلاء المؤرخون بشأن زمن مجيء ظاهر بگ واتباعه الى العراق، بل يؤيد على النقيض من ذلك، المعلومة التي يستند اليها كل من الشاعرة ماه شرفخان (مەستورەی کوردستانی) وآية الله الشيخ محمد المردوخي ومفادها أن رئيس الجاف وأصحابه قدموا الى موطنهم الجديد في عهد نادر شاه وتحديداً خلال عام ١١٥٥هـ(١٧٤٢- ١٧٤٣هـ)، ويؤيد ذلك بعض مؤرخي الجاف المعاصرين المعروفين بالكفاءة والدقة في بحوثهم أمثال د. حسن كريم الجاف وحسن فهمي الجاف وغيرهما. واذا سلمنا بهذا الرأي الثاني الذي يبدو أكثر رجحاناً، بالقياس الى التسلسل التاريخي للأحداث الماضية، فأنه يتحتم علينا القبول بأن لقب المرادي قد أطلق على فروع وطوائف من الجاف سبقت ظاهر بگ وصحبه في القدوم الى العراق وأن هؤلاء هم الذين ساندوا السلطان مراد الرابع في فتح بغداد. ويتفق ذلك مع ما

ذهب اليه باسيل نيكتين بشأن معاونة الهاروني والگلالي وهما من فروع الجاف للسلطان العثماني في فتح بغداد ونيلهما للقب المرادي لذلك السبب. ومهما يكن من أمر هذين الرأيين اللذين أشرنا اليهما، فأن المؤكد هو ان لقب الجاف المرادي أصبح لقباً عاماً لكل الجاف الموجودين في كوردستان العراق والذين امتهنوا غالباً على دأب اسلافهم حياة التنقل والبداوة مع قطعان مواشيهم بين ربوع كويستان الباردة و گەرميان الدافئة، صيفاً وشتاءً.

نعود الى ظاهر بگ فنذكر، بأن سبب نزوحه مع قبيلته من جوانرود ولجوئهم الى الجانب الغربي من نهر سيروان كان يعود أساساً الى عاملين اثنين، تمثل الاول بدعوة البابانيين للجاف وألحاحهم عليهم بالقدوم الى موطنهم الجديد بغية الاستفادة من قوتهم ومؤهلاتهم في اشاعة الأمن والاستقرار في المنطقة والقضاء على مجموعة اللصوص والمجرمين الذين كانوا يقدمون من الحدود الايرانية ثم يجتازون نهر سيروان ليشيعوا نهباً وسلباً عند سهل بيباز وأرجائه المتاخمة عند الضفة الغربية من النهر المذكور، وتمثل العامل الثاني بالخصومات والنزاعات الحادة التي نشبت بين الجاف وأمراء أردلان (عاصمتهم سنه - سنندج الكوردستانية الايرانية) والذين (أي آل أردلان) ضايقوا الجاف في منطقة جوانرود بهدف احتوائهم والحد من سلطتهم المتنامية والاستحواذ على أراضيهم ومراعيهم العامرة في موطنهم. وهكذا جاء ظاهر بگ صوب موقعه الجديد القريب من دربنديخان والكائن ضمن حدود البابانيين والسلطة العثمانية في العراق فاستقر مع اصحابه هناك. ثم واصل الكثيرون من قومه في جوانرود باللحاق به تباعاً والانضمام الى أخوتهم الذين سبقوهم في المجيء الى موطنهم الجديد، فيما غادر بعضهم الآخر جوانرود لاحقاً، جراء اعتداءات الاردلانيين المستمرة عليهم، غادروا صوب موطن قبيلة گوران الكوردية في قصر شيرين وزهاب - زهاو وغيرهما من أرجاء كرمنشاه حيث استقروا هناك ومايزال حفدتهم يشكلون نسبة لايستهان

بها من حجم وقوة قبيلة الجاف.

وفعلاً كان ظاهر بگ وقومه عند حسن ظن البابانيين اذ وفقوا في اشاعة الهدوء والاستقرار في منطقتهم ونجحوا في القضاء على اللصوص والعصاة العابثين بأمن وممتلكات المواطنين على ضفاف سيروان، فمنحهم البابانيون املاكاً واسعة ضمن موقعهم الجديد (قرب دربنديخان) والذي أصبح بمرور الأيام يعج بالقادمين من الجاف الذين كان عددهم يتعاظم بالتدريج من جراء هجرة قومهم من جهة جوانرود واللحاق بهم عند دزيايش وباني خيلان وبيباز[٥]


عبدالقادر بگ الجاف

وفي تلك الظروف شن خان احمد خان الاردلاني مع ألفين من مقاتليه حملتهم على الجاف بذريعة تواطئهم مع نادر شاه الأفشاري والأمارة البابانية، فأحدثوا على دأب الجيوش الغازية الجائعة السلب والنهب والخراب في القرى التي مروا بها في طريقهم، وما أن وصلوا منطقة دربنديخان الحالية، حتى تصدى لهم ظاهر بگ وقومه دفاعاً عن وجودهم و ممتلكاتهم وماشيتهم... فدارت بين الطرفين معركة دموية شرسة أنتهت بغلبة القوات المهاجمة تبعاً لعددها وعدتها وتدريبها الجيد، وأسر ظاهر بگ الذي اعدمه الغزاة بتعليقه بفرع شجرة مازالت باقية حتى الأن وتسمى شجرة ظاهر بگ، وجاءت قسوة حكمهم الجائر هذا نتيجة للخسائر الفادحة التي الحقها بهم الجاف في تلك المعركة غير المتكافئة. وبمقتله، فقد الجاف زعيمهم البار الذي وحد صفوفهم وجعل

٥- دزيايش: منطقة كائنة غربي دربنديخان، باني خيلان قرية جنوب دربندي خان، بيباز سهل واسع تقع في طرفه قصبة (باوه نور) ويخترق الطريق بين كلار ودربندي خان.

منهم قبيلة قوية متماسكة ومهابة من جانب الترك والفرس معاً.

وأمام هذه النكبة الموجعة التي لحقت بالجاف تمزقت صفوفهم وتشتت شملهم[٦] الامر الذي جعل وريثه، نجله الاكبر عبدالقادر بگ، يعيش وضعاً حرجاً للغاية، ومما زاد في حراجة موقفه وحزنه الاليم في نفسه، هو ان بعضاً من عشائر الكورد في شهرزور وسواها راحت تستثمر نكبة الجاف تبعاً لمصالحها ونفوذها. غير ان الزعيم الجديد تمكن بصبره و وتجلده وعزيمته الحديدية من التصدي لذلك الوضع الخطير، فخاض في سبيل صون قبيلته ووجودها، صراعاً مريراً ومواجهات قوية مع العشائر والجماعات المناوئة له ودون ان يطلب اية مساعدة من ابناء عمومته (جاف جوانرود)، الى ان وفق بعد جهد جهيد من لمّ شمل قومه، وتوحيدهم مجدداً في ظرف عصيب للغاية واعادتهم الى سابق هيبتهم ومكانتهم في عهد والده الراحل، فتنامت قوة الجاف وثرواتهم من المواشي والدواب في ظل اصدقائهم البابانيين وامتلكوا بمرور الايام المزيد من الاراضي والمراعي العامرة شمال وجنوب موقعهم (اي ضمن شهرزور وگه رميان) وبدأوا يمارسون نمط حياتهم المتنقل (المعهود) بين سهوب گەرميان الدافئة جنوباً والمناطق الجبلية الباردة (كويستان) شمالاً خلال فصلي الشتاء والصيف.

وفي نفس الوقت استمرت علاقات الجاف الطيبة مع الامراء البابانيين الذين وجدوا الفرصة مؤاتية اكثر بعد مقتل ظاهر بگ، لتوطيد عرى الصداقة والتضامن بينهم وبين هذه القبيلة الرحالة الكبيرة، مقدرين تنامي قوتها وبأسها باضطراد مستقبلاً.لكن علاقات الجاف الطيبة مع الامراء البابانيين فترت فيما بعد في عهد كيخسرو بگ بن سليمان بگ بن ظاهر بگ وذلك بسبب تدخلات البابانيين المستمرة في شؤون الجاف الداخلية وفقاً لمصالحهم واهوائهم، فوقف منهم كيخسرو بگ موقفاً اتسم

٦- وبعد مصرع ظاهر بگ بفترة شرع شقيقة طاهر بگ ومعه بعض اقاربه بالرحيل من الموقع، فتوجهوا صوب بلاد الشام واستقروا هناك (يوجد بعض احفادهم حالياً في مدينة دمشق).

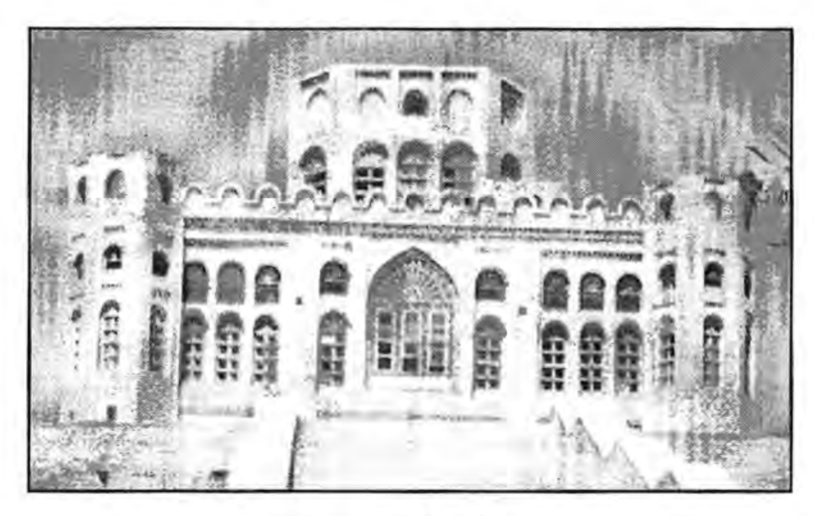
بقدر كبير من الحكمة والحزم، ووفق بحنكته وحسن ادارته في الحفاظ على هيبة وقوة قبيلته التي احتفظت بارادتها واستقلالها في ظله.

توفي كيخسرو بگ عام ١٢٤٤ هـ، وبوفاته فقد قومه أميراً قبلياً نابغاً أتسم بقدر كبير من الحكمة والورع، غير ان ابنه الاصغر محمد (محمد پاشا فيما بعد) الذي اختاره رؤساء عشائر الجاف رئيساً لقبيلتهم عقب وفاة اخوانه وهو مايزال فتى يافعاً[7] تمكن بشجاعته وذكائه من التمسك بزمام الامور تماماً رغم صغر سنه، ثم غدا بمرور الزمن احد ابرز زعماء الجاف قاطبة، ان لم يكن ابرزهم على مر تاريخهم الطويل. فقد شهدت قبيلة الجاف في عهد زعيمها الجديد، اوج تألقها ومجدها وبالشكل الذي جعل الجانبين العثماني والقاجاري يعملان على كسب وده واستمالة قومه الى جانبهما تبعاً لمقتضيات مصالحهما وظروف الصراع الدائر بينهما على حدودهما المشتركة. بيد ان الزعيم القبلي الشاب الطموح، لم يشأ الخضوع للترك والفرس قط، كما انه سلك موقفاً صلباً من تدخلات البابانيين في شؤون قبيلته، فحدثت القطيعة بين الجانبين، وعلى اثرها رحل الجاف وزعيمهم الى حدود امارة اردلان (كوردستان الشرقية) فمكثوا هناك ردحاً من الزمن قبل ان يعودوا ويستقروا عند قزلرباط (السعدية) في رعاية العثمانيين، الى ان تصالح معهم أحمد پاشا (أخر أمراء بابان المستقلين) انطلاقاً من قناعته الراسخة بضرورة ارضاء الجاف واستمالتهم وكسب ولائهم، فعادوا الى شهرزور مجدداً.


محمد باشا الجاف

منح العثمانيون محمد بگ لقب الپاشا

٧- قيل انه تسلم الرئاسة في سن الرابعة عشرة لكن محمد أمين زكي بگ، ذكر انه تسلم الرئاسة في الثامنة عشرة ويبدو كلامه هو الارجح.



قلعة شيروانه

عام (١٨٥١م) واستمر نفوذه بالتنامي داخل وخارج نطاق قبيلته التي ظل على خطى والده الراحل مواظبا على مصاحبتها اثناء هجراتها الموسمية المتواصلة بين سهوب گەرميان (في كردستان الجنوبية) جنوباً واطراف سنه/ سنندج(في كردستان الشرقية) شمالاً

وفي عام ١٢٨٣هـ شرع محمد پاشا ببناء قلعة شيروانة « في كلار »[٨] والتي غدت رمزاً لقوة وأبهة بانيها وقبيلته الكبيرة الرحالة. وبمرور الزمن ازدادت ريبة العثمانيين من محمد پاشا وسلطته وطموحاته وهيبة قبيلته المتنامية، فقرروا وضع حد لتنقلات الجاف وطابع حياتهم شبه المستقل الذي عرفوا به طويلاً، ولتحقيق ذلك طلبوا من محمد پاشا شراء وأستملاك الاراضي الزراعية في شهرزور بهدف اسكان الجاف فيها بشكل دائم والكف عن حياة التنقل عبر الحدود (العراق وايران) لكن الپاشا الفطن أدرك بحدسه الصائب أن الهدف من ذلك الاجراء هو القضاء على حرية وسلطة قومه، فرفض مقترح العثمانيين بهذا الشأن

٨- دام العمل في القلعة بضع سنوات ونفذه بناء فارسي حاذق يقال انه ارسل من قبل الشاه ناصر الدين القاجاري.

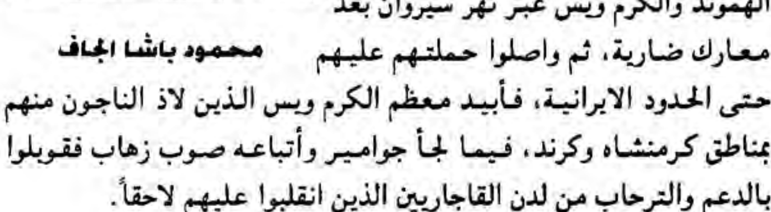
رفضاً قاطعاً،ثم أضطر الپاشا وأغلب أبناء قومه نتيجة لذلك الموقف الرحيل نحو الحدود الايرانية، فقوبلوا بمنتهى الحفاوة والتكريم من لدن القاجاريين وحافظوا هناك على طابع حلهم وترحالهم بين زهاب وجوانرود صيفاً وشتاء. وفي عام ١٢٩١ هـ مُنح محمد پاشا لقب (خان) الرفيع من قبل الشاه ناصر الدين القاجاري الذي تسنى لزعيم الجاف زيارته ومقابلته في طهران مرتين حيث حظي عنده خلالهما باللطف والرعاية، كما تم تعيينه حاكماً لمنطقة زهاب، وابنه عثمان (عثمان پاشا فيما بعد)حاكماً لجوانرود. وبعد انقضاء ثلاث سنوات على اقامتهم هناك بدأت علاقاتهم تسوء مع القاجاريين الذين قرروا وضع حد لنشاطات الجاف وتجاوزاتهم المتصاعدة على حدودهم مع العثمانيين فخططوا لاخضاعهم واحتوائهم عن طريق اسكانهم ووضع نهاية لتنقلاتهم وتحركاتهم المستمرة. لكن مخططهم ذلك قوبل بالرفض من قبل الجاف وزعيمهم الذين تحملوا بسبب ذلك أعباء نزاعات دامية مع قوات القاجاريين، فعادوا أدراجهم صوب وطنهم بعد وساطات واتصالات جرت مع العثمانيين الذين أحسنوا استقبالهم وفقاً لاغراضهم ومقاصدهم الخاصة، وعينوا محمد پاشا قائممقاماً لحلبجه.

لم تمض فترة طويلة على عودة الجاف الى كوردستان العراق حتى عاد العثمانيون الى نهجهم السلبي السابق في تعاملهم معهم (أي مع الجاف) ورئيسهم، فحرضواعزيز شاويس رئيس فرع الكرم ويس، وهو من افخاذ الجاف، على تحدي سلطات محمد پاشا والتجاوز على صلاحياته وأوامره الادارية كقائممقام لحلبجه[٩] وعليه أمر زعيم الجاف بحبس عزيز، فقضى نحبه بعد فترة من سجنه متأثراً بأعراض مرضه (ذات الرئة)، فأستغل خصوم الپاشا ولاسيما بعض المسؤولين العثمانيين، الحادث وأشاعوا بأن

٩- لم يشأ الكرم ويس ورئيسهم عزيز، الرحيل مع قبيلتهم الجاف الى ايران بصحبة محمد پاشا، فاستملكوا في غيابهم الكثير من الاراضي في شهرزور وزادت حظوتهم لدى العثمانيين.

عزيز مات مسموماً في السجن بايعاز من ساجنه محمد پاشا، فقرر أتباعه وأقاربه الانتقام لرئيسهم ووجدوا فرصتهم الى ذلك عام ١٢٩٩ هـ عندما أستغل بعضهم وجود محمد پاشا في رحلة صيد مع قلة من حراسه، في موقع قريب من كفري (عند ابراهيم سمين)، فغدروا به وصرعوه ثم لاذوا مع سائر الكرم ويس بديار الهموند عند چمچمال مستنجدين بزعيمهم (أي زعيم الهموند) جوامير آغا الذي آواهم على مضض. فاضطر جوامير الى مقاتلة الجاف الذين هبوا لملاحقة القتلة والثأر لدم زعيمهم المغدور. ومن جانبهم وقف المسؤولون العثمانيون في ذلك الظرف موقفاً يتسم بقدر كبير من الازدواجية والخبث، فهم ساهموا كثيراً في خلق تلك الازمة التي أودت بحياة زعيم الجاف على أيدي نفر من قبيلته، أي الكرم ويس، ثم انقلبوا على هؤلاء متظاهرين بدعم الجاف حفاظاً على سمعتهم ومصداقيتهم كون المغدور هو أحد باشواتهم وموظفيهم الكبار، كما أستغلوا الحادث من جانب آخر للتخلص من جوامير الهموند الذي كانوا ناقمين عليه بسبب نفوذه وسلطته وموقف قبيلته منهم.

وعقب مصرع محمد پاشا تسلم نجله الاكبر محمود بگ (محمود پاشا فيما بعد) رئاسة قومه خلفاً لولده الراحل فوفق مع افراد قبيلته في الثأر له حيث طاردوا الهموند والكرم ويس عبر نهر سيروان بعد معارك ضارية، ثم واصلوا حملتهم عليهم حتى الحدود الايرانية، فأبيد معظم الكرم ويس الذين لاذ الناجون منهم بمناطق كرمنشاه وكرند، فيما لجأ جوامير وأتباعه صوب زهاب فقوبلوا بالدعم والترحاب من لدن القاجاريين الذين انقلبوا عليهم لاحقاً.



محمود باشا الجاف

محمود پاشا الجاف وعهد حافل بالاحداث

كان محمود پاشا الجاف (١٨٤٦- ١٩٢١) زعيماً قبلياً بارزاً وشخصية كوردية لامعة على قدر كبير من الشجاعة ورجاحة العقل والتقوى، وقد نال منذ صغره وفي كنف اسرته النبيلة قدراً معقولاً من التعليم عند استاذه الملا مؤمن الذي درسه المناهج التعليمية السائدة، فتعلم الفارسية وقدراً من العربية، ثم تمكن لاحقاً من اتقان اللغة التركية من خلال اختلاطه بالمسؤولين الترك، هذا اضافة الى شغفه الكبير بالاشعار الكوردية والفارسية ومقدرته في نظم الاشعار بهاتين اللغتين.

عمل محمود پاشا دوراً هاماً في تعزيز هيبة ونفوذ قبيلته وتوسيع ديرتها في عهد والده محمد پاشا، اذ استغل فرصة بقائه في العراق اثناء وجود والده ومعظم افراد قبيلته في ايران (منذ عام ١٢٩٠هـ) مستفيداً من قانون (الطابو) الجديد كي يشتري مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية الخصبة وتسجيلها بأسمه اعتماداً على امكاناته الذاتية والمبالغ التي دأب والده على ارسالها اليه من ايران لذلك الغرض. وكانت السعدية - قزلرباط التي عرضت للبيع بالمزاد، ضمن الاملاك التي اشتراها محمود پاشا بعد ان باع من أجلها الكثير من خيوله ومواشيه ومصوغات عائلته فدفع مقابلها مبلغاً ضخماً قدره عشرة الاف وخمسمائة ليرة ذهبية[١٠] وبذلك أمتدت ممتلكات الجاف من مشارف حمرين جنوباً الى المناطق الحدودية المتاخمة لبنجوين شمالاً.

وعندما أغتيل والده كما أسلفنا، حرص محمود پاشا على ادامة نهجه القويم في الحياة فظل وريثاً مخلصاً لتطلعاته القومية وطموحاته الشخصية الواسعة وسجاياه القبلية الاصيلة. كما حرص العثمانيون الذين سلموه مسؤوليات والده الادارية والقبلية ومنحوه لقب الپاشا ايضاً، على كسبه واستمالته اليهم (كما منحه الشاه القاجاري مظفرالدين، بعد عدة

١٠- ذكر لي الاخ كسرى بگ بن محمد سعيد بگ الجاف أن السندات العثمانية لتلك الاراضي محفوظة لدى اسرة بگزاده الجاف لحدالآن.

سنوات لقب الخان الرفيع وسيفاً مرصعاً ثميناً في ٢٢ شعبان ١٣٢هـ).

لكن محمود باشا المتذمر من سياسات الترك والفرس معاً تجاه شعبه وقومه لم يشأ الوثوق بهم بل شرع بتنظيم أمور قبيلته التي تجاوز تعدادها في عهده ١٥ ألف أسرة رحالة وتشكيل قوة مسلحة منظمة منها وبالشكل الذي أغاظ العثمانيين كثيراً ولاسيما عقب التقارير المرفوعة اليهم بشأن سلوكه المعادي منهم وقناعته الراسخة بان تبعيته للسلطان محصورة فقط بدفع مبلغ سنوي اليه فقط.

وبغية الحد من طموحاته القومية الواسعة ومساعيه الرامية الى تقوية وتعزيز قبيلته، وبقصد درء مخاطره المحدقة بمصالحهم في المنطقة أرتأى المسؤولون العثمانيون احتواءه وأيقافه عند حده،فقررت الاستانة أولاً أرسال موفدها اليه (الفريق نامق باشا) للتأكد من حقيقة موقفه عن قرب والتحقق من صحة التقارير المرفوعة بهذا الشأن، فقوبل الموفد التركي في حلبجه ببرود ظاهر من قبل مضيفه محمود باشا الذي أدرك ببصيرته الحادة الغرض من تلك الزيارة. ثم ازداد الجفاء بينه المضيف والضيف أكثر حالما أعلن الأول للثاني عن تذمره من قيام السلطان عبدالحميد بشراء مساحات من أراضي شهرزور وتسجيلها باسمه، ومعتبراً ذلك عملاً لايليق بالسلطان ومن شأنه الحاق أفدح الأضرار بمصالح الجاف. وجاء التقرير الذي رفعه نامق باشا عن محمود باشا حافلاً بالعداء والتحريض، فقرر السلطان ابعاده عن منطقة نفوذه عام ١٨٨٩م وبشكل لايثير الشبهات، اذ عينه محافظاً لأورفه ومنحه لقب (بيگلر بيك) الرفيع، فخلفه شقيقه عثمان باشا في القائممقامية والباشورية.

لم يرض محمود باشا، وكما كان متوقعاً، بمنصبه الجديد والابتعاد عن مضارب قومه الذين كان يصاحبهم في حلهم وترحالهم (على عادة اسلافه)، فقصد السلطان بهدف اقناعه بالعدول عن قراره، لكن الأخير فرض عليه الاقامة الجبرية في اسطنبول، فازداد محمود باشا سخطاً وتذمراً من السلطان وشرع يتصل بالتنظيمات السرية المعادية له والتي

ضمت نخبة من المثقفين الترك والكورد.

أفلح محمود پاشا في الهرب من اسطنبول بصحبة (تابعة) الملا حمدي سنه يى على متن احدى السفن عبر البحر الأسود عام ١٨٩٢، بعد أن ترك خلفه في البريد رسالة موجهة الى السلطان (عبدالحميد) ضمت أقسى وأقذع العبارات، ثم وصل مع صاحبه الى القفقاس فباكو في شهر تشرين الأول ١٨٩٢ حيث تنكر هناك في زي متسول وأخذ صورة شخصية بهذه الهيئة كتب في حاشيتها عبارات بالفارسية موجهة الى أهله في كوردستان العراق. وهناك راسل محمود باشا قيصر روسيا طالباً مساعدته بشأن اشعال نار الثورة ضد الوجود التركي في كوردستان، لكن مسعاه خاب في خضم الاوضاع الداخلية المتردية السائدة في روسيا القيصرية، فقرر العودة صوب الوطن فوراً. اجتاز الپاشا وصاحبه بحر الخزر ثم جابا الاراضي الايرانية نحو پنجوين حيث قوبل بالترحاب والحفاوة من قبل أهله وقومه. وفي تلك الاثناء أوعز السلطان عبدالحميد بتجريده من جميع القابه وامتيازاته وأمر ولاته بوجوب ملاحقته وإرساله إليه حياً أو ميتاً!

عقد محمود پاشا، بعد وصوله أرض الوطن بفترة وجيزة، مؤتمراً موسعاً لرؤساء ووجهاء المنطقة عند نهر زەلم[11] كرسه لمناهضة الحكم العثماني واقرار نوع من الاستقلال للكورد، فأثار ذلك مخاوف السلطان كثيراً، وانطلقت في اعقابه وبأمر السلطان قوة قوامها الف فارس، فأضطر محمود پاشا الى الاحتماء بجبال زمناكو وشميران (المتاخمة لبحيرة دربنديخان) والتنقل عبر شهرزور لعدة أشهر، مفوتاً على مطارديه فرصة القاء القبض عليه مراراً، رغم الصعوبات التي لاقاها مع اتباعه القليلين الذين ظلوا معه. ولما بدأت الوساطات لدى السلطان بقصد الصفح عنه رد (اي السلطان) بالقول القاطع: «لقد اقسمت على شنق محمود وسط اسطنبول لأنه ارتكب بحقي خطيئة لاتغتفر». لكن الحاح المقربين عليه

١١- نهر زەڵم ينبع من الحدود الجبلية الايرانية المتاخمة لشهرزور ويصب في بحيرة دربنديخان.

بهذا الشأن جعله يعدل عن موقفه المتشدد ، فأعرب أخيراً عن استعداده للصفح عن محمود پاشا شريطة حضوره اليه في اسطنبول، وهذا ما تحقق فعلاً، فأمر عندئذ السلطان بإعادة القابه وأمتيازاته ورئاسة الجاف اليه مجدداً، بينما ظل شقيقه عثمان پاشا محتفظاً بمنصب قائممقام حلبجه.

كما سلك محمود پاشا موقفاً مناهضاً للاتحاديين الذين تسلموا الحكم في أعقاب عزل عبدالحميد عام ١٩٠٨م، دون أن يمنعه ذلك من مساعدتهم لاحقاً بدعوى الجهاد ضد المحتلين الانگليز الذين شرعوا باحتلال العراق عقب اندلاع الحرب العالمية الاولى مباشرة، فأرسل مع اخيه محمد علي وابن أخيه كريم بگ، الف مقاتل من فرسان الجاف للمشاركة في معركة الشعيبة (١٩١٥م) التي سالت فيها دماء الكورد والعرب معاً وكلفت الجاف من جانبهم عدداً من الشهداء، كما حارب محمود پاشا بجانب العثمانيين ضد القوات الروسية في معركة (قاتان قوري) التي دارت رحاها في منطقة (سقز) ضمن كوردستان الشرقية، وعندما واصلت تلك القوات زحفها الى منطقة رواندوز، تصدت لها القوات العثمانية بمساعدة القبائل الكوردية فاوقفت زحفها.

وعلى دأبه المعهود في مقته للمحتلين على أختلاف اشكالهم واجناسهم، لم يشأ محمود پاشا الوثوق بالانگليز والتعاون معهم رغم جهودهم المتكررة المبذولة في هذا السبيل. وفي تلك الفترة قرر اعتزال رئاسة الجاف بفعل اعراض الشيخوخة والمرض التي ألمت به في اواخر حياته فتسلم مهمته ابنه علي بگ الذي سرعان ماتركها لتؤول الى ابن عمه كريم بگ الجاف (في عام ١٩١٩).

توفي محمود پاشا عام ١٩٢١ ودفن عند مسجده في قزلرباط تاركاً من بعده ذكرياته الطيبة واثاره الخالدة التي نذكر منها مخطوطته الادبية القيمة (كشكول) التي تقع في جزئين وسبعمائة صفحة، ومسجده المذكور وقلعته المسماة (الپاشا) التي مايزال اطلالها تحكي ذكريات صاحبها على ضفاف سيروان وعند قرية (تازه دى).

لمحات نضالية من تاريخ الجاف الحديث

كان الاحتلال البريطاني للعراق اثر الحرب الكونية الاولى (١٩١٤-١٩١٨م) ايذاناً ببداية عهد جديد من الاحتلال الاستعماري البغيض لبلادنا عقب عقود طويلة ومريرة من الاحتلال العثماني. فقد سادت وطننا في ظل الانگليز ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية عصيبة للغاية تركت بمجملها آثارها القاتمة على حياة شعبنا كافة، فهب ابناء وطننا عرباً وكورداً واقليات متآخية لمقاتلة المحتلين الجدد مقدمين في هذا السبيل تضحيات جسيمة بالارواح والاموال تحمل الكورد من جانبهم قسطاً وافرا منها، حيث كانت كوردستان ساحة رئيسية للثورة والنضال ضد المحتلين الذين عاملوا اهلنا بالحديد والنار تارة وبالمكر والدسائس تارة اخرى. فكان طبيعياً أن يتحمل الجاف في تلك الظروف الصعبة وأستناداً الى حجمهم ودورهم وتأثيرهم في كوردستان نصيباً كبيراً من تبعات وتداعيات ذلك العهد المرير.

ففي خضم ذلك الواقع الصعب آلت رئاسة الجاف الى كريم بگ بن فتاح بگ (١٨٨٩- ١٩٤٩م) في أواخر العقد الثاني من القرن الماضي. فكان جديراً حقاً بتحملها، أذ أفلح كثيراً في الحفاظ على وحدة قبيلته الكبيرة وتماسكها، مواصلاً مرافقتها في هجراتها الموسمية طويلاً الى أن قرر في منتصف عقد العشرينات من القرن الماضي، الاقامة النهائية في قصبة كلار الفتية التي غدت منذئذ المركز الرئيسي لرئاسة الجاف بعد أن اضطلعت حلبجه بذلك الدور سابقاً، وشهدت (أي كلار) لذلك السبب المزيد من التوسع والازدهار الحضري والعمراني.

وعلى دأب العديد من بگزاداتهم -امرائهم - ووجهائهم وأخرين غيرهم من أبناء القوم، واصل الجاف الرحل وبفعل الوقائع والظروف والمستجدات التي سادت بلادهم وأحاطت بحياتهم، واصلوا استيطانهم المضطرد في منطقتي گەرميان وشهرزور وغيرهما من أرجاء كركوك والسليمانية، حتى غلب أخيراً طابع الاستقرار على حياتهم المتنقلة السابقة وظلوا متمسكين

دوماً بانتمائهم القومي والوطني الراسخ وصدق تعلقهم بتراب وطنهم الغالي رغم الشدائد والمحن التي مروا بها مع أبناء وطنهم طويلاً.

وسنخصص الجزء المتبقي من موضوعنا هذا للاستشهاد ببعض المواقف والاحداث والدلائل التي توضح لنا بشكل جلي ذلك النهج النضالي القويم الذي سلكه الجاف في العصر الحديث وتحديداً بعد الاحتلال البريطاني للبلد، من اجل قضايا شعبهم المصيرية وتطلعاته المشروعة في الحياة. فبالاضافة الى الموقف النضالي المشهود الذي أبداه الجاف مع غيرهم من ثوار الكورد بصحبة الشيخ محمود، في معركة الشعيبة عام ١٩١٥م (كما أسلفنا)، فأنهم كانوا سباقين أيضاً في المساهمة الفاعلة في ثورة العشرين الوطنية عندما دعم أبناء الروغزائي والترخاني من الجاف انتفاضة الثائر ابراهيم خان الدلو في كفري وكانوا في طليعة الثوار الذين حرروا البلدة التي تشكلت فيها حكومة محلية برئاسة ابراهيم خان وضمت بين اعضائها الحاج محمد الترخاني ومحمد جان الروغزائي (من الجاف) ثم قاسوا (أي الجاف) شأنهم شأن غيرهم من ثوار كفري، من تبعات احتلال البلدة التي عاملها المحتلون بشتى صنوف القمع والتنكيل والترهيب.

كما وقفوا موقفاً مؤيداً ورائعاً تجاه الشيخ الحفيد وانتفاضاته المتكررة في السليمانية على الانكليز، وظهر ذلك واضحاً عقب عودة الشيخ من المنفى (١٩٢٢م) وأعلان حكومته المستقلة في السليمانية وما تبع ذلك من تصادم وتقاتل مع الانكليز، فقد برز أنذاك من بين قادة الجاف: خليفة يونس ومحمد علي وسمان روستم الروغزائي ومحمود خاطر اسماعيل عوزيري الذين كانوا من قادة الجبهات الرئيسية ضمن قوات الثورة، وننوه في هذا السياق بالمواقف الشجاعة والمتميزة التي ابداها خليفة يونس الروغزائي أثناء صولات الثوار على الانكليز عقب سقوط السليمانية مجدداً عام ١٩٢٤م وانسحاب الثوار منها ولاسيما وقفته الجريئة مع صابر بگ الهموندي في معركة گريزه[١٢] عام ١٩٢٥م والتي الحقا فيها

١٢- گريزه، قرية كبيرة وغنية قرب الطريق العام بين السليمانية وحلبجه وتتبع =

مع اتباعـهـما هزيمة قـاسـيـة بقـوات الليـفـي التي كـان يقـودها الـكـولونـيـل لوانس والتي فرت مذعورة في حماية أربع طائرات قصفت مضارب الجاف في المنطقة محدثة القتل والدمار بين سكانها العزل. يذكر أيضاً ان خليفة يونـس كـان واحـداً من الثـوار المطلوبين لدى السلطات التي خـصـصـت مكافآت مالية بهدف القاء القبض عليهم أو تصفيتهم، فقد خصص لهذا الغرض مبلغ ٢ الف روبيه بالنسبة للشيخ محمود و ١ آلاف روبيه لكل واحد من كـريم بگ الهموندي ونجليه صابر وعبدالله وكذلك خليـفة يونس الروغزائي.

وفي ربيع عـام ١٩٣١ عاد ابناء الجاف وعلى رأسهم أميرهم كريم بگ وشقيقه داود بگ وابنه (ابن كريم بگ) مينه جاف الشاعر ليسجلوا مع اخوتهم من ابناء الطالباني والزنگنه ملحمة رائعة في معركة (ئاوباريك) التي قـاتلوا فـيـهـا ببـراعـة الى جانب الشـيـخ الحفـيـد واتباعه ضد القوات الحكومية المدعومة جواً من الطائرات البريطانية.

وتعد المسيرة النضالية لنخبة من أمراء ووجهاء وشخصيات الجاف في صفوف حزب هيوا منذ مطلع الاربعينات من القرن الماضي من المواقف النضالية المشرفة التي يعتز بها قومهم، وهي تدل على وعيهم السياسي والقـومي الذي عـرفـوا به مع اشـقـائهم من أبناء گەرمـيـان المنضمين الى (هيـوا)، وكـان لهم دورهم الفعـال في انجاح المؤتمر التصالحي الذي عـقده (هيوا) في كلار صيف ١٩٤٤م والذي وفق في أنهاء الخلافات الداخلية المستعصية التي عصفت بالحزب في تلك الفترة، كما احتضنت قرية (گيژەكان) القريبة من كلار مؤتمراً أخر للحزب صيف عام ١٩٤٥م، عرف بمؤتمر (قنديله)[١٣] كرس لدعم ثورة بارزان عـام ١٩٤٥م، وعلى اثره قـام فرسان الجاف بقيادة مصطفى بگ وفرسان الجمور والباجلان والطالباني ببعض النشاطات والفعاليات الثورية المسلحة ضد مؤسسات ومواقع

=(سيد صادق) ادارياً.

١٣- قنديلة، نسبة الى القنديل الذي انار مكان الاجتماع ليلاً.

الحكومة في المنطقة دون أن تحقق الاهداف الرئيسية المتوخاة منها.

ولايفوتنا التنويه بالمواقف والمبادرات والاسهامات المتميزة التي عرف بها نواب الجاف خلال حياتهم النيابية في العهد الملكي وتفانيهم من اجل مطالب وقضايا شعبهم أمثال؛ محمد بگ الجاف (من نواب كركوك) وصاحب الوقفة الشجاعة (في قشلة كركوك عام ١٩٣٠م) التي دعا خلالها نائب رئيس الوزراء العراقي جعفر العسكري ووكيل المندوب السامي البريطاني الميجريالغ الى ضرورة تلبية المطالب والحقوق القومية للشعب الكوردي التي اقرتها عصبة الامم في وقت سابق، وكذلك عزت بگ بن عثمان باشا الجاف الذي انتخب نائباً عن السليمانية في المجلس التأسيسي ١٩٢٤م وفي مجلس النواب خلال اعوام ١٩٣٧م، ١٩٣٩م، ١٩٤٣م، ثم داود بگ الجاف (من نواب كركوك) الذي تمتع بعضويته طيلة تسع دورات انتخابية كاملة خلال عقدي الاربعينيات والخمسينيات من القرن الفائت. أما فيما يتعلق بالاحداث والوقائع الاخرى التي ساهم فيها الجاف في المراحل اللاحقة، فهي كثيرة ومتعددة لايتسع المجال هنا لذكرها جميعاً لكننا نشير من بينها الى مشاركتهم المخلصة في ثورة ايلول التحررية وتضحياتهم خلالها وبضمنها؛ اسهامهم الفاعل مع غيرهم من عشائر المنطقة في التجمع المسلح الذي شهدته دربنديخان في ٦ أيلول ١٩٦١م والذي كان بمثابة المقدمة لاندلاع ثورة ايلول المجيدة، وايضاً دورهم البارز في معركة ژالّه (في حدود گەرميان - عام ١٩٦٧)، وانتخاب مصطفى بگ الجاف ممثلاً عن الجاف في مجلس قيادة الثورة الكوردية الذي اختير اعضاؤه عام ١٩٦٤، من بين الشخصيات المعروفة والكفوءة. جدير ذكره ايضاً ان اول شهيد سقط إبان ثورة ايلول المجيدة هو الشهيد (كاكه حمه تەلان) من ابناء الجاف.

وأخيراً نقول أن ما أوردناه بشان تاريخ الجاف يعد نزراً يسيراً من تاريخ حافل بالاحداث والمآثر، وهو بحاجة الى أكثر من بحث ودراسة لتسليط الضوء على جوانبه، وعسى أن نكون قد وفقنا في شرح بعضها من جانبنا.

الهموند...

وسجلهم الحافل بالاحداث والمواقف

يزهو ابناء الهموند بسجلهم الحافل بالاحداث والوقائع الهامة التي جعلت منهم احدى أبرز العشائر الكوردية الفاعلة على صعيد تاريخنا الوطني والقومي منذ القرن الثامن عشر. وقد حظيت العشيرة هذه تبعاً لبأسها الشديد وصيتها المتنامي وتألقها على مسرح الاحداث، باهتمام ملفت وكبير من لدن العديد من الباحثين والرحالة والسياح الاجانب الوافدين الى بلادنا لاغراض ومقاصد شتى،لا سيما خلال القرنين الماضيين، والذين تنوعت آراؤهم وملاحظاتهم وانطباعاتهم عن الهموند غير انهم أتفقوا جميعاً على جرأة وأقدام وشهرة هذا القوم.

فقد أشاد فريزر وكليمان وبرزيزوفسكي ببسالة الهموند وبأسهم الشديدة فيما أشار ماونسل الى مظاهر الخوف والفزع التي كانت تثيرها عصابات الهموند في المنطقة، في حين وصفهم دكسن بالهموند مرهوبي الجانب. ومن جانبه أشار (سون) الى حالة الرعب التي سادت قافلته بسبب الهموند أثناء سيرها من كركوك الى السليمانية، فيما شبههم مارك سايس بالسنطور الخرافي وهم يركبون خيولهم ويستخدمون بنادقهم بكل سهولة وهم يطلقونها يمنة ويسرة ويستديرون فوق سروجهم إستدارة كاملة!

واذا كان البعض أخذوا على الهموند سابقاً بسبب ميلهم الدائم الى العصيان والتمرد وممارسة الكثيرين منهم لأعمال الشقاوة ومهاجمة قوافل

التجار والمسافرين عهدذاك وشيوع صيتهم كقطاع طرق ونهابين احياناً، فأن ذلك وبحسب اعتقاد اغلب الباحثين والمتتبعين لم يكن بسبب سوء طباعهم وأخلاقهم وإنما لظروف البؤس والقحط والفساد والظلم التي سادت وطنهم طويلاً تحت وطأة المحتلين.

وبالنظر لأهمية تاريخ الهموند الزاخر بالاحداث الجسام والمواقف المتميزة والذي يشكل بحق جانباً حيوياً وبارزاً من تاريخ شعبنا فقد أرتأينا تخصيص هذا المجال من كتابنا لعرض لمحات وشواهد مختارة من هذا التاريخ الغني الشيق.

لمحة تاريخية موجزة عن الهموند

يذكر المؤرخون ان اصول عشيرة الهموند التي تختلف الروايات بشأن تسميتها[1] تعود اساساً الى كوردستان الشمالية التي نزحوا منها صوب كوردستان الشرقية خلال الظروف الصعبة التي سادت منطقتهم في اعقاب معركة چالديران (عام ١٥١٤م) بين الدولتين العثمانية والصفوية. حيث استوطن القادمون الجدد في أرجاء كرمنشاه وسنندج (كرمانشاه

١- تختلف التفسيرات والتأويلات والآراء بشأن تسمية الهموند كثيراً، فهناك من يرجح اشتقاق التسمية من لفظة (وان)، ثم تحولت الى هه مه وه ن - هه ماوه ن (في الكوردية) على أساس ان منطقة (وان) في كوردستان الشمالية (وفيها بحيرة معروفة بهذا الاسم) هي المهد الأصلي لهذه العشيرة قبل ان تنزح منها لاحقاً الى كوردستان الشرقية... والتي انتقلت منهافيما بعد خوادي واقاربه من الهموند الى كوردستان الجنوبية فأسسوا فيها نواة عشريتهم. فيما يقول أدموندز أن مأثر الهموند لاتتعدى الجد الاعلى (حمه - همه) الذي أتخذت عشيرته اسمه وأن الاسماء القبلية المنتهية بـ(وند) هي شائعة عند (اللك واللر) وهي مقتبسة من الفعل (وندين) بمعنى (رمي او قذف). ويرى الاستاذ علاءالدين السجادي بأن أصل كلمة الهموند هو هوماوند و (هوما) من الطيور أما (وه ند) بمعنى صاحب في اللغة البهلوية القديمة. ثم تغيرت لفظة هوماوند (أي صاحب هوما) الى هموند او ان الكلمة جاءت من (هه مه - هه موو) بمعنى الكل والجميع و (وه ن) بمعنى شبيه في اللغة البهلوية، وذلك لاحتمال تشابه الهموند الاوائل فيما بينهم. وتعني اللفظة: جميعهم متشابهون.

وسنه - بالكوردية). ثم نزح من أطراف هذه الأخيرة في عام ١٧ م خوادي (الجد الاكبر لهموند العراق) يصحبه بعض أقاربه باتجاه كوردستان العراق، حيث عبروا حدود پنجوين قاصدين قرية (هەنگەژاڵ) فأقاموا فيها في رعاية الشيخ رضا هەنگەژاڵی المعروف بمهابته ونفوذه في منطقته. وبعد فترة، تزوج خوادي هناك في هەنگەژاڵ وبمساعدة الشيخ المذكور فرزق بابنائه الاربعة ؛ يادگار (يسمى چلبي ايضاً)، رمضان، رشيد و صفر، الذين تنتسب اليهم الفروع الرئيسية الاربعة للهموند؛ البگزاده (الچلبي - چەلەوی)، الرموند، الرشوند والصفروند[٢]

توجه خوادي مع اسرته واصحابه عام ١٧١١م صوب بازيان[٣] فاتخذوها موقعاً لاقامتهم حيث امتلكوا هناك بمرور الزمن الكثير من الاراضي الزراعية وشيدوا فيها باستمرار قراهم التي أستقروا فيها نهائياً بعد سنوات من طابع حلهم وترحالهم الرعوي في ربوع المنطقة وجوارها. وبمرور الوقت التحق بهم هناك (في بازيان) الكثير من أقاربهم النازحين من اماكن اقامتهم في كوردستان الشرقية.

تعاظمت سلطة الهموند ونفوذهم تدريجياً في بازيان، ثم أمتدت الى خارجها لتسود چمچمال[٤] المتاخمة التي نمت وتوسعت في عهدهم من

٢- واضافة الى هذه الفروع الرئيسية هناك افخاذ وجماعات عدة اخرى تتبع الهموند ومنها: سيتەبەسەر، صوفيوەند، بابلەوەند، ميتموند... والمعتقد انتماء هذه الجماعات الى أقارب (خوادي) الذين رافقوه عند مجيئه الى المنطقة، او الذين التحقوا به لاحقاً قادمين من موطن العشيرة القديم عند سنه وكرماشان.

٣- بازيان اليوم هي احدى نواحي قضاء السليمانية المركز، ومركزها يقع قبالة مجمع (ته ينال) السكني وهي منطقة زراعية ورعوية نموذجية ترويها مياه الجداول والينابيع العذبة الباردة كما تحيط بالمنطقة السلاسل الجبلية الشاهقة التي يخترقها الطريق العام بين كركوك والسليمانية وعبر مضيقي طاسلوجة شرقاً ودربندي بازيان غرباً.

٤- يرجح الباحثون ان ابناء الهموند هم الذين أطلقوا تسمية چمچمال أول مرة على هذا الموقع الحيوي الكائن على مبعدة ١٧ كم غربي مضيق دربندي بازيان وذلك =

قرية صغيرة الى بلدة مزدهرة متنامية أتخذوا منها مركز عشيرتهم الرئيسي في كوردستان العراق.

وكان تنامي سلطة الهموند وميلهم الدائم الى النفوذ والتسلط، باعثاً حقيقياً لقلق العثمانيين الذين اعتبروهم عاملاً لتهديد أمنهم ومصالحهم، فسارعوا من جانبهم بكل الوسائل والسبل المتاحة لديهم من أجل كبح جماح الهموند واحتواء زعمائهم الطموحين.

أرتبط الهموند بصلات وثيقة مع أمراء بابان وبالاخص خلال الفترة (١٧٨٧- ١٨٣٨) ودعموهم دوماً في مواجهاتهم المتكررة والدامية مع الولاة العثمانيين في العراق، وفي نفس الوقت كان ازدهار الامارة البابانية عاملاً مشجعاً لازدياد وتنامي سلطة الهموند التي بلغت مشارف مدينة كركوك وجرّت المنطقة الى العديد من المصادمات التي وقعت بينهم وبين العثمانيين وكلفت الطرفين خسائر فادحة.

ظل الهموند على معاداتهم للعثمانيين بعد أنهيار الامارة البابانية منتصف القرن التاسع عشر وظلوا شوكة في جنبهم طيلة العقود اللاحقة، فتعرضوا من جراء موقفهم هذا الى شتى صنوف المحن والويلات والتشرد، فقد أضطروا الى ترك ديارهم مراراً واللجوء الى المناطق الحدودية عبر نهر سيروان (ديالى) والمكوث في ارجاء زهاب (زەهاو) وقصر شيرين لفترات مختلفة من الزمن.

وللتدليل على ذلك الوضع القاسي الذي عانى منه الهموند مراراً نشير الى إنهم قد تشردوا من ديارهم ١٩ مرة خلال ٥٠ عاماً فقط (ابتداء من اوائل النصف الثاني للقرن التاسع عشر). وقد دأب النازحون الهموند

= تيمناً باسم موقعهم السابق القريب من جبل بيستون ومدينة كرمنشاه في كوردستان الشرقية. وتتألف لفظة چمچمال (ظاهراً) من مقطعين الاول معناه الوادي أو النهر والثاني اسم علم (جمال - چمال) وورد في كتاب (العراق الشمالي) أن معناها الغيضة أي المحل الذي تغيض فيه المياه فتكسب الارض خصوبة.

على تعكير راحة واستقرار العثمانيين وتنفيذ الغارات الانتقامية ضدهم عند اطراف جبل حمرين وبغداد وكركوك، كما سلكوا نهجاً مماثلاً ضد القاجارين في أطراف كرمنشاه والذين كانوا يبذلون بدورهم جهودهم لاحتواء الهموند النازحين الى حدودهم والتخلص من مشاكلهم ومتاعبهم. وعموماً فشلت السلطتان العثمانية والقاجارية في إخضاع الهموند المتمردين رغم تعاونهما الوثيق في هذا المجال ولاكثر من مرة، وقد كلفهما ذلك غالياً أحياناً.

وفي عام ١٨٧٢ افلح الوالي العثماني (رؤوف باشا) الذي تولى الولاية عقب مدحت باشا في وضع حد للعلاقات المتوترة مع الهموند مؤقتاً، عندما دعا رؤساءهم الى بغداد وانهى الخلافات معهم وسمح للنازحين منهم بالعودة الى ديارهم والعيش فيها بسلام ردحاً من الزمن. وعندما أندلع القتال بين العثمانيين والروس في تلك الظروف (١٨٧٥م) هب الهموند لنصرة العثمانيين والتوجه نحو جبهة القفقاس (القوقاز) فأستبسلوا هناك كثيراً وعادوا منها بغنائم ومكاسب كبيرة.

لم تقتصر نزاعات وخصومات الهموند مع العثمانيين والقاجاريين فحسب بل أمتدت ايضاً الى نطاق العشائر المجاورة في المنطقة، يوم كانت النزاعات القبلية أمراً مألوفاً في ظل المحتلين الذين دأبوا على تحريض عشائر الكورد فيما بينها وذلك ضماناً لأهدافهم ومصالحهم ومخططاتهم المشبوهة والخاصة بهم.

وهكذا أصطدم الهموند مع الزنگنه عام ١٨٧٨ بسبب اغتيال احد زعمائهم من قبلهم (اي من قبل الزنگنه) فجرهم النزاع الى الاصطدام مجدداً مع العثمانيين الذين أستنجد بهم الزنگنه المنسحبون الى منطقة شيخ لنگر (جنوبي كلار) حيث دارت هناك رحى معركة ضارية بين مقاتلي الهموند والقوات العثمانية المدعومة بمقاتلي عدد من عشائر المنطقة فأنتهت المعركة لصالح الهموند الذين وقع في ايديهم عدد من الاسرى وغنموا مدفعين وقطع مختلفة من الاسلحة الاخرى.

وبينما كان المقاتلون الهموند في طريق عودتهم الى ديارهم، أعترضتهم قوة تركية فدحروها ثم هاجمتهم عند گوپتەپه (في الطرف الشرقي من كركوك) قوة تركية ثانية مؤلفة من فوجين قدمت من كركوك فهزموها هي الأخرى شر هزيمة واسروا قائدها المدعو (ادهم پاشا). بعدئذ سارع الفرسان الهموند وخوفاً من انتقام السلطات العثمانية، بارسال عوائلهم الى منطقة زهاب (زەهاو) الايرانية وانسحبوا بدورهم عبر نهر سيروان الى المناطق الحدودية المتاخمة لناحيتي ميدان وقوره تو الحاليتين ضمن قضاء خانقين، فاطلقوا سراح أدهم پاشا في بادرة نبيلة.

ولم يمض وقت طويل على وجودهم هناك، حتى اتفق العثمانيون والقاجاريون على مهاجمتهم واجتثاث وجودهم في تلك المنطقة الحدودية، فجهز القاجاريون تحت اشراف (رضا قولي خان) جيشاً جراراً للاجهاز على الهموند في موقعهم، فيما عكف الوالي العثماني في بغداد (محمد پاشا) من جانبه بتهيئة قوة كبيرة لنفس الغرض.

وقبل ان يصل الجيش العثماني المنطقة، سارع مقاتلو الهموند لملاقاة الجيش القاجاري الزاحف نحوهم داخل الحدود الايرانية (ضمن زهاب)، فتصدى مائة فارس هموندي للجند القاجاريين الذين كان يقودهم (ماریاس خان) ثم أنسحبوا أمامهم مستدرجين أياهم بموجب خطة عسكرية مسبقة بارعة نحو موقع كان يكمن ويتأهب فيه أربعمائة من رفاقهم المقاتلين (نقصد الهموند) المتأهبين للانقضاض على خصومهم.

وفجأة وجد الجند القاجاريون أنفسهم وسط كمين محكم وتعرضوا في الحال الى هجوم صاعق شنه عليهم خصومهم الهموند، فاندلع قتال شرس ابلى فيه مقاتلو الهموند بلاء رائعاً. تمكنوا ببأسهم وعزيمتهم وعقب قتال طويل وضروس ساهمت فيه النساء الهمونديات جنباً الى جنب رجالهن، من تحقيق نصر تاريخي مؤزر على عدوهم وقتل الكثيرين منهم وبضمنهم قائدهم الميداني (ماریاس خان). أما الناجون من الجيش القاجاري المدحور والمطارد من قبل خصومهم الهموند، فلم يكن هناك من خيار أمامهم

سوى الفرار والنجاة بجلودهم تاركين وراءهم الكثير من أسلحتهم واعتدتهم التي غنمها الهموند وبضمنها ثلاثة مدافع منصوبة على عربات. كما أجبرت نتائج هذه المعركة ومعطياتها الخطيرة، العثمانيين على مراجعة حساباتهم والعدول عن شن حملتهم المزمعة على الهموند وذلك حفاظاً على جيشهم المرسل لذلك الغرض والذي أنهارت معنويات جنده كثيراً عقب هزيمة القاجاريين المذلة.

وهكذا آثر العثمانيون اختيار طريق الصلح والتفاوض مع الهموند المتمردين على سلطتهم وسمحوا لهم بالعودة الى مناطقهم مرفوعي الرأس، فتعاظم شأنهم كثيراً وتعززت باضطراد مكانتهم في عهد زعيمهم النابغ (جوامير آغا)

لكن الهموند لم يهنأوا طويلاً بالراحة والاستقرار في ديارهم، إذ سرعان ما أندلع القتال الشديد بينهم وبين قبيلة الجاف الكبيرة عام (١٨٨٠م) وذلك بسبب ايواء (جوامير آغا) لقتلة أمير الجاف محمد پاشا، فتمخض ذلك القتال عن إضطرار الهموند من جديد لترك ديارهم واللجوء الى القاجاريين الذين أستقبلوهم بالحفاوة والترحيب في البداية ثم أنقبلوا عليهم عام ١٨٨٦ وقتلوا زعيمهم جوامير في مكيدة مدبرة وطاردوا رجالهم ونساءهم عبر الحدود، فيما باشرت السلطات العثمانية من جانبها بتنفيذ مخططها الخطير الهادف الى نفي المئات من أبناء الهموند الى خارج البلاد بهدف اذعانهم وكسر شوكتهم والتخلص من مشاكلهم. وتعتبر عمليات عصيان الهموند في المنفى ونجاح بعضهم في الهرب والعودة الى وطنهم بعد سنوات الاغتراب القاسية من الملاحم الرائعة في تاريخ الكورد حقاً.

وحيال فشل تلك الاجراءات والاساليب القاسية التي اتبعها العثمانيون بهدف اخضاع الهموند والانتقام منهم، اضطروا أخيراً لاعادة المنفيين الى وطنهم، فألتم شملهم مجدداً مع سائر قومهم في ديارهم وعاشوا جميعاً في هدوء حتى عام ١٩٠٨ حين ثاروا على الترك من



وجهاء الهموند مع الوالي ناظم باشا

جديد في اعقاب مصرع الشيخ سعيد واستشهاده في الموصل حيث قطع الهموند الطريق بين كركوك والسليمانية وأذاقوا القوات العثمانية شر الهزائم عندما حاولت تأديبهم عام ١٩٠٩ ، لكن الوالي ناظم پاشا أنهى الأزمة تلك بموجب الصلح الذي أبرم بين الطرفين عام ١٩١

وضع الهموند كل خلافاتهم السابقة مع العثمانيين جانبا عقب احتلال العراق من قبل الانكليز خلال الحرب الكونية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) فساهموا مع المئات من اخوتهم الكورد بقيادة الشيخ محمود الحفيد، في معركة الشعيبة (عام ١٩١٥) التي سالت فيها دماء الكثيرين من ابناء شعبنا العراقي بمختلف قومياته وطوائفه.

وفي عام ١٩١٦م تصدى الهموند لقوات الروس المنطلقة صوب شهربازار وشهرزور بعد أحتلالها لجزء من كوردستان ايران (كوردستان الشرقية) وافلحوا (أي الهموند) في التصدي للغزاة (الروس) والسيطرة على قطع مدافعهم التي لحقت أضراراً فادحة بارجاء ماوت (ضمن حدود شهربازار) وجوارها من المناطق الحدودية.

كذلك تميز الهموند فيما بعد بقيادة زعيمهم كريم بگ في دعمهم

ومساندتهم للشيخ الحفيد اثناء فترة حكمه الاولى والثانية في السليمانية وانتفاضاته ونضالاته المتكررة الدؤوبة ضد المحتلين وعملائهم في بلادنا.

وبهدف تسليط مزيد من الضوء على بعض الجوانب الهامة من تاريخ الهموند الذي قدمنا عنه فيما تقدم، نبذة عامة وسريعة أرتأينا التوقف فيما يلي عند المحاور التالية والتحدث عنها بشئ من التفصيل.

جوامير أغا ونهايته التراجيدية على أيدي القاجاريين

يعتبر جوامير آغا بن أحمد بن محمد بن جوامير الأول من أحفاد خوادي، أحد أبرز وأشهر زعماء الهموند في تأريخهم، إنْ لم يكن ابرزهم وأشهرهم على الاطلاق.

ولد هذا الزعيم القبلي الملقب بـ(جوكل الهموند)، وهو سليل أسرة بگزادة الهموند (الچلبي)، في عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر وعرف منذ مطلع شبابه بشجاعته الفائقة وبأسه الشديد. ثم بزغ نجمه سريعاً بصفته مقاتلاً وقائداً قبلياً متميزاً ساهم في العديد من معارك قومه الكبرى ضد الترك والفرس والروس وبضمنها المعركة التي اسر فيها القائد التركي ادهم پاشا والمعركة التي قتل فيها القائد القاجاري مارياس خان. كما عاش جوامير أغا مع قومه ظروف التهجير والاغتراب بعيدين عن ديارهم في چمچمال وبازيان كثيراً، وقدر له تزعم قبيلته وهو في اوج عنفوانه ورجولته أوائل الربع الاخير من القرن التاسع عشر.

وإجمالاً استمرت هيبة ونفوذ جوامير بالتنامي والتعاظم في منطقته وجوارها حتى عام ١٨٨٠ حين اندلع القتال الشرس بين الهموند والجاف بسبب ايواء جوامير لقتلة محمد پاشا الجاف من افراد فخذ الكرم ويس العائد الى قبيلة الپاشا المغدور، ومن ثم رفضه (اي جوامير) تسليم القتلة الى ابناء الجاف المطالبين بالثأر لزعيمهم.

ورغم ان الهموند تمكنوا في البداية من صد هجوم الجاف عند منطقة (گل) في حدود طوزخورماتو والحاق الاذى بهم، الا أنهم اضطروا مع



جوامير بين أتباعه

الكرمويس في النهاية الى التقهقر والانسحاب أمام وطأة هجوم الجاف المدعومين وقتئذ من العثمانيين، فأجبروا على اجتياز نهر سيروان قاصدين الحدود الايرانية، لكنهم قبل أن يبلغوها اضطروا لخوض مواجهات دامية مع مطارديهم الجاف في الجانب الأخر من سيروان، كلفتهم خسائر كبيرة ولاسيما أفراد الكرم ويس الذين أبيد معظمهم.

يجدر ذكره ان اغتيال محمد پاشا في منطقة ابراهيم سمين (ضمن كفري) كان مبعثاً لارتياح المسؤولين العثمانيين الناقمين عليه في قرارة انفسهم وذلك من جراء طموحاته وهيبته الواسعة وهم الذين مهدوا السبيل (حقيقة) لاغتياله عبر اساليبهم وخططهم الماكرة في الخفاء، بيد أنهم آثروا فيما بعد التظاهر بدعم الجاف وملاحقة القتلة للأسباب والظروف التي ذكرناها (في الموضوع السابق عن الجاف).

ولاشك ان العثمانيين افلحوا في اصابة هدفين برمية واحدة، فهاهم تخلصوا من محمد پاشا الصلب الطموح من جهة، واصبحت الفرصة مواتية أمامهم من جهة أخرى، للتخلص من جوامير النابغ وكسر شوكة

عشيرته المثيرة لمتاعبهم وشجونهم.

حظي جوامير آغا وأصحابه واسرهم الهاربون من ديارهم بالترحاب والحفاوة من لدن القاجاريين وفي مقدمتهم حاكم اصفهان (ظل السلطان) والذين كانوا يرومون الاستفادة في تلك الفترة من قدرات الهموند وزعيمهم بغية تقوية وتعزيز سلطاتهم ونفوذهم على الحدود مع العثمانيين.

وهكذا عين جوامير حاكماً لمنطقة (زهاو) وخصص له مرتب شهري بلغ (١) تومان، فيما عومل اتباعه وصحبه بالدعم والرعاية جميعاً، وأصبحت بلدة (قصر شيرين) التي شيد فيها جوامير قلعته المهيبة المعروفة بـ(قلعة جوامير آغا) مركزاً لسلطة ونفوذ الهموند التي كانت تتوسع بمرور الايام وبالشكل الذي أثار شكوك وحفيظة القاجاريين الذين بدأوا يخططون لاحتواء الهموند وزعيمهم.

وعموماً، فإن طابع الود والتفاهم الذي ساد العلاقة بين القاجاريين والهموند في عهد (ظل السلطان) حاكم اصفهان والصديق الحميم لجوامير، قد انتهى عقب عزل الاول من سلطاته. فبدأ الفرس يخططون في الخفاء من أجل القضاء على جوامير وسلطته ونشاطاته في المنطقة، فاتفقوا بهذا الصدد مع العثمانيين (جيرانهم اللدودين) بصدد تنفيذ ذلك المخطط الذي كان يتناسب مع مصالح الطرفين في تلك الظروف.

هيأ القاجاريون جيشهم المكلف بتنفيذ المهمة وأناطوه بـ(حسام الملك) الذي توجه عاجلاً الى اطراف قصر شيرين التي عسكر فيها، فيما قاد الجيش التركي من الجانب الاخر للحدود (قدرت اسماعيل باشا) الذي كان ينتظر بدوره هناك تنفيذ المهمة الموكلة اليه.

لكن (حسام الملك) آثر تنفيذ المخطط بالغدر والدسيسة اولاً، فدعا جوامير للحضور اليه في معسكره بدعوى التحاور والتفاهم بشأن القضايا المشتركة التي تخص الجانبين، وما أن لبى هذا الدعوة انطلاقاً

من ثقته بنفسه وجهله التام بما كان يضمره له الاعداء في الخفاء حتى هاجمه بعض الجنود القاجاريين المختبئين لهذا الغرض خلف الخيمة التي استقبل عندها فقتلوه مع مرافقيه (عام ١٨٨٦) ثم مثّل القاجاريون بجثثهم تعبيراً عن حقدهم الاسود.



القاجاريون يمثلون بجثث جوامير ومرافقيه بعد قتلهم

ورغم تنوع الحكايات والروايات بشأن تفاصيل ودوافع اغتيال جوامير آغا[٥] لكن الثابت هو ان الرجل كان ضحية لمؤامرة مشتركة خبيثة بين القاجاريين والعثمانيين الذين دأبوا في أحايين كثيرة على ترك خلافاتهم المستديمة وتوجيه مثل تلك الطعنات الغادرة الى ظهور الكورد وزعمائهم.

واصل القاجاريون حملتهم ضد الهموند وطاردوا رجالهم ونساءهم داخل حدودهم والقوا القبض على الكثيرين منهم، فيما فر الناجون منهم عبر الحدود حيث كانت بانتظارهم القوات العثمانية التي واصلت ملاحقتهم وضربهم بكل عنف. واضطر الكثيرون منهم الى الاحتماء بالمناطق الوعرة

٥- تفيد احدى هذه الروايات ان اغتيال (جوامير) جاء بسبب الاشتباه به في حادث الاعتداء الذي تعرضت له اخت الشاه القاجاري اثناء عودتها من بغداد (قادمة من زيارة العتبات المقدسة) وبعد اغتياله أرسل رأسه المقطوع الى الشاه فلما اطلعت عليه اخته أكدت بأنه لايعود للشخص الذي اعتدى عليها! فتبين بأن جوامير اغتيل غدراً، ومهما يكن من امر هذه الروايات، فأن الثابت هو كون جوامير ضحية لمؤامرة محكمة حاكها الفرس والترك معاً.

في خانقين فيما لجأ بعضهم الأخر الى جبال سورين وقرداغ[6] التي وصلوا اليها بعد جهد جهيد مواصلين فيها الدفاع المستميت عن أنفسهم وطيلة أشهر. ثم بدأت السلطات العثمانية بوضع اللمسات الأخيرة على مخططها الخطير الهادف الى اذلال الهموند ووضع حد نهائي لنشاطاتهم وتمرداتهم عن طريق نفيهم الى خارج وطنهم وقطع صلتهم بأرضهم وشعبهم.

حكاية نفي الهموند الى تركيا وليبيا وعودتهم

كان اغتيال جوامير الهموند في ايران وأسر واحتجاز جمع من اتباعه هناك وفرار الباقين منهم عبر الحدود والظرف العصيب الذي مرت به العشيرة عموماً فرصة مناسبة تماماً للعثمانيين كي يبدأوا بتنفيذ خطة ابعاد معظم عوائل الهموند الى خارج العراق. ولضمان تحقيق ذلك سارعت السلطات اولاً بدعوة افراد الهموند المتبقين اصلاً في چمچمال وبازيان للحضور الى كركوك، حيث تم الاجتماع بهم وأبلاغهم بالاوامر القاضية بابعادهم مع عوائلهم الى الرمادي (محافظة الانبار الحالية) وتوفير مستلزمات حياتهم المعيشية هناك، على أن يسمح لهم بالعودة الى ديارهم مستقبلاً حال الاطمئنان على نواياهم وسلوكهم تجاه العثمانيين.

لكن هؤلاء ايقنوا سريعاً ان السلطات قد ضللتهم تماماً وذلك بعد أن تم أرسالهم الى الموصل تمهيداً لنقلهم الى تركيا بدلا من الرمادي! ثم الحقت بهم هناك (في الموصل) اعداد اخرى من اخوتهم الفارين من ايران والذين القي القبض عليهم عقب مصادمات دامية عند المناطق الوعرة التي لاذوا بها في وقت سابق. أما بالنسبة للمحتجزين أصلاً داخل الحدود الايرانية فأنهم واجهوا بدورهم مصيراً مماثلاً لاقرانهم بعد ان سلمهم القاجاريون الى المسؤولين الاتراك في العراق، تنفيذاً لمخططهم المشترك السابق.

٦- تقع جبال سورين وقره داغ في محافظة السليمانية.

وهكذا افلحت السلطات العثمانية في جمع معظم أبناء الهموند في الموصل ثم ساقتهم سيراً على الاقدام شمالاً صوب الأراضي التركيه وقد قاسوا من جراء ذلك ظروفاً مؤلمة للغاية وهلك بعضهم بفعل الارهاق والجوع، وقبل أن يتم أسكانهم في أدنة لاحقاً[7]

وعموماً لم تفلح المخططات العثمانية الرامية الى أخضاع المنفيين وإذعانهم للأمر الواقع وذلك رغم كل المحاولات التي بذلت لتوزيعهم واعادة توطنيهم ضمن مناطق عدة من ماردين وهكاري وسيواس وأدنة، حيث كثرت مشاكلهم مع الحكومة وصداماتهم مع السكان الاصليين هناك.

وأخيراً قررت الحكومة العثمانية نقل قسم منهم الى ليبيا[8] بناء على مقترح حاكمها هناك (أحمد راسم پاشا) الذي أراد انهاء مشكلة المنفيين الهموند مع حكومته عن طريق توطينهم وتشغيلهم في مناطق سرت وبنغازي وطرابلس والجبل الاخضر.

وبالنسبة للذين اسكنوا منطقة سرت الزراعية فأنهم؛ رفضوا العمل هناك رغم التسهيلات المقدمة اليهم في مجال العمل الزراعي، كذلك فشلت فكرة الاستفادة من ابنائهم الشباب في الجيش والاسطول واعمال الحراسة، هي الاخرى. ثم اشتد الشوق والحنين بالمنفيين للقاء أهلهم ووطنهم وقد حاول القاطنون منهم في بنغازي[9] الفرار والعودة الى الوطن لكن مغامرتهم الجريئة تلك باءت بالفشل عندما طاردتهم قوات الجندرمة وقضت على محاولتهم بعد اشتباكات مسلحة انتهت بمقتل أحد رؤسائهم

٧- تم نقلهم الى أدنه في الفترة الواقعة بين ١٨٨٦- ١٨٨٧م ويحكى ان السلطان عبدالحميد زارهم مع والدته في مخيمهم هناك وهددهم برميهم في البحر الابيض المتوسط لكن والدته نصحته بتوزيعهم في أرجاء الامبراطورية بقولها؛ حتى لو كان هؤلاء مجرمين فما ذنب نسائهم واطفالهم، معتقدة أن توزيعهم سيقطع صلتهم بماضيهم وتقاليدهم وخصائصهم القومية نهائياً.

٨- تم نقلهم الى ليبيا عام ١٨٩٠ على الارجح لكن بعض الرواة يعتقدون بأن ذلك تم في ١٨٨٧.

(حسن بگ) وجرح آخر (كريم بگ)، ثم أعيد الباقون الى موقعهم وتعرضوا الى مساءلات واستجوابات طويلة، لكنهم اعادوا المحاولة ثانية بعد فترة دون ان تنجح هي الاخرى أيضاً وعلى غرار سابقتها. كما لم يحقق استيطان الهموند في الجبل الاخضر النتيجة التي كان يرجوها المسؤولون ورغم تشابه طبيعة واجواء المنطقة مع ارض كوردستان وهي الميزة التي كانوا يعولون عليها كثيراً في انجاح خطتهم هناك.

أماالقاطنون في طرابلس فقد أفلحوا في تحقيق ملحمة رائعة (كما اشرنا سابقاً) عندما تمكنوا مع عوائلهم من الفرار والعودة الى بازيان عبر خطة بارعة ومغامرة منقطعة النظير استغرقت ٧ أشهر كاملة قطعوا خلالها الوف الكيلومترات وهم يجوبون الصحاري والمتاهات، ويخترقون المخاطر ويستدلون بالنجوم ليلاً. يقول دكسن بهذا الصدد؛ أن الهموند خططوا لمسيرة العودة تخطيطاً فريداً فمن اجل ان لايكتشف الاتراك أمرهم استبدلوا ملابسهم القومية بالملابس العربية وباعوا خيولهم واشتروا بأثمانها أفراساً عربية أصيلة من النوع الذي يفضل العرب ركوبه عادة، وبكثير من الصبر والعناء والمثابرة تمكنوا من العودة الى وطنهم الام، ثم الوصول الى ديارهم بمساندة عشيرة شوان.

وإجمالاً لم تتحدث المصادر كثيراً عن تفاصيل هذا الهروب الجماعي الكبير لكن المؤكد أن عملا جريئاً من هذا النمط وفي تلك الظروف يعد عملاً خارقاً للغاية.

وأخيراً اضطر احمد راسم پاشا الى استحصال موافقة حكومته (عام ١٨٩٣) بشأن اعادة المنفيين الى أماكنهم السابقة التي رحلوا منها (في تركيا) مبرراً عدم نجاح خطته على اساس عدم كون المنفيين مزارعين أصلاً!

نعود الى الساكنين في (أدنة) التركية ونذكر بان ١٥٠ فارساً منهم

٩- كان فقي قادر الهموند الشاعر المعروف ضمن المنفيين الى بنغازي وقد توفي هناك.

تمكنوا (في وقت آخر) من الفرار أيضاً وترك عوائلهم خلفهم في خطة مدبرة والوصول الى حلب ودير الزور بعد دحرهم للقوات التي طاردتهم ثم بلغوا ديارهم في بازيان بعد رحلة مضنية وافلحوا هناك في تحشيد قوة مؤلفة من ٤٠ فارس والتوجه معاً نحو اطراف الموصل، فطالبوا السلطات هناك بجلب عوائلهم اليهم من تركيا، مهددين بتنفيذ غارات انتقامية ضد الحكومة ومؤسساتها حال عدم تنفيذ مطالبهم فتحقق ما أرادوا وعادوا بصحبة ذويهم الى بازيان.

وعموماً فأن عمليات نفي الهموند الى تركيا وليبيا لم تحقق الاهداف التي كان يتوخاها الترك وقد باءت جميعاً بالخيبة والفشل واضطروا لاحقاً (اواخر القرن التاسع عشر) لاعادتهم الى ديارهم في چمچمال وبازيان حيث التم شملهم وسعدوا بلقاء أهلهم وشعبهم وأرضهم العزيزة التي ظلوا أوفياء لها رغم كل المصاعب والاهوال التي اعترضتهم طيلة سنوات نفيهم التي دامت سنوات عدة[١٠]، واكدت الاحداث اللاحقة أن جميع الاجراءات والممارسات التعسفية الظالمة التي اتخذت بحقهم مراراً لم تثن عزائمهم وهممهم في مواصلة نهجهم الشجاع المعهود الذي عرفوا به سواء في عهد العثمانيين أو الانكليز.

كريم بگ الهموند (١٨٧٠ - ١٩٢٦) والولاء الدائم للشيخ الحفيد

يعتبر كريم بگ بن فتاح بگ بن رسول بگ بن جوامير الاول بن يادگار بن خوادي أحد أكثر الزعماء القبليين الكورد معاداة للمحتلين عموماً والانكليز خصوصاً، وهو المعروف بدعمه المشهود لنضالات الشيخ محمود وولائه الكبير لهذا الزعيم الثوري الخالد اضافة الى موافقة النضالية السابقة المتمثلة بمساهمته الفعالة خلال انتفاضة عشيرته عام ١٩٠٨

١٠- وهناك من يقول بأن بعض الهموند لم يعودوا وأنما بقوا في ليبيا والجزائر وتركيا ولم يزل حفدتهم يعيشون هناك وقد حدثني الزميل الأديب جلال زنگابادي عن مخرج مسرحي ليبي مشهور إسمه (يوسف الكوردي - وهو هموندي الاصل) ويحتفظ بصورته عنده.

عقب استشهاد الشيخ سعيد
وقيادته لاتباعه في معركة
الشعبية عام ١٩١٥ والتصدي
لقوات الروس الغازية المتجهة
صوب شهرزور وشهر بازار عام
١٩١٦ والتي اشرنا اليها
سريعاً من قبل.



كريم بگ الهموند

وكان كريم بگ وهو سليل
اسرة بگزادة الهموند قد نشأ
وترعرع في خضم الظروف
والاوضاع الاستثنائية الصعبة
والمواقف المشهودة التي مرت
بها عشيرته ابان عهد جوامير
اغا (السالف الذكر) والذي تأثر كريم بگ بشجاعته واقدامه كثيراً
معتبراً اياه قدوته ونموذجه الاعلى في القيادة والزعامة.

ولاشك ان الاحداث القاهرة وسنوات النفي والتشريد الطويلة التي
عاشها كريم بگ مع عشيرته في أيران وتركيا وشمال افريقيا قد صقلته
كثيراً وخلقت منه بمرور الايام مقاتلاً مغواراً وزعيماً قبلياً ثائراً على
المحتلين الذين مقتهم وعقد العزم على مناهضتهم ومحاربتهم منذ كان
صغيراً، وتعتبر مساهمته الفاعلة في انتفاضة الشيخ محمود الاولى و
مواصلته للنضال بعد انتكاستها ومن ثم دوره المشهود في الانتفاضة
الثانية للشيخ وحتى استشهاده في عام ١٩٢٦، تعتبر أبرز وأخصب
مراحل حياته النضالية قاطبة، والتي نسلط الضوء هنا عليها سريعاً.

كان تحرير السليمانية عقب انتفاضة الشيخ الاولى في مايس ١٩١٩
ووقوعها بأيدي الثوار واسر الضباط والموظفين الانكليز فيها ثم تحرير
حلبجة في ٢٦ مايس عقب قتال شديد بمثابة نذير شؤم للمحتلين الذين

استقدموا من كركوك قوة كبيرة بقيادة (الميجر بومي) الذي حاول تدارك الموقف المتأزم بالنسبة اليهم. ومن جانبه تقدم الشيخ محمود بقواته لاعتراض الاعداء عند طاسلوجة وقد انضمت اليها في الطريق امدادات عشيرة اسماعيل عوزيري فيما تحرك كريم بگ وانصاره من أطراف چمچمال للالتحاق بها ايضاً.

انتهت الواقعة التي دامت نهاراً كاملاً بهزيمة منكرة للانگليز الذين تركوا من بعدهم جثث قتلاهم ومعداتهم ومؤنهم التي غنمها الثوار، وتحررت چمچمال اثر ذلك ودخلها كريم بگ وأنصاره ظافرين واسروا معاون الحاكم السياسي فيها (الكابتن بوند) الذي ارسلوه الى السليمانية. لكن المحتلين تمكنوا من اعادة سيطرتهم على الوضع لاحقاً عقب معركة دربندي بازيان المشؤومة بتأريخ ١٨ حزيران ١٩١٩ والتي انتكست بسببها الانتفاضة الاولى للشيخ الحفيد الذي جرح واسر اثناء تلك المعركة ونفي الى الهند لاحقاً (كما شرحنا سابقاً).

كانت تلك الاحداث بمثابة ضربة مؤلمة للغاية لطموحات وتطلعات شعبنا التواق الى الحرية والتخلص من نير المحتلين، وقد افرز ذلك الواقع المؤلم معوقات عدة أمام أنصار الشيخ لمواصلة الكفاح المسلح مجددا، لكن البعض منهم وفي مقدمتهم كريم بگ لم يأبهوا بالعراقيل والمصاعب بل آثروا التحدي والمقاومة حتى النهاية.

فقد دأب كريم بگ على مهاجمة المحتلين وشن حرب عصابات مستمرة ضدهم ولاسيما عند مضيق دربندي بازيان حيث باغت في احدى الليالي القوة الموجودة هناك والتي كانت بأمرة الكابتن (لاين) ومساعده الكابتن (وينگل) ففتك ببعض افرادها ثم اشعل الحرائق في الاحراش والغابات الموجودة للقضاء عليهم، لكن تدخل الطائرات البريطانية بعد ساعات من المعركة انقذ المحاصرين من ورطتهم. ثم توفي الكابتن (لاين) في المستشفى بعد فترة وجيزة من نقله إليه، اثر معاناته الشديدة التي قاساها وسط الدخان والحرائق خلال المعركة المذكورة.

طارد المحتلون كريم بگ بلا هوادة وهو يتحين الفرصة مع انصاره لمهاجمتهم، وقد تحقق له ذلك في حزيران ١٩٢٢ عندما ثارت عشيرة الجباري على المحتلين، غير أن الانگليز سعوا من جانبهم لتهدئة الوضع والحيلولة دون مواصلة كريم بگ لنهجه المعهود ضدهم فتوجه اليه لمفاوضته الكابتن بوند بصحبة الكابتن ماكانت آمر الدرك في المنطقة، وانتهى النقاش العاصف بين الطرفين بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٢٢ وعلى الطريق بين قريتي مورتكه وهنجيره في أطراف دربندي بازيان باغتيال المسؤولين المذكورين من قبل كريم بگ وجماعته.

فر كريم بگ وأصحابه شمالاً صوب مناطق نفوذ الترك عند راوندوز (قبل ان يحتلها الانگليز لاحقاً) واستمرت ملاحقته على قدم وساق دون نتيجة، فيما واصلت الطائرات الحربية البريطانية قصفها للقرى والمواقع التي كان المحتلون يتوقعون وجود الفارين فيها.

وفيما بعد استغل الانگليز عودة الشيخ من المنفى في ايلول ١٩٢٢ فالحوا عليه وهو في بغداد بضرورة تسليمهم كريم بگ لغرض محاكمته ومعاقبته جراء اعماله السابقة ضدهم، لكن امالهم خابت تماماً بذلك الخصوص، عندما اعلن الشيخ انتفاضته الثانية ضدهم وارسى دعائم حكمه في السليمانية. وقد لعب كريم بگ وأنصاره دوراً مشهوداً في تلك الفترة ة، كما كان في مقدمة أنصار الشيخ الذين دخلوا السليمانية ظافرين صيف عام ١٩٢٣ عقب احتلالها من قبل الانگليز في ربيع ذلك العام. ثم سقطت المدينة مجدداً بأيدي الاعداء في تموز عام ١٩٢٤ عقب محاصرتها وقصفها الشديد من الجو فلاذ الشيخ وأنصاره بالمناطق الجبلية الحدودية ضمن پنجوين وشهربازار، واستمرت نشاطاتهم الثورية ردحاً من الزمن، كما طالت ضرباتهم الموجعة التي كان يوجهها كريم بگ وسيد محمد الجباري ارجاء عدة من كركوك ولاسيما مناطق چمچمال وگل و سنكاو.

أخيراً أجبرت الظروف القاهرة الثوار المتجمعين في أطراف السليمانية

على اجتياز الحدود واللجوء الى منطقة مريوان وأرجائها المتاخمة، فعاش الشيخ وأصحابه ظروفاً معاشية ونفسية مؤلمة، ثم أرتأوا عودة بعض محاربيهم الى أرض الوطن ومهاجمة مواقع وتجمعات العدو للتأكيد على ديمومة وأستمرار الثورة رغم المعطيات والمستجدات الصعبة. وهكذا عاد كريم بگ وابناؤه وفرسانه صوب بازيان و چمچمال مواصلين هناك كفاحهم ومساعيهم مجدداً، لكن الاعداء الذين كانوا يتعقبونهم ويترصدون تحركاتهم عن طريق عملائهم، تمكنوا أخيراً من الظفر بكريم بگ المثير لمتاعبهم والذين خصصوا سابقاً مكافاة مالية مغرية لمن يستطيع اغتياله مع ابنه صابر، فقد أصابه احدهم ليلة ١٩٢٦/٦/٢٩ بطلق ناري من داخل قرية (قره تامور) القريبة من بلدة چمچمال، بينما كان هو ورفاقه يتوجهون الى القرية المذكورة فنقل جريحا الى قرية (نوره) المجاورة التي أسلم فيها الروح متأثراً بجرحه تاركاً من بعده وصيته الاخيرة الى أهله وأصحابه داعياً فيها أياهم بعدم ايذاء احد من ابناء المنطقة بدعوى الثأر والانتقام له، ثم اتخذت اجراءات عدة من قبل أصحابه بغية دفنه سراً قرب مرقد الشيخ رضا عند قرية ديليژه الكائنة في حضن جبل (تەختەسی) من امتداد سلسلة (سەگرمە) الشهيرة المجاورة لمرتفعات (قرداغ) الشاهقة، وذلك تحاشياً لوقوع رفاته في ايدي العملاء والمتاجرة به لدى أسيادهم. وقيل ايضاً ان الانكليز بادروا فيما بعد الى توزيع المكافأة المالية المخصصة لاغتيال كريم بگ ، على قرية قرەتامور. وباستشهاده فقد الشيخ محمود أحد رفاقه المناضلين الغيارى وخسرت منطقته وعشيرته زعيماً ثائراً، لكن عزاء أهله وقومه هو ان كريم بگ الهموند ترك من بعده سجلاً حافلاً بالمآثر النضالية والمواقف الوطنية الجريئة المشهودة.

السليمانية

احداث ومواقف وذكريات

تعد مدينة السليمانية احدى اشهر واجمل مدننا الكوردستانية قاطبة، فهي تتمتع بموقعها الجغرافي والاقتصادي والتجاري المزدهر وتزهو بارثها النضالي الحافل بالعديد من الانتفاضات والثورات الوطنية والقومية المجيدة التي شهدتها (السليمانية) تباعاً فنالت عن جدارة واستحقاق لقب مدينة الثورات والتضحيات. كما تعد السليمانية منبعاً خصباً للادب والفن والثقافة الكوردية الاصيلة ومهداً للعديد من اعلام الكورد البارزين الذين برعوا ونبغوا في مجالات الحياة المختلفة.

ورغم ان السليمانية حديثة النشأة بالقياس الى المدن الكوردستانية المجاورة لها كأربيل وكركوك مثلا الا ان الموقع الذي يحتضن المدينة يمتاز بارثه الحضاري والتاريخي الموغل في القدم والذي تؤكده الآثار والاطلال والمخلفات القديمة المكتشفة هناك، كما ان ضواحي واطراف الموقع تزخر بدورها بالكثير من الآثار الهامة والكهوف الجبلية التي سكنها الانسان القديم منذ العصور الحجرية الاولى مثل كهف (هەزارمێرد) ومغاور جبل سورداش، وقد اسفرت التنقيبات الاثرية التي جرت في المنطقة سابقاً عن اكتشافات مذهلة بضمنها آثار أقدم قرية زراعية في العالم يعود تاريخها الى الالف السادس قبل الميلاد، هذا اضافة الى المخلفات الأثرية الاخرى التي تؤكد إجمالاً ان المنطقة عاشت عهوداً وحقباً ثرية عبر مراحل التاريخ القديم.

تأسست مدينة السليمانية من قبل الأمير البابانی ابراهيم باشا بن احمد باشا الذي وضع حجرها الأساسي عام ١٧٨٤م-١١٩٩هـ واتم بناءها عام ١٧٨٥م فنقل اليها مركز امارته من عاصمتها السابقة (قەلآچوالان) الواقعة على مسافة ٣ كم في الطرف الشمالي الشرقي من العاصمة الجديدة السليمانية. ومع ان بعض الباحثين والمتتبعين يميلون الى الاعتقاد ان محمود باشا (عم ابراهيم باشا) هو المؤسس الاول لنواة السليمانية الحالية على اعتبار انه شيد (عام ١٧٨١م) السراي الحكومي عند طرف قرية ملكندي التي ظهرت المدينة عندها لاحقاً وسبق ابن اخيه (ابراهيم باشا) في التفكير بنقل مركز الامارة الى هناك، فان اغلب المصادر الاخرى (وماكثرها) تتفق فيما بينها على كون (ابراهيم باشا) هو المؤسس الحقيقي والباني الفعلي لمدينة السليمانية.

شرع (ابراهيم باشا) بتشييد مدينته الجديدة في أطراف (ملكندي) كما اسفلنا وأتم في هذا السبيل بناء سراي الحكومة وأرسى جامعاً وسوقاً وحماماً وخاناً وغيرها من المساكن ومظاهر العمران الحديثة، ولما أنجز ذلك اوعز بنقل مركز إمارته من موقعه السابق (اسفل چوارته) الى المدينة الجديدة الكائنة في الجانب الجنوبي الغربي من سلسلة جبال گويژه - أزمر.

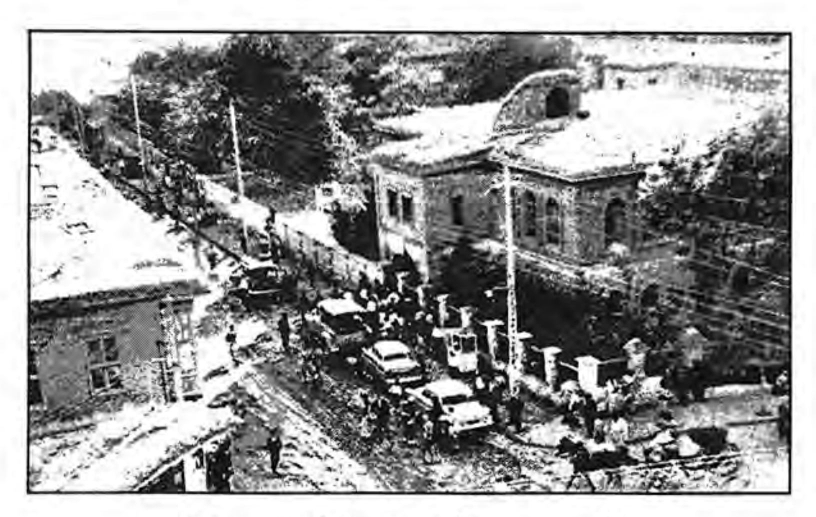
والواقع ان دوافعاً واسباباً عدة كانت تقف وراء اختيار (ابراهيم باشا) للسليمانية عاصمة جديدة لامارته بدلاً من سابقتها، فمنها ادارية وسياسية واقتصادية تمثلت إجمالاً بطموح الامير الفطن في ممارسة سلطاته من خلال عاصمة مركزية قوية وأمينة في الجانب الأخر من سلسلة گويژه - أزمر على عكس العاصمة السابقة التي كانت كثيراً ماتتعرض بسبب موقعها لهجمات وتهديدات الفرس، هذا فضلاً عن تمتع الموقع الجديد بميزة الانفتاح والحركة بسبب توفر طرق المواصلات المرتبطة به. وكان للعامل الاقتصادي دوره المؤثر في اختيار هذا الموقع عند قدمات گويژه - أزمر حيث كان (اي الموقع) وما يزال اشبه بمستودع كبير

للحبوب والغلات الزراعية ضمن امتدادات سهل شهرزور الخصب الرحيب، إضافة الى غناه بمصادر المياه العذبة ومستلزمات الزراعة والرعي، فصار بسبب ذلك ملتقى السكان الرحل مع المستقرين هناك ومركزاً لتبادلهم التجاري الموسمي.

كما لعب الدافع الذاتي المتمثل بطموحات الامير الشخصية وتوقه الى العيش في حاضرة مزدهرة، وهو الذي نشأ وتكيف في اجواء بغداد في مقتبل حياته وعند الوالي سليمان باشا الكبير (من أبرز الولاة المماليك في العراق)، وكذلك طموحه الى المجد والشهرة والمفاخرة بالنفس وتخليد اسمه واسم أسرته، لعب دوره في اختيار (ابراهيم باشا) للسليمانية عاصمة له حيث وجد ان ابرز عمل يقوم به في هذا السياق هو بناء عاصمة جديدة ومزدهرة من طراز السليمانية، فحقق بذلك مبتغاه تماماً.

أما لماذا سميت المدينة بالسليمانية، فهناك آراء وتفسيرات كثيرة بهذا الشأن يفيد أهمها واكثرها شيوعاً وقبولاً: ان ابراهيم باشا سمى عاصمته الجديدة بهذا الاسم تيمناً باسم صاحبه الحميم الوالي سليمان باشا (السالف الذكر). والواقع ان مصادر كثيرة، بضمنها مصادر كوردية متعددة طبعاً، تأخذ بهذا الرأي. وقد ذكر (ريج) ان ابراهيم باشا سمى مدينته بالسليمانية مجاملة لوالي بغداد سليمان باشا، وقوله هذا أستند عليه الكثيرون منهم؛ لونگريك، محمد أمين زكي بگ، ادموندز، عبدالرزاق الحسني... وغيرهم، بينما يفيد رأي ثان وهو رأي وجيه ايضاً ان ابراهيم باشا قصد من الاسم (سليماني - السليمانية) تخليد اسم جده الكبير؛ بابا سليمان بن فقي احمد (سلمان بن فقي أحمد - سلمان به) المؤسس الحقيقي للأمارة البابانية والذي حكم خلال (١٦٦٣-١٦٧٥)، فيما يشير تفسير أخر الى انه سمى عاصمته باسم ابنه سليمان بگ.

كما ورد أيضاً ان الاسم مشتق من اسم (سليونا) المدينة التاريخية القديمة التي شيدت السليمانية على انقاضها عند ملكندي (ملكندي محلة من محلات السليمانية حالياً)، في حين تتحدث حكاية مشوقة



مشهد من مدينة السليمانية (عام ١٩٥١)

تناقلها سكان السليمانية سابقاً واشار اليها بعض الباحثين في كتاباتهم ومنهم جمال بابان، وخلاصتها؛ ان العمال عندما كانوا يحفرون اسس المدينة عثروا على خاتم منقوش عليه اسم سليمان فتفاءل إبراهيم پاشا الذي كان حاضراً في المكان آنذاك وسمى مدينته على هذا الاساس تيمناً باسم النبي سليمان الذي امتلك الخاتم السحري!!

كان ابراهيم پاشا اميراً عادلاً وماهراً عرف ببسالته وحزمه وتحديه للتهديدات والضغوطات الفارسية والعثمانية على حد سواء وبمؤهلاته القيادية والسياسية والادارية التي جعلت منه احد ابرز الامراء البابانيين. وقد حظي بحكم الامارة البابانية ثلاث مرات خلال الفترة (١٧٨٣-١٨٠٣م) ولما توفي بالموصل (عام ١٨٠٣م) خلفه ابن عمه عبدالرحمن پاش الذي حكم بدوره الامارة اكثر مرة خلال الفترة (١٧٨٩-١٨١٣م) والذي تميز عهده - حسب المصادر التاريخية - بكونه عصر استقلال كوردي تام.

واجمالاً تميزت السليمانية في عهد (آل بابان) ببريقها الساطع ورخائها الاقتصادي والحضاري والعمراني المضطرد فنالت أهتمام المؤرخين

والباحثين والرحالة الذين جاب بعضهم المدينة في النصف الاول من القرن التاسع عشر واوردوا بشأنها ملاحظاتهم وشهاداتهم التي دونوها في مذكرات رحلاتهم، وفي مقدمتهم الرحالة (كلوديوس جيمس ريچ) الذي زار مع زوجته واتباعه السليمانية (عام ١٨٢) بناءً على الدعوة التي تلقاها من الامير البابانى محمود پاشا بن عبدالرحمن پاشا الذي حكم خلال الفترة (١٨١٣- ١٨٣٤م)، فمكث ريچ وجماعته في السليمانية اكثر من ٣ اشهر (وعلى مرحلتين) ودون عنها ذكريات ومشاهد خالدة لاتنسى (أشرنا الى بعضها في سياق حديثنا عن ريچ).

كما وصف (فريزر) الامارة عام ١٨٣٤م، بدولة السيلمانية الصغيرة أما فيليكس جونز فقد سجل في عام ١٨٤٤م اعجابه بالامير احمد پاشا آخر امراء بابان المستقلين والذي دام حكمه خلال (١٨٣٨- ١٨٤٧م)، وذكر ايضاً ان الامير المذكور قد تمكن بعد عام واحد من توليه الحكم من اعداد وتدريب قوة عسكرية حسب النظم الاوروپية الحديثة بلغ قوامها مئات المقاتلين. وباندحار قوات هذا الأمير امام قوات والي بغداد التركي(نجيب پاشا) عام ١٧٤٧م انهارت الامارة البابانية، فخبا نجمها الساطع وقضي على عهدها المشرق الزاهر وابهة بلاطها الفخم في عاصمتها البهية والخلابة مدينة السليمانية.

وبانهيار الامارة البابانية فقدت السليمانية الكثير من مظاهر ابهتها السابقة وبدأت تعاني كثيراً من وطأة وقساوة الظروف ابان العقود الاخيرة من حكم العثمانيين المرير، بيد ان انها (اي السليمانية) ظلت تنبض بالدفق والحياة وتشمخ بكبريائها وصمودها رغم ظروفها القاهرة المحيطة بها، ولما انهار العثمانيون وانزاحوا عن حكم بلادنا اثر الحرب الكونية الاولى (٩١٤-١٩١٨م) ليحل محلهم المحتلون الجدد الاستعمار البريطاني بدأت السليمانية تدون باحرف وضاءة فصول تاريخها الوطني والقومي الحديث في القرن العشرين وتتبوأ شيئاً فشيئاً موقعها الطليعي على الصعيد السياسي والثقافي والفكري والحضاري.

ورغم ان السليمانية، مدينة حديثة الميلاد مع مقارنتها بغيرها من شقيقاتها العريقات في التاريخ، فان المتأمل لتاريخ هذه المدينة الذي لايتجاوز ٢٢ عاماً حتى كتابة هذه السطور، سيراه حافلاً وغنياً جداً بالكثير من الاحداث والوقائع الهامة التي شهدتها السليمانية عبر عهودها المختلفة.

ومن خلال تصفحنا لهذا التاريخ المجيد أرتأينا التوقف عند بعض الاحداث والمواقف الهامة والحكايات والذكريات الشيقة التي رافقت مسيرة السليمانية ابان مراحل مختلفة من القرن الفائت، والتي نعرضها حسب تدرجها التاريخي.

استذكارات عن سنوات المجاعة في السليمانية

كانت سنوات الحربين الكونيتين الاولى (١٩١٤- ١٩١٨م) والثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥م) مؤلمة وقاسية في حياة البشرية التي عانت من أهوال وفواجع تلك الحربين اللتين خلفتا الكثير من الامراض والمجاعات وظروف التشرد وسائر الويلات الاخرى التي نتجت عنهما.

وكان العراق من بين البلدان العديدة التي ابتليت بظروف القحط والمجاعة خلال تلك السنوات المريرة التي فقد فيها الكثيرون حياتهم من جراء ذلك. ففي اثناء الحرب العالمية الاولى وتحديداً خلال عام ١٩١٧م بدأت بوادر وآثار المجاعة تعم المنطقة ثم اشتدت وطأتها خلال مطلع عام ١٩١٨م حتى اصبحت تعرف بالمجاعة الكبرى التي القت بظلالها القاتمة على حياة ومستقبل معظم سكان البلاد.

وحيال الوضع المأساوي الذي ساد مدينة السليمانية في تلك الظروف البائسة،، سارع الخيرون من اثرياء المدينة ومقتدريها الى اسعاف اهلها الجائعين بالمال والطعام والملابس وانقاذ حياة الكثيرين منهم في ذلك الظرف العصيب. لقد حول الكثيرون من هؤلاء المحسنين بيوتهم الى مطابخ واسعة لاعداد كميات كبيرة من الطعام يومياً وتوزيعه على

المعوزين، ونذكر من بين هؤلاء النشامى على سبيل المثال لا الحصر، كريم عەلەكە(*) الذي ضرب امثلة رائعة في الجود والعطف والشهامة الحقة، وتحملت عائلته الكريمة عناء اعداد قدور كبيرة من الطعام وباستمرار طيلة ايام المحنة. لكن ورغم كل هذه المبادرات الوطنية والانسانية السخية فان عدداً كبيراً من الناس لاقوا حتفهم في ذلك الشتاء الموحش البارد من جراء الجوع والصقيع، يوم كانت السليمانية تزدحم بطوابير الجائعين الذين قدموا اليها من مختلف ارجائها المجاورة.

لقد بلغت الوفيات في بعض الاوقات حداً جعل بلدية المدينة عاجزة عن كفن ودفن الموتى الذين كانوا يتساقطون في شوارع وأزقات وزوايا السليمانية، مما حدا بسكان المدينة الى تشكيل لجنة لمساعدة البلدية وجمع الاموال المطلوبة لذلك الغرض. ومع ذلك فان الاسهامات المشرفة لابناء السليمانية الخيرين قد ساهمت كما أسلفنا في انقاذ ارواح الكثيرين جداً من الذين كان يهددهم الجوع والبرد وقتئذ، وبانتهاء ذلك الشتاء البارد والمهلك بدأت الكارثة تخف والامور تتحسن شيئاً فشيئاً مع تتابع أيام الربيع.

وبعد ذلك التاريخ باكثر من عقدين، تفشت في العراق مجاعة شديدة أخرى ولكن من جراء الحرب العالمية الثانية هذه المرة، حيث سادت ظروف القحط والغلاء البلاد، وخصوصاً خلال عام ١٩٤٢م الذي شهد ارتفاعاً جنونياً في اسعار القمح وسائر المواد الغذائية الاخرى وبالشكل الذي أجبر العديد من العوائل المعدمة الفقيرة على بيع فلذات اكبادها لقاء الحصول على قوتها ومستلزمات حياتها.

* كريم عَلَكَه، اسمه الكامل هو عبدالكريم بن عَلَكَه بن پولص من تجار السليمانية المعروفين ووجهائها سابقاً، ولد في محلة گويژه عام ١٨٦٧ وأمتاز بمواقفه الوطنية المشهودة وعلاقته الوطيدة بالشيخ محمود وهو سليل احدى الأسر المسيحية العريقة في ربوع السليمانية التي انتقل منها مع عائلته الى بغداد منتصف عقد العشرينات وتوفي فيها عام ١٩٤٨ ودفن هناك في مقبرة الكاثوليك.

ولتدارك هذا الوضع المؤلم شهدت أرجاء الوطن تشكيل لجان خاصة لجمع التبرعات والاعانات بغية تقديمها الى الفقراء والمحتاجين ولاسيما عقب البيانات العاجلة والنداءات الملحة التي وجهتها الجهات المختصة بهذا الصدد. وتشكلت تلك اللجان عموماً من الافراد المعروفين بالكفاءة والنبوغ والمؤهلين لهذا الواجب الوطني والانساني النبيل في مدن وقصبات العراق. لكن مدينة السليمانية أنفردت عن غيرها من مدن العراق عبر مبادرة نخبة من نسائها اللامعات بالمشاركة في تلك الحملة الوطنية لجمع التبرعات وتشكيل لجنة منهن لهذا الغرض مارست عملها بكل اقتدار شأنها شأن اللجنة الاخرى المؤلفة من وجهاء وشخصيات المدينة المعروفين والتي رأسها متصرف اللواء مصطفى القرداغي، وضمت السادة الحاج سعيد آغا، عزت بگ وسمان پاشا، محمد صالح بگ، الشيخ قادر الحفيد، محمد آغا عبدالرحمن آغا، مرزا فتاح، الحاج ابراهيم آغا، قادر آغا الحاج ملا سعيد، اسحاق عەلەكە ومحمود افندي.

أما فيما يخص لجنة السيدات فقد نشرت جريدة الوقائع العراقية الصادرة يوم ١٩٤٢/٢/٢ وعلى لسان متصرف اللواء بياناً مفاده أن نخبة من سيدات السليمانية أعربن وبالحاح عن رغبتهن واستعدادهن للمشاركة في جمع التبرعات التي تقرر جمعها تلبية لنداء وزارة الشؤون الاجتماعية المرقم ٥٨٤ في ١٩٤٢/١/٨ وبيان وزارة الداخلية المرقم ٨١٧ في ١٩٤٢/١/١٣، وتضمن البيان موافقة المتصرف على ذلك الطلب.

رأست لجنة السيدات السيدة سعدية خان محمود فخري بحكم كونها زوجة متصرف السليمانية وتألفت عضواتها من السيدات المقتدرات المدرجة اسماؤهن وفق تسلسلهن الاصلي وكمايلي:

١- حفصه خان النقيب، عقيلة الشيخ قادر الحفيد وهي من النساء الشهيرات في تاريخنا وسيدة السليمانية الاولى في عصرها.

٢- بهية خان كاكه أمين العطار عقيلة الشيخ محمود الحفيد.

٣- زهرة خان مصطفى پاشا ، عقيلة عزت بگ الجاف.

٤- رحمه خان الحاج حسن عقيلة مرزا فتاح وقريبة المؤرخ الراحل أمين زكي بگ.

٥- شكرية خان كركوكي، عقيلة جميل رشيد مدير شرطة اللواء.

٦- صديقة خان، عقيلة محمد عبدالرحمن آغا

٧- مليحة خان، عقيلة عبدالله نوري ومن اقارب حفصه خان.

٨- فاطمة خان، عقيلة الحاج ملا محي الدين.

٩- فاطمة خان أحمد آغا، عقيلة قادر آغا الحاج ملا سعيد.

١٠- أختر الحاج ملا محي الدين عقيلة محمد صالح بگ.

١١- فاطمة خان الحاج سيد مصطفى عقيلة الحاج ابراهيم آغا.

١٢- بهية خان سعيد أفندي عقيلة توفيق قزاز.

١٣- عاذشة خان سعيد افندي عقيلة مصطفى مظهر.

١٤- فاطمة خان فتاح أفندي عقيلة مرزا كريم الحاج شريف.

لقد عملت كلتا اللجنتان (لجنة الرجال ولجنة السيدات) بكل دأب واخلاص من اجل تنفيذ الواجب المناط بهما وقد اسفرت مساعيهما الخيرة عن تقديم العون اللازم الى المئات من العوائل البائسة وانقاذ حياة ابنائها من خطر المجاعة والهلاك.

حكاية اول مطبعة في السليمانية

خطط الميجر سون حاكم السليمانية السياسي والمعروف بثقافته الواسعة ودهائه السياسي، خطط (نهاية العقد الثاني من القرن الفائت) لنصب اول مطبعة هناك وتشغيلها واستخدامها وفقاً لاهدافه ومخططاته الاستعمارية الخاصة يوم كانت السليمانية تعيش ظرفاً حساساً صعباً بعد انتكاسة الانتفاضة الأولى للشيخ محمود وأسره ثم نفيه للهند لاحقاً.

ولما استقدم الانكليز عدداً من المطابع القديمة الى العراق في تلك

الظروف فان واحدة منها صارت من نصيب السليمانية بناء على اقتراح (سون) الذي اشرف بنفسه على نصبها وتشغيلها في دار فارس أفندي كما وفق في اقناع ثلاثة من الشباب المثقفين الكورد بالعمل في المطبعة وادارتها وهم؛ مجيد الشيخ عارف، أديب عزيز ومحمد زهدي الذين صاروا بمثابة رواد الطباعة والصحافة الكوردية في المنطقة وقد نجحوا في عملهم بإتقان.

كانت مهمة المطبعة تنحصر أساساً في اصدار البيانات والمنشورات الحكوميةالرسمية، لكن أهم ما أنجزته في تلك الفترة كان طبعها لأول صحيفة كوردية في كوردستان العراق وهي جريدة (پێشكەوتن - التقدم) التي ظهرت في ٢٩ نيسان ١٩٢ م وإصبحت في متناول القراء بعد جهود شخصية كبيرة بذلها الحاكم السياسي (سون) الذي اراد من خلال الصحيفة إستمالة السكان وكسب ودهم تبعاً لمصالح بلاده الاستعمارية في بلادنا. وكانت الصحيفة اسبوعية تصدر باربع صفحات (ثم زاد عدد صفحاتها لاحقاً الى ست صفحات) وقد ساهمت في نشر النتاجات الابداعية لنخبة لامعة من المثقفين والادباء الكورد امثال: جمال عرفان، نوري شيخ صالح، جميل صائب وغيرهم، لكن محاولات (سون) لم تنطل على ابناء المنطقة الذين كانوا مدركين لنواياه السياسية الحقيقية ومقاصده الاستعمارية، فاستمروا في نهجهم الوطني والقومي الاصيل ومطالبتهم بعودة الشيخ محمود من المنفى.

واخيراً رضخ المحتلون للمطالب الشعبية فسمحوا للشيخ بالعودة الى الوطن (عام ١٩٢٢م)، فوصل السيلمانية في شهر أيلول من العام المذكور وسرعان ما أصطدم مع الانكليز مجدداً واجبرهم على ترك المدينة دون أن يتمكنوا من أخذ مطبعتهم معهم، ثم أرسى (أي الشيخ) دعائم حكومته في السليمانية ونصب نفسه ملكاً على كوردستان، وفي تلك الظروف لعبت المطبعة دوراً سياسياً وفكرياً مشهوداً عندما أضطلعت بطبع جريدة (بانگی كوردستان - نداء كوردستان) و (رۆژی كوردستان

- شمس كوردستان) الناطقتين باسم حكومة الشيخ الحفيد.

وسرعان ماتصاعدت مؤامرات وضغوط الانكليز على الشيخ الحفيد وحكومته في السليمانيه، فاضطر هو وإنصاره (آذار عام ١٩٢٣) الى الانسحاب من المدينة بعد تعرضها للقصف الجوي وازدياد تهديدات العدو لها فلجأ الثوار الى جبل سورداش الكائن بين السليمانية وبلدة دوكان الحالية مستصحبين معهم المطبعه التي نقلوها بعد جهد جهيد الى كهف (جاسەنه) هناك، حيث بوشر بطبع واصدار جريدة (بانگی هەق - نداء الحق).

لم يكن الانكليز مستعدين لتقبل الوضع الجديد في ظل تصاعد نشاطات الثوار في موقعهم الجديد، فبدأو بمهاجمتهم والضغط عليهم بهدف القضاء عليهم فلجأ الثوار الى منطقة پنجوين الجبلية (اواخر مايس ٩٢٣) مخلفين وراءهم المطبعة التي وقعت بأيدي المحتلين الذين اعادوها الى السليمانية. ومالبث نظم الثوار صفوفهم وأزداد عددهم وتعاظمت معنوياتهم ومقاومتهم للمحتلين الذين اضطروا الى مغادرة السليمانية من جديد، فعاد اليها الشيخ ظافراً في ١١ تموز ١٩٢٣م.

نعود الى المطبعة ونقول بأن المحتلين لما أضطروا الى تركها (مجدداً) عقب انسحابهم الاخير عمدوا الى تعطيلها عن طريق نزع احد اجزائها الرئيسية وأخذه معهم، وعلى الفور أوعز الشيخ باصلاح وتشغيل المطبعة بأسرع ما يمكن، وخلال يومين فقط تمكن الحرفي المقتدر الاسطة (صالح جەژنی) واعتماداً على امكاناته الذاتية من صنع العدة المطلوبة للمطبعة، فكان فرح الشيخ كبيراً بهذا العمل وكافأ على اثره الاسطة صالح بمبلغ ٢ روپية ثم أوعز بتشكيل لجنة مهمتها اصدار صحيفة جديدة. وبعد مداولات عدة في دار (عزت بگ) أختارت اللجنة وعن طريق أجراء القرعة اسم (ئوميدي استقلال - أمل الاستقلال) للجريدة الجديدة التي رأت النور في ايلول ١٩٢٣م.

كانت الصحيفة تلك أسهامة مشرقة في تاريخ الصحافة الكوردية

وتميزت بدورها الفاعل خلال تلك المرحلة المهمة من حياة شعبنا، علماً انها كانت تطبع بجهود كادر مقتدر واحد وهو ((محمد زهدي) الذي كان يبذل جهوداً جبارة خلال ايام الاسبوع من اجل تنفيذ عمله المناط به، وقد كوفيء من قبل الشيخ بسخاء جراء نشاطه الدؤوب.

بلغ مجموع النسخ المطبوعة من العدد الاول لتلك الجريدة زهاء (١) نسخة، تم توزيعها في ارجاء العراق المختلفة وبضمنها العاصمة بغداد عبر (كفري)، وكان الاقبال عليها كبيراً وحققت مبيعاتها ايردات طيبة استخدمت لتأمين مستلزمات المطبعة. ثم باشرت المطبعة بطبع الطوابع الرسمية الخاصة بحكومة الشيخ محمود بمختلف الفئات المالية وكان يقوم بتقطيعها وتنظيم حواشيها (الشيخ لطيف الساعاتي). وقد تركت الجريدة (ئوميدي استقلال) اثراً طيباً في النفوس، وتبعاً لذلك قرر الشيخ استقدام مطبعة اكبر من المانيا، لكن مساعي الانكليز حالت دون تحقيق ذلك.

واخيراً عادت الطائرات المعادية لتقصف السليمانية من جديد وتفاقمت الاوضاع سوءاً هناك و من جرائها أضطر الشيخ وانصاره رجالاً ونساء الى ترك مدينتهم مجدداً صيف عام ١٩٢٤ والتوجه نحو المناطق الجبلية الحدودية، دون ان تسنح لهم الفرصة لاخذ المطبعة معهم هذه المرة.

وبهذا حلت نهاية جريدة (ئوميدي استقلال) ومعها انتهى الدور التاريخي المشهود للمطبعة المذكورة، حيث بدأت السلطات الحكومية بأصدار جريدة (ژيانه وه) اعتباراً من ١٨ أب ١٩٢٤م وبواسطة اجهزتها ومعداتها الطباعية الحديثة.

احداث عتبة السراي في ٦ ايلول ١٩٣٠

قبل التطرق الى تفاصيل احداث عتبة السراي المؤلمة التي شهدتها السليمانية في أيلول ١٩٣٠ نذكر بأن الاجواء السائدة في المدينة وغيرها من مدن كوردستان حينذاك كانت تتسم بالسخط الجماهيري الشديد على

سياسات السلطات العراقية والبريطانية التي تنكرت لكافة المطالب والحقوق القومية للكورد التي أقرها قرار عصبة الامم في شهر كانون الاول عام ١٩٢٥، وذلك رغم كل التعهدات والالتزامات المقدمة من المسؤولين العراقيين والانكليز بهذا الشأن. وبذلك خابت آمال الكورد بحصولهم على حكمهم الذاتي الموعود وأقرار لغتهم القومية كلغة رسمية في وطنهم وغيرها من المطالب المشروعة التي وعدوا بها سابقاً.

وفي شهر أذار عام ١٩٣ وعقب فشل وزارة ناجي السويدي التي لم تدم طويلاً (أستمرت ٤ أشهر) كلف نوري السعيد من قبل الملك فيصل الاول بتشكيل وزارة جديدة كان من مهامها الرئيسية توقيع المعاهدة الخاصة باستقلال العراق مع الحكومة البريطانية (معاهدة ٣ حزيران ١٩٣م) وأجراء انتخابات جديدة وتشكيل مجلس نواب جديد يصادق على بنود تلك المعاهدة التي خيبت آمال العراقيين جميعاً على اعتبار أنها قدمت تنازلات كبيرة لبريطانيا على حساب مصالح الشعب العراقي، لكن خيبة الشعب الكوردي بتلك المعاهدة كانت أعظم لأن بنودها لم تشر الى ابسط حقوقهم الاساسية مطلقاً.

نعود الى صلب موضوعنا ونقول أن السليمانية الناقمة على الحكومة العراقية وبريطانيا اصلاً، بسبب احتلالها (أي السليمانية) مجدداً عام ١٩٢٤م وإنسحاب الشيخ محمود وأنصاره منها، كانت تعيش حالة شديدة من الهيجان تنذر بالتفجر في أي لحظة. فلم تنفع معها الاساليب المضللة التي لجأت السلطات الى اتخاذها بغية تدارك الوضع المتأزم هناك.

لقد صمم أبناء السليمانية على مقاطعة انتخابات مجلس النواب المزمع إجراؤها في فترة اقصاها ١٠/٩/ ١٩٣، والاستمرار في مطالبتهم بتحقيق حقوقهم القومية التي اغفلتها معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠

وعندما اقترب شهر ايلول أصبح حديث الانتخابات الشغل الشاغل لسكان السليمانية وتفاقمت الامور اكثر عقب ابعاد متصرف اللواء (توفيق وهبي) عن المدينة وتسليم ادارة شؤون اللواء الى المفتش الاداري

الانكليزي.

وفي الخامس من ايلول عينت السلطات هيئة التفتيش المشرفة على سير الانتخابات التي تقرر اجراؤها في مبنى سراي الحكومة صبيحة اليوم التالي (السادس من ايلول)، ومنذ الصباح الباكر من ذلك اليوم اتخذت قوات الشرطة مواقعها حول المبنى بغية أجراء الانتخابات بسلام، لكن المظاهرات والاحتجاجات الجماهيرية الحاشدة حالت دون تحقيق ذلك. وقد ساهم الخطباء والشعراء في تأجيج حماس المواطنين ودفعهم الى عرقلة الانتخابات وتطويق عناصر السلطة الموجودين داخل السراي، وحيال ذلك الوضع تصدى لهم أفراد الشرطة الذين اطلقوا النار في الهواء بغية تخويفهم، لكن المحتجين انهالوا عليهم بالعصي والاحجار والأيدي، ثم تطورت الامور الى حوادث اطلاق نار متبادلة بين الطرفين. ففقدت قوات الشرطة سيطرتها على الموقف، وطلب المسؤولون تعزيزات عسكرية عاجلة، فقدم العشرات من الجنود المدججين بالاسلحة من خلف السراي واخذوا مواقعهم فوق أسطح البنايات المجاورة ثم راحت البنادق ومدافع (المترلوز) الرشاشة تحصد أرواح المواطنين في مذبحة رهيبة. لكن تلك الفعلة الهمجية لم ترهب أبناء المدينة الذين تصدوا بشجاعة للمعتدين حتى مساء ذلك اليوم الدامي (المسمى بيوم ايلول الاسود).

لقد حاولت أجهزة السلطة التقليل من صدى نبأ المجزرة وعمدت الى تقديم أرقام ضئيلة عن حصيلة الخسائر وقدرتها بمقتل جندي واحد وأصابة ١٢ فرداً من الجنود والشرطة وأجملت خسائر المواطنين بـ ٣٦ شخصاً بين قتيل وجريح! والواقع كانت التضحيات كبيرة حيث ان عدد الشهداء من سكان السليمانية تجاوز ٥٠ شهيداً وبلغ عدد الجرحى مائتين.

كذلك القت السلطات القبض على عدد من شخصيات ووجهاء السليمانية المعروفين والذين حملتهم الحكومة مسؤولية الاحداث فأرسلتهم موقوفين الى كركوك ثم الى بغداد وهم ١- عزمي بگ بابان ٢- الشيخ قادر الحفيد ٣- عبد الرحمن آغا احمد پاشا ٤- محمد صالح بگ

٥- محمد عبدالرحمن آغا ٦- عزت بگ ٧- فائق بگ ٨- شيخ محمد گولاني ٩- مجيد أفندي ١٠- رمزي فتاح ١١- توفيق قزاز. وإضافة الى هؤلاء فقد القي القبض على عشرات غيرهم من أبناء المدينة. ثم أكملت الحكومة انتخاباتها المزيفة بعد فترة وجيزة من توقفها وذلك وفقاً لمشيئتها ولصالح مرشحيها رغم المقاطعة الشعبية لها واحداث العنف التي ذكرناها.

اثارت المذبحة غضباً جماهيرياً واسعاً في جميع أرجاء العراق وتصدرت أخبارها الصحف العراقية والبريطانية على حد سواء، وتأجج في نفوس ابناء الكورد لهيب الغضب والانتقام من الجناة. كما أن الشيخ محمود الذي لجأ في وقت سابق الى الحدود الايرانية، عاد ليعلن ثورته من جديد على الاعداء وبتأثير الانباء المؤلمة التي وصلته من السليمانية.

لقد شغلت احداث السادس من ايلول اهتمامات الكورد جميعاً وبالاخص الشعراء الذين خلد بعضهم من خلال قصائدهم الرائعة تضحيات وبطولات ابناء السليمانية وشجاعتهم في اليوم المذكور، ونذكر منهم گوران وبيكه س والشيخ سلام وئه خول وغيرهم.

حكاية الاحتفاء بجريدة ژين في السليمانية في عام ١٩٤٦

تعتبر جريدة (ژين) الاسبوعية الصادرة في السليمانية طيلة الاعوام (١٩٣٩-١٩٦٣م) واحدة من الصحف المعمرة والبارزة في تاريخ الصحافة الكوردية والتي قدمت أسهامات كبيرة في مجال خدمة واغناء حياتنا الثقافية والفكرية والاجتماعية طويلاً ومواصلة النهج الصحفي



ژین

جريدة ژين

المتميز، الذي عرفت به سابقتها جريدة (ژين) على صعيد السليمانية وخارجها والتي عملت بعناد وأصرار خلال المدة (١٩٢٦-١٩٣٨م) رغم كل العراقيل والمعوقات ألتي اعترضت سبيلها.

ولعل من المناسب أن نشير ولو بإيجاز شديد الى مسيرة الجريدتين والظروف التي رافقت ظهورهما وعملهما الدؤوب فنذكر اولاً أن (ژيان) كانت جريدة سياسية وأدبية وأجتماعية رأت النور في ١٢ كانون الثاني ١٩٢٦م، وكانت تطبعها بلدية السليمانية ويرأس تحريرها المثقف المعروف (حسين ناظم) فيما أضطلع الشاعر الكبير (پيرەميرد) العائد الى السليمانية في اوائل ١٩٢٥ بعد غربته الطويلة في تركيا، أضطلع بمهمة الاشراف عليها. وعندما توفي حسين ناظم عام ١٩٣٢ ناب زميله (پيرەميرد) محله ثم تمكن عام ١٩٣٤ في استئجار مطبعة البلدية الحكومية ونيل أمتياز الجريدة (ژيان) أيضاً.



پيره ميرد

وبالنظر لاهمية وخطورة المهمة الصحفية والفكرية التي تكفلت بها (ژيان) في ظل صاحبها الامين (پيرەميرد) فان مسؤولي اللواء ناصبوهما العداء وقرروا التصدي لهما باستمرار، وأخيراً رفضوا تجديد عقد (پيرەميرد) بشأن استئجار مطبعة البلدية والذي كان من شأنه اسكات صوت الجريدة نهائياً. لكنه (أي پيرەميرد) آثر مواصلة النضال فاستقدم مطبعة أخرى من بغداد ونصبها في السليمانية اعتماداً على امكاناته المادية المحدودة ورهن داره والديون التي حصل

عليها من معارفه، وبهذا عاودت (ژيان) نشاطها المعهود ومعاندتها لاعدائها فظهر العدد (٥٢٩) من الجريدة بحلتها الجديدة يوم ١٩٣٧/٩/٢ ومن جديد واصلت سلطات اللواء محاربتها للجريدة فقررت اغلاقها يوم ١٩٣٨/٣/١ بعد صدور العدد (٥٥٣) منها. ومن جانبه عاود (پيرەميرد) العنيد الشجاع تحديه لاجراءات وأساليب المسؤولين وفي مقدمتهم متصرف اللواء مجيد اليعقوبي فسافر بهذا الشأن الى بغداد حيث افلح هناك بأصراره وحكمته وبمعاونة معارفه ومقربيه من المسؤولين والمثقفين من استحصال موافقة السلطات على معاودة نشاطه الصحفي ونيل امتياز جريدة جديدة بأسم (ژين) ظهرت الى الوجود في السليمانية بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٩ وحافظت على بهج (ژيان) المعروف وتسلسل اعدادها فظهر العدد (٥٥٤) منها باعتبارها (أي ژين) مكملة لسابقتها، كما ان مطبعة (پيرەميرد) أصبحت تعرف بدورها بأسم (ژين) منذ ذلك التاريخ.

واجمالاً قدم پيرەميرد من خلال جريدته ومطبعته ومسيرته الظافرة في ميدان الصحافة والطباعة مساهمات وطنية وقومية الى ابناء شعبه الكوردي والعراقي عموماً وبرع كثيراً في إغناء وتطوير ثقافتنا وآدابنا الكوردية بل ومجمل الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية في تلك الظروف والتي اغناها بابداعاته الشخصية المتنوعة من الشعر والنثر والحكم والامثال ونشر نتاجات غيره من الادباء والمثقفين الكورد الذين استقطبتهم على الدوام (ژيان) ثم (ژين) ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر؛ جميل صائب وعبدالواحد نوري والشعراء احمد مختار الجاف وزيور وبيخود وبێكەس وقانع والمفتي الپنجويني وگۆران وغيرهم.

وفي عام ١٩٤٦ وتقديراً للدور الريادي المعروف الذي عرفت به (ژين) على دأب سابقتها (ژيان)، وخلال مسيرتها الصحفية المظفرة التي اكملت عقدها الثاني في ذلك الوقت، اختير يوم ٢٦ كانون الثاني من ذلك العام للاحتفاء بالذكرى السنوية العشرين لجريدة (ژين)، على

اعتبارها متممة لمشوار (ژيان) التي ظهرت عام ١٩٢٦ كما أسلفنا.

ففي العدد (٨١٧) من الجريدة الصادرة يوم ١٧ كانون الثاني ١٩٤٦ أي قبل أيام من موعد المناسبة، أبلغ پيرەميرد ومن خلال مقطع شعري معبر عن مكان وموعد الاحتفال الذي تقرر اقامته بالمناسبة في الساعة الرابعة من عصر اليوم المذكور في دار الاستاذ فائق هوشيار.

كان الحفل المقام بالمناسبة، بهيجاً وقد حضره جمع كبير من الحضور وبضمنهم عدد كبير من الوجهاء والشعراء والمثقفين يتقدمهم متصرف اللواء الاستاذ المرحوم معروف چياوك. وقد بدأ الحفل بانشودة (هەی ژين) من كلمات پيرەميرد واداء المغني المعروف (رەشول) مع الشاب الصاعد محمود محمد وعلى انغام الفرقة الموسيقية للفنان بهجت رشيد فتلتها كلمة المرحوم چياوك القيمة، ثم تتابعت فقرات الحفل الاخرى وبضمنها تلاوة الرسالة المعبرة المرسلة من قبل محمد امين زكي بگ والتي تليت من قبل فائق هوشيار، وغيرها من الكلمات والقصائد التي ساهم بها الشيخ محمد الخال والشعراء زيوەر وبێكەس والشيخ سلام الذي ضمن عرضه الشيق لمسيرة (ژيان) و(ژين) الشاقة والدؤوبة بابيات شعرية رائعة للغاية، هذا أضافة الى الفقرات الفنية التي تضمنها الحفل والمتمثلة بالاغاني والمقامات التي رددها على ايقاع الموسيقى الفنانان المذكوران.

وعموماً ساد الحفل الذي استمر طويلاً وتخلله توزيع المأكولات والشاي والفواكه على الحاضرين، جو مفعم بالبشر والحبور والانشراح فيما بلغت مظاهر الاحتفال أوجها في الساحة المقابلة لمكان الحفل، وعند مقهى (پيرەمەگرون) لصاحبه غفور الاسطة بكر، حيث اقام المحتشدون هناك ولاسيما الشباب منهم دبكاتهم الفولكلورية على أصوات الطبل والزرنا وأحضروا پيرەميرد للمساهمة فيها وقيادة حلقاتها حيث كشف فيها الشاعر الطاعن في السن عن روحه المرحة الشابة وعنفوانه المعهود رغم سنوات عمره الطويلة.

وبعد أوقات عامرة بالافراح والمسرات أختتم الحفل بمثل ما استهل به على صدى نشيد (ههى ژين) مجدداً. كما شهدت الايام التالية ورود العديد من رسائل التهنئة المتضمنة شعراً ونثراً والتي عبر فيها مرسلوها عن تمنياتهم وتهانيهم بالمناسبة واعتذارهم عن الحضور للسليمانية بسبب شيخوختهم ومرضهم وبرودة الطقس ونذكر منهم: الشاعر الكبير علي كمال باپير، اما الشاعر قانع فقد ضمن قصيدته المرسلة من ربوع پينجوين عتابه اللطيف المؤثر الى عزيزته (ژين) بسبب عدم تلقيه منها رسالة دعوة لحضور المناسبة أسوة بالباقين!

بقي ذكره أن (ژين) وصاحبها ظلا ملتزمين بنهجهما الوطني والقومي الرصين ورسالتهما الصحفية السديدة في مجال خدمة قضايا شعبنا العادلة وتراثنا وحضارتنا وثقافتنا الكوردية العريقة حتى رحيل پيرەميرد عن الدنيا في ٦/١٩ /١٩٥ ودفنه في أحضان تلة (مامه ياره) الاثيرة لديه بناء على وصيته التي حث فيها أهله وشعبه على طلب العلم والمعارف وخدمة وطنهم وأمتهم والتمسك بالايمان والاخلاق الكريمة، كما شدد فيها أيضاً على ضرورة الاحتفاظ بمطبعته وجريدته وديمومة وظيفتهما من بعده.

ثم ترأس جميل صائب تحرير الجريدة عقب وفاة پيرەميرد لكن القدر المحتوم لم يمهله طويلاً في مهمته حيث توفي في ١٣ تشرين الاول ١٩٥١ وحل محله المحامي نوري أمين محمود ومنه استلم المهمة أحمد زرنگ ابتداء من العدد (٦ ١١م) ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى أصبحت الجريدة (بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٩٥٣م) في رعاية وأشراف الشاعر الكبير گوران وعاونه في مهمته نوري أمين محمود فواصلت (ژين) مشوارها في سفر صحافتنا الكوردية وظلت أمينة لنهج مؤسسها وصاحبها حتى انقضاء عهدها المشرق الطويل.

السليمانية واستذكارات تشييع جثمان الشيخ محمود (١٩٥٦م)

اشتدت وطأة المرض على الشيخ محمود الحفيد في أيامه الاخيرة فنقل من قريته (داری كهلى) الى بغداد لغرض العلاج، فشاءت مشيئة الرحمان ان يفارق الحياة هناك ليلة ٩/ ١/١٩٥٦ في مستشفى الحيدرية التي كان يعالج فيها

وفي صبيحة اليوم التالي اعلنت الاذاعة العراقية النبأ الأليم عبر الأثير فاحتشدت الجموع الغفيرة من سكان العاصمة حول المستشفى اعراباً عن الحزن والاسى برحيل الشيخ المجاهد. وفي الساعة التاسعة والنصف (صباحاً) سير نعش الشيخ صوب السليمانية يرافقه موكب من السيارات، وكان ضمن الموكب عدد من الشخصيات المعروفة أمثال: رفيق حلمي، علاءالدين السجادي، ابراهيم حامي وغيرهم.

كانت الجماهير الغفيرة قد أصطفت على جانبي الطريق العام بين بغداد وكركوك بقصد توديع جنازة الراحل الكبير، ففي بلدة طوزخورماتو كان قائمقام القضاء برهان الجاف على رأس المحتشدين للاحتفاء بالجنازة المهيبة، كما حذا حذوه في كركوك متصرف اللواء الذي تقدم الالوف من ابناء المدينة الذين هبوا لتوديع شيخهم وزعيمهم، الوداع الاخير.

ثم سار موكب النعش باتجاه مدينة السليمانية فبلغ مشارفها في الساعة السابعة مساء حيث خرج لاستقباله هناك طابور طويل من السيارات ضم حوالي ٥ سيارة، فيما غصت المدينة نفسها بعشرات الالوف من ابنائها كباراً وصغاراً وقد أستبد بهم البكاء والنحيب حزناً على رحيل شيخهم وابن مدينتهم البار الذي نذر حياته من اجلهم جميعاً. وكان بين الحشود ايضاً عدة وفود من مختلف ارجاء كوردستان وصلت المدينة للمساهمة في تشييع الفقيد الكبير.

لم يكن متصرف اللواء (عمر علي) بين الحاضرين في تلك الاثناء وذلك بسبب وجوده في بغداد، فناب محله في حضور المراسيم وكيله

صائب فوزي الذي كان ينتظر مع وجهاء وكبار مسؤولي اللواء أمام الجامع الكبير حيث كان مقرراً وصول الموكب.

وفجأة تأزمت الاوضاع في السليمانية وحدث ما لم يكن في الحسبان اذ حملت الحشود النعش وتوجهت به صوب مبنى سجن السليمانية الذي كان يحبس فيه الشيخ لطيف (نجل الفقيد)، وذلك بهدف اتاحة الفرصة له لالقاء نظرة الوداع على والده الراحل، فانهمرت من جهة مبنى سراي الحكومة المجاورة زخات الرصاص التي اطلقها افراد الشرطة على المحتشدين حول مبنى السجن الذي كان مديره يستغيث ويستنجد بالمسؤولين عبر الهاتف محذراً من اقتحامه من قبل الجماهير.

أضطر وكيل المتصرف الى التوجه فوراً نحو مصدر اطلاق النار في السراي الذي تحصن فيه أفراد الشرطة، ولان المنافذ كانت موصدة فإنه نفذ الى داخل المبنى من الخلف بعد ان صعد على ظهر واحد (أو اثنين) من الحضور فجرد الشرطة من اسلحتهم ثم اتجه عاجلاً الى مبنى السجن وتمكن من اقناع المحتشدين بنقل النعش الى الجامع الكبير وكما كان مقرراً.

وأخيراً اسجي جثمان الشيخ محمود داخل مرقد جده الكبير الشيخ كاك احمد الشيخ الكائن عند الجامع الكبير استعداداً لدفنه. فرأى الكثيرون أنه من الحكمة اجراء الدفن فوراً تفادياً لحدوث المزيد من المشاكل بعد ان أودت أحداث تلك الليلة بحياة اثنين (شاب وسيدة) وتسببت في جرح ٤٠ شخصاً! لكن الشيخ قادر شقيق الشيخ محمود واقاربه رفضوا المقترح قائلين: أن السليمانية لم تألف ابداً دفن موتاها ليلاً! الا ان المبررات والحجج التي اوردها البعض وفي مقدمتهم الاستاذ علاءالدين السجادي أقنعت اقارب الشيخ على قبول المقترح وذلك بسبب خطورة الوضع واحتمال تكرار ما حدث قبل فترة وجيزة وماتعقبه من نتائج وخيمة.

وبقصد تفريق الجموع، أُعلن بأن الدفن سيتم غداً! وغادر الكثيرون الجامع، ثم اوعز السجادي باغلاق البابين الرئيسيين للجامع والمباشرة

بإجراءات الدفن داخل حرم الضريح المبارك فوراً، حيث وري الجثمان الطاهر الثرى هناك في الساعة الحادية عشرة ليلاً!

عندما علم (عمر علي) في بغداد بخبر نقل جنازة الشيخ الى السليمانية، قرر العودة مساءً الى هناك على عجل، ولما علم في الطريق بتفاصيل الاحداث التي شهدتها السليمانية؛ عقد العزم على اتخاذ أجراءات رادعة بحق المتظاهرين وأطلاق النار عليهم بلا تردد.

ما أن وصل عمر علي السليمانية في صباح اليوم التالي لأحداث الأمس الفائت حتى أصدر أوامره بمنع التجول ليلاً من الساعة السادسة مساءً وحتى السادسة صباحاً، فانتشرت المصفحات وقوات الشرطة المسلحة في الشوارع، وحذر خطباء الجوامع من التلفظ بأسم الشيخ في خطبهم ومواعظهم تفادياً لاثارة الناس وصرح ايضاً؛ أن الموت مصير الجميع ولا موجب لكل هذا الحزن على وفاة الشيخ!.

ثم أوعز بتوقيف ٥٢ شخصاً بسبب الاحداث الفائتة وحاول أيضاً حبس بعض الاشخاص الذين رافقوا جنازة الشيخ من بغداد الى السليمانية إلا أنه لم يفلح في ذلك، كما منع تداول صحيفة (ژين) التي أبرزت نبأ رحيل الشيخ ونعيه، فعاقب محرريها بسبب ذلك، لكن الصحيفة وصلت الى أيدي قرائها عصراً.

كان مجلس العزاء الذي أقيم في الجامع الكبير مهيباً للغاية وقد استغرق ثلاثة أيام وكان يبدأ من الصباح وحتى الساعة الخامسة عصراً، في حين كانت أجراءات منع التجول التي أصدرها المتصرف سارية المفعول ليلاً.

وبعد انقضاء مراسيم العزاء بدأت حشود المعزين الوافدين من خارج السليمانية بالعودة الى أماكنها، فيما عادت الامور الى طبيعتها الظاهرة داخل المدينة شيئاً فشيئاً. وهكذا عاش شيخنا عظيماً ومات عظيماً... وسيظل يرقد في طمأنينة وسلام داخل مرقده المبارك في ربوع السليمانية مدينة الثورات والتضحيات.

نساء خالدات... في ذاكرة الكورد

خلدت ذاكرة الكورد أسماء نخبة لامعة من نسائهم الماجدات النابغات المعروفات بسجاياهن وخصالهن الرفيعة في الحياة ومواقفهن واسهاماتهن القومية والوطنية والانسانيه المشهودة ومآثرهن وابداعاتهن الخالدة التي اغنين بها سفر أمتهن وشعبهن كثيراً، فأستحقن التخليد والثناء والاعجاب وصرن مبعث فخر واعتزاز خلفهن الصالح.

وإذ تتحدث المصادر والمراجع التاريخية المدونة والمتيسرة بين أيدينا الآن عن عدد من افراد تلك النخبة المتألقة من نساء أمتنا الخالدات، لما عرفن به من مؤهلات وابداعات شتى في عهودهن، فأن المؤكد هو إن هناك الكثيرات غيرهن من مثيلاتهن البارعات اللواتي أغفلهن وظلمهن التاريخ، فحرمنا بذلك من فرصة الاطلاع على اخبارهن المدونة والموثقة بحيث إن حدود معلوماتنا الحالية عنهن لاتتعدى في أغلب الاحوال نطاق بعض الحكايات والاستذكارات المنقولة عنهن عبر الشفاه، جيلا بعد جيل، ومع ذلك فأن المتأمل لبعض المراجع والكتب التاريخية المتوفرة عندنا الآن بامكانه الوقوف على نتف وشذرات وردت فيها عرضاً (في تلك المراجع) حول مواقف ومبادرات مشهودة لنساء كورديات غابت اسماؤهن عن الكثيرين رغم تألقهن سابقاً، وهذه النتف جديرة بالاهتمام والتمعن ومن المفيد جمعها وتدوينها في مؤلف خاص سيكون بالتأكيد اضافة مفيدة جداً للمكتبة الكوردية التي تعاني فقراً في هذا المجال، ويشكل ذلك في الوقت نفسه عرفاناً وتذكيراً بحق نساء جديرات بالتكريم والتخليد في

ذاكرة الجيل الحالي من ابناء امتنا.

ويقينا، إن عطاءات ومفاخر ومآثر أمتنا المختلفة،شأنها شأن الامم المبدعة والأصيلة الأخرى، لم تكن حكراً على قادتنا ومبدعينا من ساداتنا الكرام وحدهم، بل كان لنسائنا دورهن المتميز والفاعل في تحقيق مجدنا القومي والوطني وعطائنا الحضاري الثر. ونعرض هنا على سبيل المثال لا الحصر أسماء بعضهن والمجالات التي أبدعن ونبغن فيها مثل الأميرة دولت خان التي حكمت إمارة لرستان الصغرى (عام ٧١٦هـ) خلفاً لزوجها الراحل الأمير عزالدين محمد وخانزاد أميرة سوران البارعة التي تولت مقاليد حكم الامارة عقب اغتيال زوجها الامير سليمان في مكيدة غادرة ببغداد وأيضاً: وليه خانم التي حكمت الأمارة الاردلانية بعد وفاة زوجها الأمير خسرو خان عام ١٨٦٥ قدم خير الأميرة الفيلية الثائرة على مظالم رضا شاه البهلوي بحق اهلها وقومها، عادلة خانم (١٨٥٩-١٩٢٤م) زوجة عثمان پاشا الجاف و صاحبة الانجازات الحضرية والعمرانية الكبرى في حلبجة والسيدات الجليلات سليلات أسرة الايوبي النابغة أمثال؛ عصمة الايوبي بنت الأمير عبدالخالق بن صلاح الدين الايوبي التي شيدت أربع مدارس في بغداد اكبرها في شرق الاعظمية شيدتها سنة ٦٧١هـ ومكتبة كبيرة زالت عام ٧٢٥هـ بفعل فيضان مدمر ضرب بغداد، مؤنسة خاتون، عذراء خاتون، زهرة خاتون، صفية خاتون، فاطمة خاتون، ربيعة خاتون وسائر سيدات تلك الأسرة المرموقة ممن اشتهرن في مجال البر والاحسان وانشاء ورعاية دور العلم والعبادة في دمشق وحلب وحماه وغيرها، وحفصه خان النقيب سيدة كوردستان الاولى في عهدها والمعروفة بسجاياها الحميدة وأخلاصها القومي والوطني ومبادراتها واسهاماتها الاجتماعية والخيرية السخية في السليمانية ومحيطها، ونهنه خان عقيلة صالح خان الدلو ووالدة الثائر ابراهيم خان الدلو تلك السيدة الشجاعة التي قدمت يوماً من قريتها صوب كفري لتسحب جثتي ابنيها الشهيدين كمرو حسين اللذين سقطا مع بعض

رفاقهما اثناء انتفاضتهم التي قادها كمرضد المسؤولين العثمانيين ومظالمهم عام ١٨٩٥م، فوقفت نه‌نه خان على جثتي ولديها الشهيدين المرميتين في العراء ثم عانقهما وصلت عليهما بخشوع دون ان تذرف دمعة واحدة عليهما كي لايتشفى الاعداء بمصابها ثم نقلتهما بكل مظاهر التحدي والشموخ لتدفنهما عند قريتهم شرقي كفري، وحبيبه خان بنت كريم بگ الجاف الام الحنون والسيدة الشهمة النبيلة على صعيد اسرتها البگزادة وقبيلتها الكبيرة وكل أرجاء گه‌رميان الواسعة التي شهدت عطاءات تلك السيدة الفاضلة المعروفة بسجاياها وقيمها ومبادراتها القومية والاجتماعية والقبلية الاصلية، وكذلك الثائرة المعروفة باسم فتاة نه‌غه‌ده (نه‌غه‌ده بلدة كوردستانية ايرانية) وهي من مناضلات جمهورية كوردستان في مهاباد وحماتها، وقد قاتلت بعد انهيار تلك الجمهورية الفتية قتال الابطال جنباً الى جنب رفاقها وتعرضت مع بعض منهم بعد سجنهم الى شتى صنوف التعذيب والتنكيل فسمل الجلادون عينيها واذاقوها مر العذاب قبل ان تسلم روحها الطاهرة فداء لوطنها الكوردستاني العزيز، والمقاتلة الشجاعة شاناز بنت مولانا يعقوب الاردلاني التي قادت خمسمائة مقاتلة من رفيقاتها في الهجوم على معسكر اعدائهن القزلباش فدحرنهم في ليلة عاصفة ممطرة ومظلمة وبعد ملحمة بطولية رائعة ابلت فيها تلك الفتيات بلاء منقطع النظير، وفاطمة قرة (او قره فاطم) التي اشتهرت وبرعت كمحاربة جسورة في كوردستان تركيا أبان الحرب بين بلادها تركيا وروسيا القيصرية عام ١٨٧٧م، وليلى قاسم ابنة الوند وعروسة كوردستان التي اعتلت منصة الاعدام صبيحة يوم ١٣/٥/١٩٧٤م انيقة، باسمة، متجلدة ومرفوعة الهامة غير آبهة بالموت في سبيل الكورد وكوردستان ومسيرة البارزاني الخالد.

اما على صعيد الثقافة والادب والشعر والفن فنكتفي بذكر الشاعرة والمؤرخة والكاتبة النابغة ماه شرفخانم (مه ستوره الكوردستانية) والكاتبة والشاعرة اللامعة عائشة التيمورية (١٨٤٠-١٩٠٣م) رائدة النهضة

الادبية النسوية واحدى الشخصيات النسائية الباهرة في تاريخ مصر الحديث والشاعرة ثاته خان من السليمانية وشاعرتي كويسنجق حزينة وحليمة والسيدة الجليلة رەوشن بدرخان التي سعت بدأب واخلاص في سبيل خدمة الادب والثقافة الكوردية واذكاء الروح القومية الخالصة، ورائدات فننا الغنائي الاصيل ليلى بدرخان ومريم خان وعائشة شان وغيرهن لا مجال لذكرهن. وسنتطرق في سياق هذا العرض وبشيء من التفصيل، الى ما هو متيسر لدينا من اخبار ومعلومات بشأن سير وعطاءات خمس سيدات ممن ورد ذكرهن، وبحسب اسبقية عهودهن الزمنية التي عشن فيها.

ماه شرفخانم



ماه شرفخانم

ولدت السيدة الجليلة والشاعرة والمؤرخة والكاتبة اللامعة ماه شرفخانم المعروفة كثيراً بلقبها الذائع (مه ستوره الكوردستانية) في عام ١٢٢ هـ بمدينة سنه/ سنندج عاصمة إمارة اردلان الكوردستانية المزدهرة وتوفيت ودفنت فيها في حدود ١٢٦٣/١٢٦٤ هـ وعن عمر قارب ٤٤ عاماً، وهي من اشراف سيدات كوردستان المعروفات بالكفاءة والابداع والتألق وابنة ابي الحسن بگ محمد آغا ناظر الكوردستاني من قبيلة القادري، وكان جدها مدير خزينة إمارة اردلان واحد وجهائها البارزين، اما زوجها الامير خسروخان الملقب بخسرو ناكام فقد تولى ولاية الامارة المذكورة سنة ١٨٢٤م وعرف بكونه شاعراً ايضاً.

عرفت مەستوره الكوردستانية اضافة الى نبوغها في دنيا الشعر والادب والتاريخ، بكونها سيدة ورعة رفيعة الشرف وعلى قدر كبير من

العفة والحيا ء، وأمتازت بخطها الجميل المثير للاعجاب فجمعت في شخصيتها الجذابة بين الاصالة والنبل والنبوغ وتعدد المواهب والاهتمامات.

نظمت مەستوره الكوردستانية خلال حياتها الابداعية ٢ الف بيت من الشعر الفارسي الجميل، لكن المؤسف ان ديوانها الشعري الذي ضم كل تلك الاشعار، قد ضاع واختفى في خضم الفوضى والصراعات الدائرة في موطنها... الى أن وفق العلامة الكبير الحاج الشيخ يحيى معرفة وبعد جهد جهيد من جمع الفي بيت شعر من قصائدها الغزلية وطبعها في سنة (٤ ١٣ حسب التقويم الايراني) لدى مطبعة (شوروي) بطهران وتحت عنوان: ديوان ماه شرفخانم الكوردستانية.

وإضافه الى أشعارها الذائعة فأن مەستوره الفت كتابها القيم (ميژووى كوردستان - تاريخ كوردستان) وكتاباً دينياً في موضوع العقيدة والشرع اكد على تقوى صاحبته وتعمقها في العلوم الدينية الاسلامية، حيث أنها اكملت واتقنت دراسة العلوم الاثني عشر المؤلفة من العلوم الدينية الاسلامية وعلوم اللغة العربية التي كان طلاب الدين يدرسونها ويتعمقون فيها وينالون بها شهاداتهم العلمية - اجازاتهم الدراسية - فصارت (اي مەستوره) صاحبة ١٢ علما، جدير بالذكر ان تسمية الملا صاحب ١٢ علماً ماتزال شائعة عندنا وتعني العالم الديني - الملا - الكامل والضليع الذي ارتقى الدرجات الدينية العالية.

أما عن حكاية اقتران (مەستوره) بزوجها خسروخان فيفيد كتاب تاريخ كوردستان او تاريخ امراء اردلان، ان المذكور (خسرو) قد غضب على والد مەستوره وعمها ذات يوم ثم صفح عنهما وتزوج منها ابتغاءً لمصالحتهما وترضيتهما وتطيب خاطرهما (أي والدها وعمها)، فتنعم معها بحياة زوجية عامرة بالود والتقدير المتبادلين بينهما، إذ دأب الزوجان على مدح وثناء بعضهما البعض في العديد من منظوماتها الشعرية الفارسية.

بقي ذكره إن مهستوره عاصرت الشاعر الخالد نالي (١٧٩٧ - ١٨٥٥م) الذي نظم بحقها قصيدته الغزلية المكشوفه الشهيرة التي اثارت الكثير من الجدل ومازال، فاتخذ منها البعض ذريعة للتهجم على صاحبها (نالي) والنيل منه. والواقع انه ليس واضحاً السبب الحقيقي الذي دفع بنالي لاتخاذ الموقف المذكور من مهستوره، وربما كان الامر برمته مجرد نزوة طارئة او رد فعل شديد خلال فترة شبابه على موقف اثاره كثيراً، والمرجح أن تكون القصيدة تلك قد قيلت وقت كان نالي طالب علم في سنه/ سنندج.

خانزاد

عاشت الأميرة خانزاد بنت حسن بگ خلال الفترة (١٥٥٥- ١٦١٥م)، وهي زوجة الامير (سليمان)حاكم إمارة سوران المعروفة، وقد تقلدت الحكم بعد حادث مصرع زوجها غدراً، حيث تذكر المعلومات التاريخية انه - اي الامير سليمان - اختلف مع سلطات الحكم العثماني في بغداد حول ادارة شؤون امارته المذكورة، ولغرض معالجة ذلك الوضع وتسوية الامور بين الجانبين توجه الى بغداد، فالقي القبض عليه هناك واودع السجن في مكيدة مدبرة وقتل مسموماً. ولما علمت زوجته النابغة خانزاد



خانزاد

بذلك قررت تقلد مقاليد الحكم وشغل مكان زوجها المغدور ومعاداة العثمانيين والمحافظة على وحدة وهيبة وازدهار إمارتها التي نقلت عاصمتها الى حدود بلدة حرير الحالية حيث شيدت قلعة (كەلەسو) على جبل حرير لحماية حكمها من هجمات البابانيين.

حافظت خانزاد إبان فترة حكمها على استقلال إمارتها من سيطرة

خصومها العثمانيين غير معترفة بحكمهم اطلاقاً، وخدمت رعيتها بكل تفان واخلاص محققة اصلاحات عدة وانجازات عمرانية مختلفة فشيدت المساجد والمدارس والقلاع والقصور والطرقات والقناطر، ومازال بعض قلاعها القديمة شاخصة عند قصبتي حرير وباطاس المجاورتين وهي تتحدى جبروت الزمن وتشهد على عهد الاميرة خانزاد الزاهر الغابر.

أتصفت خانزاد بكونها سيدة جذابة رائعة الجمال وممشوقة القوام فضلاً عن شجاعتها النادرة التي اكدتها الاحداث والوقائع التي عاشتها، اذ انها دابت على ارتداء زي الرجال وتبوأ مقدمة مقاتليها في معمعان المعارك واتون الشدائد. كما عرفت ايضاً بحنكتها وبأسها وحسن إدارتها لشؤون الحكم وتفقد احوال مواطنيها واشاعة العدل والامن والاستقرار بينهم. فكثيراً ماكانت الاميرة تجوب بزي الرجال ومعها حراسها، ازقة وطرقات عاصمة إمارتها ليلا للاطلاع على احوال الرعية وظروف عيشهم والاستماع الى شكاويهم ومظالمهم عن قرب وتلبية حاجات الفقراء والمعدمين منهم بشكل خاص، لكن ذلك العهد الزاهر والمشرق من حكم امارة سوران لم يعمر طويلاً إذ ان رحيل أميرتها البارعة عن الدنيا كان إيذانا بافول بريق مجدها السابق فدب فيها الضعف والتدهور في ظل أمرائها وقادتها الذين لم يحسنوا ادارة شؤون إمارتهم والمحافظة على مآثر أميرتهم الراحلة، فاستغلت السلطات العثمانية ذلك الوضع سريعاً وارسلت جيشاً كبيراً باتجاه حرير للقضاء على امارة سوران واخضاعها دون عناء، وبذلك حانت نهاية إمارة سوران ومجدها الباهر وطويت تلك الصفحة المشرقة من حكم اميرتها الشهمة المقدامة (خانزاد) التي خلدها التاريخ بأعتبارها واحدة من اشهر وابرع سيدات الكورد في سفر هذه الامة وضمائر واذهان ابنائها الاوفياء.

قدم خير

قتل رضا شاه البهلوي الأمير شا مراد خان، آخر امراء إمارة اللر الصغرى غيلة وغدراً عام ١٩٢٥م، فانتفضت أخته الاميرة الفيلية



قدم خير

الجسورة قدم خير انتقاماً له، حاملة لواء الثورة والتمرد، فوفقت في فترة وجيزة من جمع عدد كبير من المقاتلين حولها وعزمت على تحرير أرضها وشعبها من حياة الذل والاضطهاد السائدة عهدذاك، فأرسلت بهذا الخصوص رسالة الى الشيخ محمود الحفيد عارضة عليه توحيد جهودهما بهدف تخليص الكورد من مظالم واحتلال الاجنبي، فقد جاء في نص الرسالة أنها تحارب في كوردستان ايران التعسف والاستبداد وترفض الخضوع لنير العبوديه وان تتحول بلادها الى لقمة سائغة للاعداء. كما اوضحت للشيخ ان شقيقها قتل ظلماً وغدراً، فدعته الى توحيد قواتهما وامكاناتهما المتاحه في جبهة واحدة من اجل تحررهما المشترك في العراق وايران مؤكدة في نفس الوقت أستعدادها التام لوضع كل امكاناتها المتوفرة من الرجال والاسلحة والاعتدة تحت تصرف الشيخ الحفيد، وبحسب قولها في الرسالة فان تلك الامكانات والتجهيزات كانت تكفيهما لمدة عامين. بيد ان الشيخ الحفيد لم يعط رسالتها اذناً صاغية ولم يلب دعوتها المخلصة ظناً منه ان اعوانه وانصاره في كوردستان العراق سوف يبتعدون عنه في حال حصول اتفاق كهذا بينهما لزعمهم ربما أن زعيمهم تركهم وفرط بهم من اجل أموال وثروات أميرة موسرة!

وفي تلك الاثناء بعث رضا شاه البهلوي برسالة الى الاميرة الثائرة عارضا عليها الزواج وذلك بهدف التأثير عليها واقناعها بالعدول عن موقفها المعادي له وبالتالي القضاء على انتفاضتها الباسلة ضمن لرستان الصغرى، وبحسب بعض المعلومات المطلعة فإنّ قدم خير ردت على رضا شاه برسالة جوابية مقتضبة قائلة فيها: أنني لست إمراة حتى اتزوج، بل انت إمراة!!

ولما تسلم الشاه المذكور هذا الرد المهين والقاسي، جهز جيشا كبيرا وارسله عاجلاً الى حدود ولاية اللر الصغرى للقضاء على انتفاضتها ، فأحدث هناك القتل والنهب والخراب بينما استمر الثوار الفيليون الشجعان من جانبهم بمقاومة الغزاة الفرس والدفاع ببسالة عن ارض وطنهم طويلاً بيد ان كفة الصراع مالت اخيراً لصالح الغزاة فأنهارت الانتفاضة نتيجة لجملة من الاسباب والظروف الموضوعية وفي مقدمتها انشقاق بعض الثوار الفيليين الذين غررت بهم حكومة الشاه فأنسحبوا من صفوف أخوتهم الثوار في ظرف عصيب، هذا فضلاً عن حصول نقص كبير في الاسلحة والاعتدة لدى الثوار وامتناع العشائر الكوردية المجاورة عن امدادهم بتلك المستلزمات الحربية ورفدهم بالمقاتلين، كذلك كان لمرسوم العفو العام الذي أصدره الشاه عن الثوار أثره البين في أضعاف الانتفاضة وبالتالي اخمادها.

كما كتب رضا شاه المخادع والمراوغ رسالة الى قائدة الانتفاضة قدم خير، ارسلها مع نسخة من القرآن الكريم كهدية اليها ، لتقتنع بان العفو العام المذكور صادر عن نيه صادقة لاشائبة فيها ويكون المصحف الشريف المرسل اليها شاهدا على ذلك. فاقتنع معظم الثوار بما اعلنه الشاه وسلموا انفسهم بمن فيهم زعيمتهم الى ازلام الشاه وقواته فنفذ حكم الاعدام شنقاً بأغلب قادة الانتفاضة، فتفيد معلومة بهذا الصدد ان عدد القادة النابغين الذين اعدمتهم سلطات الشاه في ذلك الظرف بلغ ١٧ قائداً، أما قدم خير نفسها فأنها بعد استسلامها لقائد قوات الشاه، أرسلت الى طهران، فلم يقتلها رضا شاه بل تعمد ايداعها السجن لتعاني العذاب والالام في زنزانتها ، لكنها ظلت صامدة شامخة دون ان تفكر لحظة في طلب العفو والنجاة كما وعدها الشاه، الى ان فارقت الحياة عزيزة ابية ومرفوعة الرأس، فالتحقت بركب الخالدين في سجل نضالنا القومي والوطني المشرف.

حفصه خان النقيب

هي شخصية كوردية عالية الشأن في المجتمع الكوردي المعاصر، ولدت في مدينة السليمانية عام ١٨٨١م حيث نشأت ونبغت في ظل اسرتها الدينية المهيبة، فقد كان والدها الشيخ معروف النقيب حفيد الحاج كاك احمد الشيخ شخصية دينية واجتماعية مرموقة وسيدا معززاً لدى المسؤولين العثمانيين الذين منحوه لقب (النقيب) الذي اقترن بأسمه واسماء افراد اسرته من بعده.



حفصه خان

وعلى داب والدها الجليل اتسمت حفصه خان بصفات حميدة كالشجاعة والجود وطيبة القلب و حلاوة اللسان وسائر السجايا الحميدة الاخرى التي جعلت منها سيدة عصرها الاولى على صعيد السليمانية وكوردستان. كما صار مضيفها الواسع ملاذ نساء عصرها اللواتي كن يلجأن اليها بقصد معالجة مشاكلهن الاجتماعية ومصاعب حياتهن اليومية فصار مجلسها بمثابة محل قضاء لحسم قضاياهن وتأمين حقوقهن وتذليل معوقاتهن الحياتية. وفضلاً عن ذلك بذلت حفصه خان جهوداً حثيثة في مجال تعليم وتثقيف نسوة عصرها وساهمت مساهمة فاعلة في ارساء دعائم اول مدرسة كوردية خاصة بتعليم المرأة في تاريخ امتنا، وكانت هي نفسها من طليتها والمبادرة باهداء دار شخصية لها لتستغل كبناء لتلك المدرسة الرائدة.

اجمالاً برعت حفصه خان في مجال اسهاماتها ومبادراتها الخيرية المتعددة التي كرستها لخدمة شعبها وامتها فنشير هنا الى دورها المتميز ضمن اللجنة النسوية التي تشكلت في السليمانية اوائل عام ١٩٤٢م بهدف جمع التبرعات لصالح المحتاجين والمعوزين الذين انهكتهم تبعات

وظروف الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وكما اسلفنا

لم تقتصر ابداعات وعطاءات حفصه خان على المجالات التي ذكرناها ، بل ان قضايا النصال الوطني والقومي شغلت ايضاً اهتمامها كثيراً، اذ أنها وقفت موقفاً نضالياً مشرفاً من انتفاضات ابن عمها الشيخ محمود الحفيد وتعرضت مع زوجها الشيخ قادر الحفيد (ابن عمها) واقاربها الى الكثير من المعاناة والمصاعب جراء الاخفاقات التي تعرض لها الشيخ محمود ولاسيما في أعقاب انتكاسة انتفاضته الاولى وأسره ثم نفيه الى الهند أنذاك حيث عانت حفصه خان وأسوة باقارب الشيخ الحفيد ومقربيه من ظروف التشرد وضنك العيش داخل الحدود الايرانية رغم الالتفاتة الودية التي خصهابهم هناك المخلصون الغيارى من رجال العشائر الكوردية الايرانية.

كما وجهت حفصه خان رسائل ونداءات عدة الى احرار العالم للوقوف مع حقوق وتطلعات شعبها الكوردي المظلوم وبضمنها رسالتها الهامة الموجهة الى عصبة الامم عام ١٩٣ م بشأن تلبية المطالب القومية العادلة للكورد والتي تنكرت لها الحكومة العراقية وحليفتها بريطانيا. ثم سلكت فيما بعد موقفاً قومياً مشرفاً من جمهورية كوردستان (مهاباد - عام ١٩٤٦) التي ايدتها وساندتها باخلاص منذ ميلادها فأثنى عليها الزعيم قاضي محمد بسبب ذلك واعرب لها من خلال رسالته الودية الموجهة اليها ، عن خالص الوفاء والامتنان.

كما خصت حفصه خان زوارها وضيوفها القادمين اليها من مختلف ارجاء كوردستان والعراق ودول الجوار وأوروپا بالترحاب والرعاية والحفاوة وبضمنهم عدد من المستشرقين الذين قصدوها للاستفادة من معرفتها وخبرتها باحوال وشؤون المنطقة.

والواقع أن حفصه خان كرست جل عمرها من أجل مثلها ومبادئها العليا وقيمها النبيلة التي آمنت بها وعملت من أجلها بأخلاص طويلاً وضحت في سبيلها بالكثير من طاقاتها وممتلكتها ، وظلت حتى نهاية

عمرها الخير المبارك نصيرة الفقراء والمحتاجين والغرباء وعابري السبيل الذين اغدقت عليهم بسخائها المعهودوشملتهم باللطف والود. ونستذكر هنا موقفها الانساني النبيل من السجناء البصريين القابعين في سجن السليمانية الذين طلبوا منها مساعدتهم في ذلك الظرف الصعب المحيط بهم وهم غرباء ويبعدون بمئات الكيلومترات عن اهلهم، فبادرت حفصه خان وعلى دأبها المعروف، بتلبية طلبهم ورعايتهم طيلة وجودهم في السليمانية عهدئذ. وجاء في نص رسالتها الموجهة اليهم بهذا الشأن: «اعتبروا انفسكم ضيوفي طيلة وجودكم في السليمانية واطلبوا مني مايطلبه الابناء من امهاتهم وانني هنا بمثابة أمكم الى أن تقر عيونكم بلقاء امهاتكم».

هكذا عاشت حفصه خان دائبة على الخير والعطاء والمواقف الوطنية والانسانية الرفيعة الى أن توفيت باجلها المحتوم من جراء مرض السرطان بتاريخ ١٥ نيسان عام ١٩٥٣م ووري جثمانها الطاهر الثرى في مقبرة (سەيوان) المطلة على السليمانية بمهابة قبالة سفوح گويژة وأزمر الخلابة.

حبيبه خان بنت كريم بگ الجاف

واخيراً نتوجه الى ربوع گەرميان الدافئة فنتوقف عند كلار القديمة لنتعرف على سيرة موجزة لاحدى سيدات بگزادة الجاف المشهود لهن بالكفاءة والابداع والعطاء، والمعروفات بمركزهن القبلي والاجتماعي المرموق على صعيد قبيلتهن الكبيرة وشعبهن الكوردي، وهي السيدة الجليلة حبيبه خان بنت كريم بگ الجاف (١٩٢٧-١٩٩٧م) صاحبة الشرف الرفيع والخلق الكوردي القويم والعطاءات القومية والوطنية والانسانية السخية التي خلدتها في ذاكرة اهل گەرميان ومحيطهم.



حبيبه خان

نشأت حبيبه خان وترعرعت في الجانب القديم من كلار الحالية، حيث استقرت أسرتها المعروفة من امراء - بگزادة - الجاف الذين واظبوا طويلاً على مصاحبة قبيلتهم في حلها وترحالها الدائبين، فتوفرت لها في ظل تلك الاسرة الموسرة النبيلة فرص العيش الرغيد تحت رعاية والدها الشهم الذي ترأس الجاف وباقتدار مدة ٣٠ عاماً تقريباً. وانطلاقاً من تقديره واعجابه الكبيرين بأصول ومظاهر التعليم الحديثة، حرص كريم بگ على ارسال ابنته (حبيبه) وهي في مقتبل العمر الى المدرسة المشيدة حديثاً في قريتهم (كلار القديمة)، فاصبحت بذلك اول تلميذة تدخل المدرسة الحديثة على صعيد كلار وخارجها وقت كان دخول الاناث الى مثل تلك المدارس وخصوصاً بالنسبة لابنة رئيس القوم، أمراً غير مألوف إن لم يكن محرماً بنظر العرف الشائع آنذاك.

كذلك تعلمت حبيبه كثيراً من آداب وأصول مجلس والدها العامر بالضيوف والزوار، لاسيما من المسؤولين الكبار والساسة والوجهاء والمثقفين والشعراء وعلماء الدين الافاضل، فاتسعت مداركها وقابلياتها الذهنية الى حد بعيد واتقنت تقاليد قبيلتها العريقة على احسن مايرام.

وهكذا نشأت حبيبه خان وعلى دأب غيرها من بگزادة الجاف الاصلاء متفتحة الذهن والبصيرة واعية لدورها القبلي والاجتماعي والقومي، محبة لشعبها ووطنها، مخلصة لسجايا والدها الحميدة الذي ورثت عنه الورع والجود والشجاعة والصدق والبلاغة وحب الشعر والادب والقيم والمبادرات القومية والوطنية الاصيلة. فتبرعت في اوائل عقد الاربعينات من القرن الماضي، وهي في ريعان شبابها ،بحليها ومصوغاتها الذهبية لصالح حزب هيوا (١٩٣٩-١٩٤٥م) الذي ضم العديد من وجهاء گەرميان وبضمنهم والدها واعمامها واقاربها، كما اتقنت اصول الرماية والفروسية التي اجادتها بامتياز فضاهت خيرة فرسان ورماة عهدها، وقد احتفظت لنفسها ببندقية (برنو) ظلت متمسكة ومعتزة بها طويلاً وحاذقة في استعمالها والتصويب بها بدقة.

خاضت حبيبه خان معترك النضال القومي والسياسي في صفوف الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي قاد منذ تأسيسه عام ١٩٤٦ حركة النضال التحرري الكوردي في كوردستان العراق فكانت بحق شعلة من النشاط والابداع لصالح تنظيمات البارتي ضمن حدود كفري الواسعة التي كانت كلار تتبعها عهدذاك اداريا. فقد تكفلت حبيبه خان وبكل ماعرفت به من اقدام واخلاص ونكران ذات بتنفيذ انشطة ومهام نضالية مختلفة خدمة لمسيرة الكوردايه‌تي الظافرة على هدي البارزاني الخالد، وخصوصاً في مجال التنظيم النسوي وجمع التبرعات والاعانات الحزبية وسائر الفعاليات الاخرى التي تنقلت في سبيلها مراراً بين كفري وكلار وخانقين وبغداد، وقد شهد مقر منظمة (خه‌بات) في كلار نهاية عقد الخمسينات اوج نشاطات حبيبه خان مع رفاق مسيرتها على صعيد العمل السياسي والثقافي والاجتماعي.

في عام ١٩٦٣م وبعد التحاق زوجها محمود بگ بصفوف الثوار في قرداغ اثناء ثورة ايلول التحررية، اضطرت حبيبه خان بسبب ظروفها الصعبة الى الانتقال نحو قرية (بان صندوق) جنوبي كلار، لكن مختار القرية سرعان ماوشى بها لدى السلطات بدعوى ممارستها للنشاط السياسي المحذور خدمة للحركة الكوردية وطليعتها الثورية البارتي، فقادتها الشرطة الى مركز ناحية (قره‌تبه)حيث تكررت مضايقتها واستجوابها الى ان تدخل لصالحها مدير الناحية بحكم انتمائه القبلي الاصيل الى قبيلة العزة العربية وتودده الى اسرة بگزادة الجاف، فأنقذها من مأزقها.

بعدئذ عادت حبيبه خان الى كلار مواظبة على نهجها الكوردي القويم المعهود وخدمة سكان المنطقة ورعايتهم ومساعدتهم وخصوصاً الفقراء والمحتاجين منهم، فظلت كذلك حتى الرمق الأخير من حياتها.

ولأن حبيبه خان نشأت في بيت منور بالعلم والثقافة والادب ومحب للشعر بشكل خاص، فأنها توجت موهبتها الشعرية المبكرة التي صقلتها

لاحقاً تجاربها الغنية في حياتها، بالعديد من قصائدها القومية والاجتماعيه الحماسية الداعية الى الاخلاص والنضال في سبيل الكورد ونبذ الخلافات والفرقة بينهم ومنح المرأة الكوردية حقوقها ودورها اللائق في الحياة والقضاء على كل مظاهر البؤس والتخلف في المجتمع الكوردي. والمؤسف ان أغلب قصائدها تلك، ضاعت بسبب عدم تدوينها ولم يتبق منها سوى مقاطع متفرقة تتناقلها السن افراد اسرتها ومقربيها بينما وصلت اشعار شقيقها محمد امين بگ الى الاستاذ مصطفى نريمان فجمعها ونظمها في ديوان مطبوع ظهر عام (١٩٩٠) بعنوان (ديوان مينه بگ الجاف)

لاننسى أيضاً أن حبيبه خان واخيها النابغ مصطفى بگ الجاف كانا يحتفظان فيما بينهما بمودة بالغة الى حد ان يتمنى كل واحد منهما ان يرحل عن الدنيا قبل صاحبه حتى لايتفجع بموته ويقاسي مرارة فراقه!، فشاءت قدرة الباري ان ترحل حبيبه خان عن الدنيا بتاريخ ١٩٩٧/٧/١١م بينما كان أخوها يعاني من فقدان الوعي على فراش المرض في العاصمة بغداد التي نقل اليها لغرض العلاج، فتوفي بدوره ليلة ٢٩-٣٠/٧/١٩٩٧ دون أن يعلم بوفاة أخته العزيزة الحنون!

جوامع وتكايا في ذاكرة كركوك

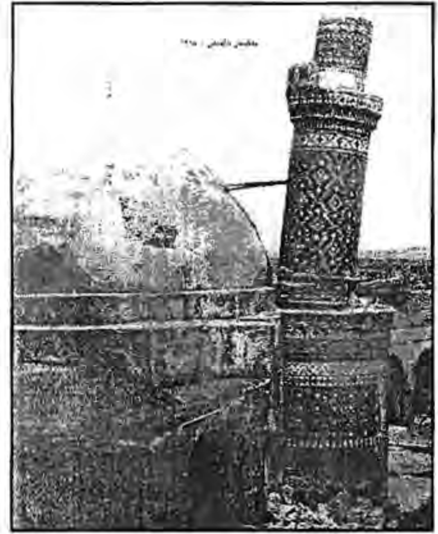
تزخر مدينة كركوك بالعديد من الآثار والمعالم الدينية الاسلامية (والمسيحية) الأصيلة التي تؤكد بمجملها عراقة هذه المدينة الكوردستانية وعمقها الحضاري الثر المجيد والتي عرفت دوماً بكونها مدينة التآخي والتآلف والمحبة بين جميع قومياتها وطوائفها، وملتقى العديد من الثقافات والافكار والأديان والمذاهب التي تفاعلت وانسجمت فيما بينها هناك.

ويأتي في طليعة هذه المعالم الدينية العريقة عدد كبير من الجوامع والمساجد والتكايا التي أنتشرت ونشطت في كركوك سابقاً، وتميزت الى جانب وظيفتها الدينية الأساسية بدورها التربوي والفكري والاجتماعي المؤثر في حياة أبناء كركوك الطيبين الأصلاء.

ورغم ان تأثيرات الزمن والظروف ومظاهر الاهمال قد نالت من بعض هذه الجوامع والتكايا كثيراً وأصابتها بالخراب والدمار تاركة إياها تقبع الآن وسط الانقاض والركام، فأن البقية الباقية منها ماتزال تحتفظ بقدر كبير من رونقها السابق وبريقها المعهود وهي تواصل وظيفتها الدينية ودورها التربوي والاجتماعي المعروف، وذلك بفضل أعمال الصيانة والتجديد والتعمير ومظاهر الاهتمام والرعاية التي توفرت لها تباعاً، ونذكر من بين الجوامع والتكايا البارزة التي خدمت واشتهرت في كركوك كثيراً؛ جامع أولي جامع، جامع أمام قاسم، جامع نقشلي مناره (المنارة المزخرفة - مناره نهخشينه)، جامع النائب، جامع بولاق، جامع خادم

السجادة، جامع القبة الخضراء، الجامع الكبير، جامع الشيخ حسام الدين، جامع الاسكان، جامع أرسلان، التكية الطالبانية (مسجد المجيدية)، تكية السيد أحمد خانقاه، تكية الشيخ عبدالباقي، التكية الكسنزانية، التكية الخالدية الرفاعية، تكية پير قرەچيوار، تكية أبو علوك، تكية الشيخ ابراهيم... وغيرها.

وسنحاول في سياق عرضنا الموجز هذا، التعريف بعدد من هذه التكايا والجوامع التي ذكرناها وتقديم ما نمتلك من معلومات واستذكارات بشأنها وهي؛ التكية الطالبانية، جامع المنارة المزخرفة، جامع خادم السجادة، تكية الشيخ عبدالباقي، جامع النائب وتكية السيد أحمد خانقاه.



التكية الطالبانية - ١٩١٨

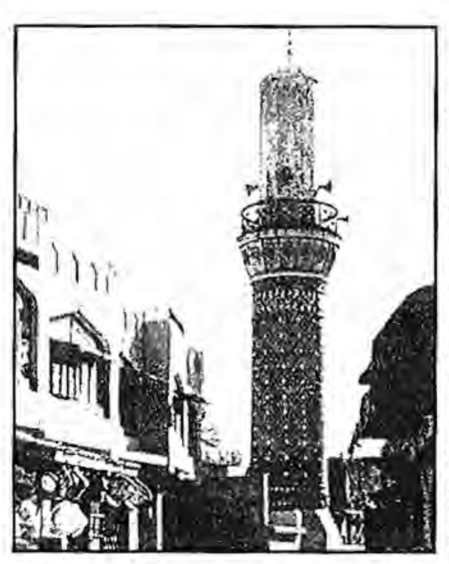
ونبدأ أولاً بالتكية الطالبانية (المعروفة أيضاً بمسجد المجيدية) التي شيدها عام ١١٨٥هـ-١٧٦٤م العلامة الشيخ محمود زنگنة الجد الاكبر للأسرة الدينية الطالبانية المعروفة. فقد سلك هذا الشيخ الجليل منهج طريقة السجادة القادرية (الصوفية) المعروفة وعمل جاهداً على نشر تعاليمها وترسيخها بين أتباعه ومريديه وشيد في هذا السبيل تكيته المذكورة (الطالبانية) التي دفن فيها بعد مماته، وأدام من بعده نجله الشيخ أحمد نهجه الصوفي القادري الذي أخذ يستقطب في عهده المزيد من المريدين باضطراد. فبنى في قرية طالبان الواقعة جنوبي چمچمال والتي استمدت منها أسرته

الدينية اسمها، بنى تكية جديدة جعلها فرعاً للتكية الأم في كركوك، وقبل أن يوافيه الأجل المحتوم أوعز الى نجله الاكبر الشيخ عبدالرحمن بالعودة من طالبان الى كركوك وادارة شؤون تكيتهم الكبيرة هناك.

ولما توفي الشيخ أحمد عام ١٢٥٧ هـ ودفن بدوره في التكية الطالبانية بكركوك، انتقلت زعامته الدينية الى وريثه الشيخ عبدالرحمن الذي واظب على توسيع تلك التكية الشهيرة، فشيد لها في عام ١٢٦٠ هـ منارتها المهيبة واتخذت (اي التكية) شكل مسجد في كركوك، وكان ذلك في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد الذي أصدر فرماناً سلطانياً قضى بتسجيل المسجد باسم الشيخ عبدالرحمن، لكن هذا الاخير حرص من جانبه على تسمية المسجد بالمجيدية تيمناً باسم السلطان المذكور وتقديراً له. ومنه انتقلت تكيته لاحقاً الى خليفته واكبر ابنائه الاربعة الشيخ علي الذي وفق كثيراً في المهمة الموكلة اليه، فيما حقق ابنه الأخر الشيخ رضا الطالباني (١٨٣٥-١٩١٠) مجده الكبير في عالم الشعر الذي برع وتفنن واشتهر فيه كثيراً، ثم استمرت التكية الطالبانية في أداء رسالتها الدينية والعلمية والاجتماعية في ظل شيوخها الذين تعاقبوا عليها خلال العقود الماضية، وهي ماتزال تحتفظ بقدر كبير من بريقها المعهود وهيبتها السابقة، رغم تقادم الزمان عليها.

ويعتبر جامع مناره نەخشینە (نقشلي مناره - المنارة المزخرفة) المميز بمنارته الشامخة ذات النقوش والزخارف البيضاء والزرقاء والذي يعود تاريخ إنشائه الى عام ١٢٣٣ هـ، واحداً من ابرز واشهر جوامع كركوك العريقة قاطبة، ورغم انه فقد بمرور الزمن الكثير من مميزاته العمرانية السابقة بسبب الترميمات التي شهدها مراراً، لاسيما الترميمات التي أجريت له عام ١٩٨٤م، فانه مايزال يحتفظ بموقعه الأثير في نفوس ابناء كركوك الذين يرون فيه صرحاً دينياً وتراثياً خالداً وأحد اكثر الاماكن إثارة لذكرياتهم ومشاعر حنينهم الجارف الى ماضيهم البهيج الغابر الذي كان فيه هذا الجامع بمثابة أحد مراكز الاشعاع الديني والروحي والفكري

في مدينتهم العزيزة كركوك.



جامع مناره نخشينه

أما جامع خادم السجادة الكائن في محلة بولاق والذي كان بدوره أحد جوامع كركوك المعروفة في عهده الزاهر سابقاً، فانه أو بالاحرى ماتبقى منه، يقبع اليوم وسط الانقاض والخراب من جراء إهماله وعدم ترميمه!، فلم يتبق منه سوى قبته العتيدة المميزة التي تشمخ بين اطلال الماضي وعبق الذكريات متحدية جبروت وقسوة الزمن ومذكرة أجيال اليوم بحكاية ذلك المسجد الراقي الذي شيده أبناء اسرة خادم السجادة في عهد السلطان عبدالحميد خان الذي وهبهم، كما يروى، الموقع الذي شيدوا عنده مسجدهم المهيب وذلك تكريماً لمكانتهم الدينية الراسخة والنابعة أصلاً من احتفاظهم، أباً عن جد، بسجادة صلاة نبينا الكريم محمد (ص) وتمسكهم الشديد بها، إضافة الى مقتنيات أخرى للصحابة الكرام، ولقد قاوم أبناء أسرة السجادة جميع المحاولات والاغراءات المتواصلة التي أبداها سلاطين آل عثمان بهدف الحصول على تلك السجادة المباركة ونقلها الى اسطنبول بقصد حفظها في متحف (طوب قاپور).

ونكتفي بهذه الشذرة عن جامع خادم السجادة المهدم في محلة بولاق لنتوجه صوب محطتنا التالية في محلة شاطرلو وتحديداً عند التكية المعروفة بتكية الشيخ عبدالباقي نسبة الى اسم مؤسسها الشيخ عبدالباقي بن درويش اسماعيل والتي تأسست عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٢م)

عند جامع كـان يمتلكه بالأساس عـالم ديني معروف اسمه الملا عـبدالله ويقـوم فـيـه (اي في الجـامـع) بواجب الأمـامـة والخطابة ورعـاية شـؤون المسلمين. وتفيد المعلومات المتيسرة عن التكية أيضاً، ان بانيها الشيخ عبدالباقي - وهو لم يكن يحمل أنذاك لقب الشيخ - حضر ذات يوم الى ذلك الجامع فأعجب به وقرر البقاء فيه بقرب الملا عبدالله (وهو ابن عمه بحسب المصدر الذي أقتبست منه المعلومات المتعلقة بهذه التكية).

ولما نالت الشيخوخة من الملا عبدالله ومنعته من اداء واجباته الدينية المعهودة أوكل أمر جامعه الى رفيقه وقريبه الشيخ عبدالباقي. وبعد فترة وافته المنية ودفن في التلة المعروفة الأن باسمه (تەپەێ مەلا عەبدوللا - بالكوردية) والتي تضم اليوم أحد أحياء كركوك وبنفس الاسم أيضاً ومن بعد العلامة المذكور، واصل خلفه مهمته في رعاية الجامع واداء واجب الامامة والخطابة فيه على خير مايرام، ثم سلك فيما بعد الطريقة الصوفية القادرية في مصر واصبح أحد مرشديها وصار يحمل منذئذ لقب الشيخ، فشرع بارساء دعائم تكيته في التاريخ والمكان المذكورين سلفاً، أي في عام ٣ ١٣هـ وعند الجامع الذي تركه له سلفه الراحل.

وبمرور الايام ازداد الشيخ عبدالباقي هيبة وصيتاً وأخذت تكيته تعج بالضيوف والاتباع وتأوي الفقراء والمحتاجين. ثم دعاه يوماً السلطان عبدالعزيز للسفر الى الاستانة فلبى طلبه، وهناك توطدت علاقته بولي العهد عبدالحميد (السلطان فيما بعد) وتنبأ له بقرب موعد تنصيبه سلطاناً وخليفة للمسلمين فتحققت نبوءته بهذا الشأن سريعاً!

ولما عاد الشيخ عبدالباقي الى دياره في كركوك أرسل معه السلطان عبدالحميد أثنين من البناءين المهرة (وهما مرقس حنا وقرياقوس) ليعمرا له تكيته ويجددا بناءه بشكل لائق، فأدام نهجه المعهود في الوعظ والارشاد متمسكاً على الدوام بورعه وفضائله وخصاله الحميدة وفي مقدمتها شجاعته وجرأته في قول الحق وخصوصاً أثناء مواجهته ومقابلته للمسؤولين واصحاب الشأن المتنفذين الذين دأب على مخاطبتهم باللغة

التركية الرائجة آنذاك، قائلاً: السلام عليكم اي ملت دولتين خائنلري، أي؛ السلام عليكم يا خونة الشعب والبلاد!!


تكية الشيخ عبدالباقي

وفي تلك الفترة، قدم الى كركوك الشقيقان؛ الشيخ محمود والشيخ محمد المزنوي (نسبة الى قرية مزناوا في پشدر) قادمين من السليمانية بعد إكمال تحصيلها العلمي الديني عند العلامة المرشد كاك أحمد الشيخ فأقاما هناك - أي في كركوك - وأتصلا بعلمائها، وصار الشيخ محمد وكيلاً للشيخ عبدالباقي ثم أستخلفه بعد وفاته (بناء على وصيته السابقة) في الاشراف على تكيته والقيام بالامامة والخطابة في جامعه (والجامع هذا مايزال قائماً بجانب التكية).

وفي عام (١٩١٨) توفي الشيخ محمد ودفن داخل التكية بجوار سلفه الشيخ عبدالباقي تاركاً مهمته من بعده لنجله الشيخ مصطفى الذي نال محله فيما بعد (عام ١٩٦١م) نجله الشيخ عبدالجبار ولما توفي هذا الاخير بدوره عام (١٩٨٦م) تكفل نجله الشيخ عبدالجليل (الذي مايزال على قيد الحياة) برعاية التكية والقيام بالامامة والخطابة في الجامع.

كذلك يشتهر في كركوك جامع النائب المشيد عام (١٣٣٥هـ) والذي فقد معظم مظاهر بنائه السابق بسبب عمليات التجديد والترميم والاعمار التي طالها في عقد الثمانينات من القرن الفائت، لكنه رغم ذلك مايزال محتفظاً بقدر ملحوظ من زخارفه ونقوشه البديعة التي تزين أبوابه

ونوافذه المتعددة، ومنها بابه الخارجي الذي دون في اعلاه تاريخ تشييد الجامع وبعض الآيات من الذكر الحكيم. ويقال إن جميع هذه النقوش والزخارف والكتابات الباقية على الجامع وسواها التي زالت واحتفت من الوجود بمرور الزمن، كانت من ابداع الفنان علي نقاش السنهيي (نسبة الى مدينة سنه/ سنندج الكوردستانية الايرانية)

لاننسى أيضاً، ان جامع النائب قد أحتضن في رحابه تباعاً وعلى مر العقود المنصرمة العديد من العلماء والائمة والخطباء الافاضل المشهود لهم بالكفاءة والنبوغ في تاريخ كركوك ومنهم - على سبيل المثال - العلامه المؤرخ الملا جميل الروژبياني (١٩١٣-١ ٢م) الذي عمل لردح من الزمن - في نهاية عقد الخمسينات من القرن الماضي - إماماً وخطيباً هناك.

ونتطرق أخيراً الى تكية (سيد أحمد خانقاه) الشهيرة والتي كانت تجود بضيافتها الكريمة واوقافها واملاكها الواسعة الغنية فضلاً عن اسهاماتها النيرة في مجال خدمة الدين والفكر والادب كون صاحبها سيد أحمد (١٨٦٨-١٩٥٢م) شيخاً متصوفاً من شيوخ الطريقة الصوفية النقشبندية وعالماً دينياً مهيباً واديباً مقتدراً وشخصية وطنية لامعة عرفت بمعاداتها للاستعمار البريطاني في العراق، فكان طبيعياً ان تحظى تكيته (خانقاه) بكل تقدير واحترام لدى ابناء كركوك وغيرهم من ابناء كوردستان و العراق عموماً بل وحتى البلدان المجاورة، الذين دأب الكثيرون منهم على زيارة (سيد أحمد) والتمتع بصحبته الكريمة وضيافته السخية في تلك التكية التي ماتزال تشمخ مع جامعها في كركوك كأحد معالمها التراثية والدينية الأصيلة والتي ماتزال تستقبل الزوار والمصلين وتذكر بافضال وسجايا وعطاءات صاحبه الشهم الكريم

بقي ان نقول إن ما أوردناه من إستذكارات ومعلومات موجزة عن الجوامع والتكايا الست المذكورة لايعد سوى نزراً يسيراً من تاريخ حافل بالاحداث والذكريات والمواقف المشهودة التي رافقت بمرور الزمن، المعالم

التراثية والدينية الموجودة في كركوك والتي تعد بمجملها جزءاً حيوياً وبارزاً من تاريخ وتراث شعبنا وشاهداً على أصالة إرثه الحضاري والفكري والروحي المجيد.

موجز عن تاريخ الطباعة والصحافة والنشر في كركوك

عرفت كركوك وتبعاً لموقعها الجغرافي الحيوي الهام والمتعدد الاغراض بدورها الحضاري المجيد في تاريخ بلادنا الموغل في القدم، كما قدر لـ كركوك ايضاً ان تتبوا مكانة متميزة جداً في تاريخنا الحديث بوصفها مركزاً ادارياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً وتجارياً هاماً للغاية وذلك أبان حقبة الاحتلالين العثماني والبريطاني لبلادنا وبعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة (عام ١٩٢١م)، فكان طبيعياً والحال كذلك أن تكون هذه المدينة العزيزة في مقدمة مدن العراق والمنطقة التي شهدت جملة من الانجازات والتطورات الحضرية والعمرانية ومستلزمات الحياة العصرية المختلفة التي شهدتها كركوك تباعاً وبضمنها مسيرة الطباعة والنشر التي سبقت بها (أي كركوك) غيرها من مدن كوردستان الاخرى والتي نخصص لها هذا العرض الموجز الذي نحاول من خلاله تسليط الضوء على جانب حيوي وبارز من تاريخ كركوك الحديث.

يعود تاريخ ظهور أول مطبعة في كركوك الى الربع الاخير من القرن التاسع عشر (في حدود عام ١٨٨١م) عندما أمر الوالي العثماني (فيضي پاشا) بتأسيس مطبعة (الولاية) التي أستقدمت أجهزتها ومكائنها من اسطنبول الى العراق عن طريق البحر، وقد أضطلعت تلك المطبعة حال انشائها بطبع الاوراق والرسائل الحكومية الرسمية، كما ساهمت فضلاً عن ذلك بطبع بعض الكتب والمنشورات المختلفة قبل أن

تنقل لاحقاً بأمر الوالي (تحسين باشا) الى مدينة الموصل (مركز ولاية الموصل).

ثم ظهرت في كركوك وقبل اندلاع الحرب الكونية الاولى بفترة قصيرة (في حدود عام ١٩١١م) مطبعتان أخريان هما: مطبعة (صنايع مكتبي سى) ومطبعة (حوادث)، فالاولى تم شراؤها واستقدامها من اسطنبول لقاء مبلغ قدره (١٥) ليرة عثمانية وانجزت خلال مدة وجودها في كركوك طبع عدد من الكتب والمجلات والصحف المختلفة باللغة التركية، منها على سبيل المثال لا الحصر، مجلة (معارف) الادبية الفنية التي صدرت بالتركية في عام (١٩١٣م) وساهم في تحريرها كتاب معروفون أمثال: فتحي صفوت، ع خلوصي، حامد نديم، زين العابدين قابل زاده، أحمد مدني ومكي لبيب... وأستمرت هذه المطبعة في العمل الى نهاية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨م) حين عطلها الانكليز عن العمل اثناء احتلالهم للمدينة، لكن مالبث ان اعيد تصليحها سريعاً ونقلت الى بغداد.

أما المطبعة الثانية (أي حوادث) فأنها تأسست من قبل الصحفي الرائد أحمد مدني قدسي زاده بعد ان استقدمت مكائنها من بلجيكا، فكان تأسيسها بمثابة نقطة تحول هامة في تاريخ الطباعة والصحافة والنشر في كركوك، حيث تكفلت عقب انشائها مباشرة بطبع أول جريدة هناك باسم (حوادث) في أواخر شباط عام ١٩١١م. وكانت (حوادث) صحيفة سياسية اسبوعية تصدر باللغة التركية وقد استقطبت في عهدها العديد من الكتاب والادباء والمثقفين وساهمت كثيراً في ازدهار الحركة الثقافية في كركوك.

وقعت هذه المطبعة «ايضاً» بايدي الأنكليز عام ١٩١٨م فبدأوا بالاشراف عليها وأدارتها وأصدار جريدة الـ(نجمة) الرسمية من خلالها، باللغة العربية اولاً ثم باللغة التركية وأحياناً باللغة الكوردية في خضم مواجهاتهم مع الثائر الشيخ محمود الحفيد في السليمانية.


نجمة

جريدة نجمة

وفي عام ١٩٢٦م تغير اسم الـ(نجمة) الى (كركوك) حيث باشرت باصدارها بلدية كركوك أسبوعياً وباللغات الكوردية والعربية والتركمانية، وكانت الجريدة إخبارية تطبع في اول عهدها على غرار سابقتها في مطبعة (حوادث) التي انتقلت عائديتها الى بلدية المدينة فصارت تعرف باسم (مطبعة البلدية) وذلك قبل ان يتسنى لها (أي بلدية كركوك) شراء مطبعة امريكية حديثة لاحقاً لتحل محل سابقتها وعموماً ظلت تلك المطبعة العتيدة في العمل حتى نهاية عقد الخمسينات من القرن الماضي واسدت خلال مسيرتها الطويلة خدمات هامة الى مسيرة الطباعة والثقافة والفكر في كركوك.

وبالنسبة لصحيفة (كركوك) فان الشاعر النابغ هجري دده الكاكائي (المعروف باشعاره الكوردية والتركمانية الذائعة) قد تولى ادارة تحريرها حال صدورها في عام ١٩٢٦م ولحين انفصاله عنها بسبب تعيينه في وظيفة اخرى، فتولى بعده (عبدالرحمن بكر) ادارتها. كما نذكر من بين الذين ساهموا بنتاجاتهم في تلك الصحيفة المعروفة كل من الشاعر الكبير پيرەميرد (في السليمانية)، رفيق حلمي، فهمي عرب آغا، شكر آغا اوغلو، اسعد نائب، رشيد عاكف، عمر فوزي، عثمان مظلوم، توفيق جلال، وحيد بهاء الدين وجمال عزالدين.

واضافة الى ماذكر شهدت كركوك خلال النصف الاول من القرن الفائت صدور العديد من المطبوعات الصحفية الاخرى تباعاً التي نذكر منها جرائد: آژانس (١٩١٨م) تجدد (٩٢م)، التقدم (٩٣٥م)، الوحدة (٩٤٨م) و مجلتي: كوكب معارف (٩١٥م)، صدى الشباب (١٩٣٢م).

وخلال عقد الخمسينات من القرن العشرين شهدت كركوك حركة نشطة

في مجال ارساء العديد من المطابع الجديدة التي شهدتها المدينة تباعاً (خصوصاً المطابع الاهلية) فتوسعت وازدهرت بذلك حركة الطبع والنشر هناك اكثر فاكثر وذلك برغم كل الظروف الصعبة والاستثنائية التي احاطت بهذه المدينة الباسلة واهلها في ظل الممارسات المشبوهة والمنحرفة التي اتبعتها بحقهم السلطات الحكومية الحاقدة.

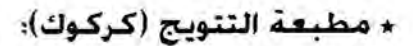
ونعرف هنا بأهم تلك المطابع واصحاب بعضها:

⋆ مطبعة الترقي



محمد أمين عصري

تأسست هذه المطبعة عام ١٩٥٣م من قبل السيد محمد أمين عصري، وهي أول مطبعة في كركوك بدأت منذ تأسيسها بطبع الكتب والكراريس الكوردية على أنواعها.



⋆ مطبعة التتويج (كركوك):

تأسست هذه المطبعة في عام ١٩٥٣م أيضاً، وتغير أسمها بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م الى (كركوك).

⋆ مطبعة الهلال:

تأسست عام ١٩٥٥م وكان صاحبها (موشيح الارمني)، وقد تكلفت في عهدها بطبع جميع أوراق وسجلات شركة نفط كركوك.

⋆ مطبعة الشمال:

تأسست هذه المطبعة عام ١٩٥٦م وقد تميزت بمساهمتها الفاعلة في طبع وانجاز العديد من المطبوعات المختلفة التي لاقت قبولاً ورواجاً كبيرين من لدن القراء والمتتبعين وبضمنها مختلف الكتب والصحف والمنشورات الصادرة باللغة الكوردية والتي تعرض بسببها صاحب المطبعة

السيد صبري عبو (وهو مواطن مسيحي من الموصل أصلا)، الى مضايقات شتى من لدن السلطات الحكومية دون أن يأبه بها.

*** مطبعة الجمهورية:**

تأسست من قبل السيد أبراهيم اسماعيل عام ١٩٦٨ ثم انتقلت ملكيتها بعده الى السيدين يونس علي وابراهيم أرسلان، وقد ساهمت هذه المطبعة بدورها بطبع وانجاز العديد من الكتب والمجلات باللغات المحلية في كركوك.

*** المطبعة التجارية:**

تم شراء هذه المطبعة، (وهي المانية الصنع)، من قبل السيد محمد أمين عصري في عام ١٩٧١م وقد واظبت على عملها في شارع الجمهورية وباشراف صاحبها المذكور حيث انجزت طبع العديد من الكتب والمنشورات المختلفة باللغات المحلية السائدة في المدينه (من كوردية وتركمانية وعربية).

ومثلما انتشرت المطابع في كركوك وازدهر نشاطها كما اسلفنا، فان المدينه شهدت بدورها ايضاً ظهور عدد من المكتبات العامرة التي أسهمت من ناحيتها في اغناء الحركة الثقافية والفكرية كثيراً ونحن نشير هنا فقط الى اسماء ثلاث مكتبات منها ورد ذكرها في مذكرات الاستاذ مصطفى نريمان بوصفها أبرز المكتبات الرئيسية في كركوك أبان عقد الخمسينات من القرن المنصرم وهي مكتبة (عباس حلمي) التي ظهرت اصلاً في شارع المجيدية أبان فترة الثلاثينات، ثم انتقلت من مكانها السابق الى سوق العصرية لتواصل ازدهارها وتوسعها، ومكتبة (حبيب) في شارع المجيدية، وهذه المكتبة تخصصت بالكتب والمؤلفات التركية التي كانت تصلها من تركيا، ومكتبة العصرية (لصاحبها محمد أمين عصري) التي لعبت دوراً متميزاً في رفد عدد غفير من القراء الكورد بمختلف الكتب والمطبوعات الكوردية.

واذا كانت كركوك قد شهدت نشاطاً متميزاً خلال عقد الخمسينات من القرن الفائت على صعيد مطابعها ومكتباتها كما أسلفنا، فان تلك الفترة ومابعدها (خصوصاً بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) شهدت أيضاً نشاطاً ملفتاً للنظر على صعيد مسيرة الصحافة في كركوك والتي توجت باصدار العديد من الصحف والمجلات المختلفة باللغات العربية والكوردية والتركمانية التي اضطلع بطبعها وأخراجها عدد من مطابع كركوك وراجت في اوساط القراء والمثقفين من أهل المدينة ومنها على سبيل المثال صحف: صدى الشمال (١٩٥١م) التي أصدرها معروف عارف وهو صحفي من السليمانية) الآفاق (١٩٥٤م)، البشير (١٩٥٨م) گاورباغي (١٩٥٨م)، آزادي - الحرية (١٩٥٩م) ورأي الاهالي - راى گەل (١٩٥٩م)، وكانت هذه الاخيرة أسبوعية سياسية لسان حال فرع حزب الوطني الديمقراطي (حزب كامل الچادرچي) ويترأس تحريرها السيد (صادق بلوكيني) الذي اغتيل في احد شوارع كركوك فتولى بعده السيد (ناظم الونداوي) رئاسة تحريرها حتى الغائها عقب صدور العدد (٧٢) منها.

أما المجلات فنذكر منها: الثقافة الحديثة (١٩٥٤م)، الشفق (١٩٥٨م)، الطليعة (١٩٥٩م)، العرين (١٩٥٩م) وصوت الطلبة - دەنگی قوتابیان (١٩٥٩م) التي أصدرها الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العراقية - فرع كركوك - باللغات الكوردية والتركمانية والعربية وقد صدرت منها ثلاثة اعداد فقط ثم توارت عن الانظار»، الربيع (١٩٦٠م)، گزنگ - البزوغ (١٩٧٢م) «اصدرها اتحاد ادباء الكورد فرع كركوك»، مجلة باوه گوگور ١٩٧٢م «اصدرها اتحاد طلبة كوردستان فرع كركوك» ومجلة نيرگز التي صدرت عام ١٩٨٣م وساهم في تحريرها عدد كبير من الادباء والكتاب الكورد في كركوك.

ومن خلال القاء نظرة سريعة على مسيرة الطباعة والصحافة في كركوك إبان النصف الثاني من القرن الماضي يلفت انتباهنا حتماً التقدم البارز


مجلة الشفق

الذي شهدته حركة الصحافة والنشر الكوردية في هذه المدينة العزيزة كماً ونوعاً وتحديداً منذ أواخر عقد الخمسينات من القرن المنصرم.

وننوه هنا بمجلة شەفەق (شفق) المتميزة عهدذاك والصادرة باللغتين الكوردية والعربية والتي ظهر العدد الاول منها في ١٥/١/١٩٥٨م، وهي كانت مجلة نصف شهرية ادبية ثقافية عامة استطاعت تحريك الوسط الثقافي في كوردستان الى حد كبير، حيث بدأ الكتاب والمثقفون يراسلونها ويغنونها بمساهماتهم السخية من القصص والاشعار والخواطر وسائر المقالات والمواضيع المتنوعة الاخرى. وكان صدور (شفق) في كركوك حينذاك حدثاً هاماً في عالم الصحافة الكوردية حيث اصبحت ادارتها ملتقى للمثقفين الذين كانوا يبحثون عن متنفس لهم في ذلك الجو الخانق السائد في العراق.

كان صاحب امتياز (شفق) هو العقيد المتقاعد عبدالقادر البرزنجي ومسؤول تحرير قسمها العربي الاديب عبدالصمد خانقاه المحامي الذي تمكن بحكم علاقاته مع المثقفين العرب والكورد ان يجمع في مكتبه المتواضع خيرة المثقفين الشباب الموجودين في كركوك آنذاك امثال فاضل العزاوي، انور الغساني وزهدي الداودي الذين كانوا يزودونه بالمواد واحياناً يراجعون مايرد الى المجلة من نصوص.

ورغم ان المجلة لم تعلن عن اسماء هيئة تحريرها، الا انها كانت مؤلفة من ابراهيم أحمد المحامي، معروف البرزنجي المحامي، د. معروف خزندار، الناقد عمر عارف محمود. كما دأب معتمد المجلة في بغداد (جمال خزندار) بتزويدها بالاخبار والمقالات والخواطر، فيما انيطت شؤونها المالية بالشاعر علي كمال باپير الذي كان يقيم في كركوك آنذاك.

استمرت (شفق) التي كانت تطبع في مطبعة الشمال، بالصدور الى ما بعد اندلاع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م ثم انتقلت ادارتها « في عام ١٩٥٩ » الى السليمانية بسبب انشغال القائمين عليها بمهامهم الحزبية، وتغير اسمها هناك الى (بەيان) حيث اشرف عليها الشاعر الكبير (گوران)، وبعد فترة قصيرة اعيدت المجلة الي كركوك مجدداً وصدرت هناك باسمها السابق (شفق) واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٦٣م.

ولاشك ان ديمومة وازدهار مسيرة الطباعة والصحافة والنشر في كركوك اعتمدت اساساً على الجهد الدؤوب الذي بذله جمع من الصحفيين والمثقفين اللامعين الذين نذروا حياتهم وجل امكاناتهم المادية والمعنوية لخدمة شعبهم في هذا المجال الحيوي الرحب فوفقوا بنضالهم ونكران ذاتهم وصمودهم وخلال ظروف صعبة للغاية في دفع عجلة الطباعة والصحافة والنشر الكركوكية الى امام واجتياز جميع العقبات والمصاعب التي اعترضتها طويلاً، فكانوا بحق أشبه بجنود اوفياء مجهولين خدموا وضحوا في هذا المضمار كثيراً.

ويبدو لي من المناسب ان اشير هنا بايجاز شديد الى مسيرة وعطاء واحد من ابرز هؤلاء المبدعين الذين خدموا الحركة الثقافية والفكرية في كركوك عموماً والكوردية منها خصوصاً، الا وهو الاستاذ الطيب الذكر محمد أمين عصري (١٩١-١٩٧٤م)، كان (عصري) شغوفاً بعالم الطباعة والصحافة والكتب كثيراً وقد دفعه شغفه هذا الى ترك مهنة التعليم التي مارسها في عقد الثلاثينات من القرن الفائت والتنقل بين مدن طهران والقاهرة واسطنبول مراراً بحثاً عن كنوز الكتب القديمة التي نقل مجموعات كبيرة منها الى كركوك التي ارسى فيها مكتبته الشهيرة (العصرية)، وقد ساعدته في هذا الميدان ثقافته الواسعة ومعرفته باللغات التركية والعربية والفارسية والانكليزية اضافة الى لغته الام الكوردية.

كذلك أستقدم عصري (نهاية عقد الثلاثينات) واعتماداً على امكاناته

الذاتية ماكنتي طبع فرنسيتين تعملان باليد احداهما من نوع (مارينو) والاخرى من نوع (جون مونوپول)، وعمل ايضاً في صحيفة كركوك ردحاً من الزمن، ثم اصبح فيما بعد صاحب اول جريدة تركمانية تصدر في العهد الجمهوري (جريدة البشير التي صدرت في ايلول ١٩٥٨م).

وشهدت الفترة (١٩٥٣ - ١٩٥٨م) قمة عطاءات الاستاذ عصري في مجالي الطبع والنشر الكورديين (من خلال مطبعته الترقي)، حيث انجز خلال تلك السنوات طبع العديد من الكتب والكراريس باللغة الكوردية تنوعت مواضيعها بين القصص والملاحم والحكايات والاشعار المأخوذة من أداب الشرق غالباً والتي ترجم الكثير منها من اللغة الفارسية الى الكوردية ادباء معروفون أمثال؛ علي باپير آغا، عبدالسلام الحيدري والملا جميل الروژبياني...

وقد استقطبت تلك المطبوعات وسواها جمعاً غفيراً من القراء وتميزت بانتشارها السريع في معظم مدن وقصبات كوردستان وبالاخص في الوسط الشعبي، مثل شيرين وفرهاد، رستم وسهراب، أمير ارسلان، ليلى ومجنون، شيرين وخسرو، شيخي صنعان...

ولاشك ان الاسهامات الخالدة التي قدمتها كركوك في ميدان الصحافة والنشر ورغم الظروف الصعبة المريرة التي احاطت بها، تعد دليلاً صادقاً على النهج الصحفي الوطني والقومي الكوردي الاصيل لهذه المدينة الكردستانية الباسلة ذات القوميات والطوائف المتآخية التي تعايشت وتفاعلت و تأزرت فيما بينها هناك، رغم قساوة حملات الترحيل والتعريب الظالمة التي شهدتها المدينة طويلاً.

لمحة تاريخية عن جمعية داركەر وحزب هيوا

(١٩٣٧-١٩٤٥)

ظهرت جمعية داركەر - الحطاب (داركەران - الحطابون كما يسميها البعض)الى الوجود عام ١٩٣٧م، وعلى أساسها تأسس بعد عامين من ذلك (عام ١٩٣٩) حزب هيوا - الأمل -، وقد أدى التنظيمان خلال مسيرتهما النضالية المشرقة دوراً قومياً ووطنياً مشهوداً في سفر شعبنا النضالي، وحظيا تبعاً لذلك بقدر كبير من الاهتمام والبحث والمتابعة من لدن العديد من كتابنا وباحثينا المعروفين الذين تناولوا بالدراسة والتحليل ظروف نشأة هذين التنظيمين الكورديين (السريين) البارزين واسهاماتهما ومواقفهما النضالية المتميزة في تاريخ شعبنا وأمتنا.

ويتفق جميع هؤلاء الكتاب والباحثين على ان داركەر كانت جمعية طلابية تأسست عام ١٩٣٧م، وان تسميتها جاءت على غرار جمعية كاربوناري (الفحام - الفحامين) الايطالية، كما يتفقون بغالبيتهم على ان مؤسسها الحقيقي (أي مؤسس داركەر) هو الشاعر والأديب المعروف يونس رؤوف - دلدار - (١٩١٨-١٩٤٨)، إلا أنهم يختلفون فيما بينهم بشأن تحديد أسماء الأعضاء الأوائل لهذه الجمعية، وبصدد أيهما هو المكان الأصلي لنشأتها الأولى، كركوك أم أربيل؟

فقد أورد الدكتور مكرم الطالباني في هذا السياق:أن جمعية داركەر تشكلت أساساً في النصف الأول من شهر أيلول عام ١٩٣٧ ومن مجموعة صغيرة من طلبة الاعدادية المركزية في كركوك حين كانت

الاعدادية المذكورة تضم العديد من الطلبة الكورد القادمين الى هناك من مختلف مدن وقصبات كوردستان المجاورة وذلك بقصد اكمال دراستهم، وبضمنهم دلدار - مؤسس الجمعية. وهو من سكان بلدة كويسنجق وسليل أسرة خادم السجادة الكوردية المعروفة[1] ويتفق مع د. مكرم بشأن ميلاد داركەر في كركوك، الاستاذ كريم زند وكذلك الاستاذ رشيد باجلان الذي نقل عن دلدار قوله انه وبعض زملائه



دلدار

الطلبة أسسوا في كركوك جمعية طلابية أطلقوا عليها اسم داركەر على غرار منظمة (كاربوناري) الايطالية وكان معه في الجمعية آنئذ السادة: نوري شاويس، فتاح عبدالجبار، عمر عثمان... (وآخرون نسي رشيد باجلان أسماءهم حسب قوله ...)[2] ويعود تاريخ هذا الحديث الذي أدلى به دلدار لزميله باجلان الى أوائل عقد الأربعينات من القرن الماضي حينما كانا يدرسان مع غيرهما من الطلبة الكورد في كلية الحقوق ببغداد ويسكنان معاً غرفة أستأجراها في فندق النواب (في الكرخ) كما كانا يواصلان في تلك الفترة ايضاً نشاطهما السياسي في صفوف حزب هيوا جنباً الى جنب أخرين من زملائهم الطلبة الكورد المنضمين الى هذا الحزب.

وعلى العكس من أصحاب الرأي القائل بتأسيس وظهور داركەر في كركوك (وأنا اميل الى ترجيحه ايضاً) يرى أصحاب الرأي الآخر أن داركەر، ظهرت بالأساس في أربيل وذلك قبل انتقالها لاحقاً الى كركوك، فقد أورد الاستاذ (فيصل الدباغ) في سياق مذكرات (صالح الحيدري)

١- يقول الاستاذ كريم زند أن المؤسس الحقيقي لجمعية داركەر هو أسعد محوي، ولم أجد في المصادر المتيسرة عندي من يؤيد معلومته هذه!

٢- ورد هذا الكلام للاستاذ باجلان في سياق مقابلة صحفية أجراها معه الاستاذ مصطفى نريمان في مجلة (ره نگين) العدد (٦٠) سنة ٩٩٣.

وعلى لسان (مصطفى العزيري) وكذلك في سياق مقابلة أجراها مع موسى صمد - أحد أعضاء داركەر الأوائل - إن الجمعية تأسست أصلاً من قبل بعض الطلبة في مدينة أربيل. كذلك يميل د. معروف خزندار ايضاً الى الاعتقاد بأن ظهور داركەر كان في أربيل اولاً وليس في كركوك.

وبغض النظر عن هذا الاختلاف في الرأي بصدد أي من المدينتين المذكورتين هي المحل الحقيقي لنشأة وظهور جمعية داركەر، فأن الثابت هو انها (أي داركەر) نمت وازدهرت كثيراً في كركوك واستطاعت من خلال جهود ومساعي مؤسسها دلدار واعضائها الأوائل، أن توطد قاعدتها التنظيمية سريعاً وتمد فروعها الى العديد من مدن وقصبات كوردستان العراق المختلفة فانتمى الى صفوفها الكثيرون من الطلبة المفعمين بالحماس الثوري والغيرة القومية ضمن ألوية كركوك، أربيل والسليمانية والأقضية الكوردية ضمن لواء الموصل.


رفيق حلمي

لم يكن لجمعية داركەر - وهي جميعة سرية كما أسلفنا - منهاج ونظام داخلي مدونين بل كانت لها شعارات وأهداف (شفهية) دأب أعضاؤها على حفظها وترديدها بكل حماس وعفوية، وقد تركزت تلك الشعارات والأهداف بشكل خاص حول قضية النضال من أجل تحرير واستقلال الوطن الكوردستاني الكبير والمجزأ وتحقيق تطلعات وأماني أبنائه المشروعة في نيل الحياة الحرة الكريمة والتقدم والازدهار...الخ.

وبالنظر لتنامي نشاط ونفوذ الجمعية واتساع تنظيماتها باط !د في مختلف أرجاء كوردستان العراق وذلك بانضمام المزيد من الأعضاء الجدد اليها، ومن ثم حاجتها الماسة والفعلية الى عناصر سياسية قيادية كفوءة

ومجربة من فئات عمرية أكبر فقد شعر القائمون على الجمعية بضرورة تطويرها وتحويلها الى حزب سياسي كبير وفعال يضطلع بتحمل أعباء تلك المرحلة المهمة والحساسة من نضال شعبنا الكوردي، وعليه عقدت الجمعية مؤتمرها الأخير في مدينة كركوك (نيسان ١٩٣٩) حضره ممثلون عن فروع مختلف مدن كوردستان العراق فقرروا تحويل تنظيمهم الى حزب سياسي سمي بحزب هيوا[٣]، ولكي يكون الحزب الجديد[٤] ذا ثقل سياسي كبير ومؤثر في ميدان النضال القومي والوطني أرتأى اعضاؤه المؤسسون اختيار شخصية كفوءة من بين الشخصيات الكوردية المعروفة عهدئذ، لرئاسته (أي رئاسة هيوا) فتبودلت الآراء والنقاشات في هذا السياق حول عدد من الشخصيات اللامعة أمثال: توفيق وهبي، جمال بابان، محمد أمين زكي بگ، معروف چياووك، ماجد مصطفى ورفيق حلمي. وبالنظر لوجود تحفظات بل وانتقادات معينة بشأن الموقف السياسي لهؤلاء السادة باستثناء رفيق حلمي (١٨٩٨- ١٩٦) فقد وقع عليه الاختيار هو لمهمة رئاسة الحزب الجديد وذلك بحكم ثقافته الواسعة وصلته الوطيدة بصفوف المثقفين وبالأخص المدرسين والمعلمين والطلبة، وبحكم ماضيه النضالي والسياسي الطويل والمشرف ومساهمته الفعالة في نضالات الشيخ الحفيد ولاسيما دوره الفكري والثقافي والتربوي خلال

٣- جاء اختيار إسم الحزب (هيوا) تخليداً لذكر حزب (هيڤي) الذي سبق وأن تأسس في كوردستان الشمالية أواخر حكم العثمانيين وأستقطب في صفوفه العديد من الضباط والمثقفين الكورد وبضمنهم الاستاذ رفيق حلمي ولم يتضح لي ما إذا كان اختيار اسم (هيوا) للحزب الجديد قد تم اثناء المؤتمر المذكور كما يشير بعض المصادر أم حصل ذلك بعدما عرضت رئاسة الحزب على الاستاذ رفيق حلمي الذي قيل انه طالب بذلك، كما أشارت مصادر اخرى.

٤- أورد الاستاذ حبيب محمد كريم في كتابه القيم تاريخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني - العراق ١٩٤٦-١٩٩٣؛ لقد أختلفت الآراء حول اسماء اعضاء قيادة الحزب الجديد (هيوا) إلا ان المرجع كما يقول الاستاذ فيصل الدباغ في كتابه حزب هيوا وثورة بارزان أنهم كانوا كل من المحامي مصطفى العزيري، يونس رؤوف - دلدار -، جلال قادر، موسى صمد، إحسان حاجي باخچه چي، نورالدين بهاء الدين، فتاح عبدالجبار، رستم عبدالجبار، خليل حمد و...

فترة حكم الشيخ الثانية في السليمانية (١٩٢٢-١٩٢٤).

وهكذا دعي الاستاذ رفيق حلمي الى شقلاوه (بعد المؤتمر المذكور) من قبل اعضاء الهيئة المؤسسة لـ(هيوا)، فاجتمعوا به هناك في بستان (جميل ميران) حيث عرضوا عليه مهمة قيادة الحزب الجديد، فابدى موافقته على عرضهم شريطة ان يكون عنوانه (الرئيس الاعلى للحزب) فوافقوا على شرطه، ومن ثم ادى (اي حلمي) القسم المطلوب (القسم بالقرآن الكريم والخنجر رمز النضال).

بعدئذ استقر حلمي وزملاؤه أعضاء الهيئة القيادية لـ(هيوا) (أي أعضاء لجنته المركزية) في العاصمة بغداد وشرعوا من هناك بممارسة نشاطاتهم وأعبائهم السياسية والنضالية على رأس هيوا الذي دخل معترك النضال القومي والوطني في تاريخ شعبنا باعتباره أول حزب سياسي كوردي منظم لحد ذلك الوقت. وقد أثبتت الأحداث والوقائع المحيطة بمسيرة هيوا النضالية عهدئذ، أن اختيار حلمي لرئاسة الحزب في ذلك الظرف الحساس كان اختيارا صائباً وسليما وانه كان فعلاً الشخصية الأنسب لتولي تلك المهمة الموكلة اليه، فقد ترسخت بفضل حلمي ورفاقه القياديين القاعدة التنظيمية والجماهيرية للحزب في بغداد ومناطق كوردستان المختلفة سريعا وأنضم الى صفوفه الالوف من أبناء الكورد على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية من المدرسين والضباط والجنود ووجهاء العشائر ورجال الدين والكسبة... وغيرهم.

وباختصار، كان هيوا حزباً قومياً نشطاً تبنى الدفاع عن أهداف وحقوق وتطلعات شعبنا الكوردي المشروعة وفي ظرف تاريخي بالغ الحساسية والأهمية وقد شكلت قوة الحزب وفاعليته التنظيمية بين أبناء الكورد وشعبيته النابعة من مواقفه الوطنية والقومية السديدة ودفاعه عن ثورتي شعبنا في منطقة بارزان الثائرة خلال (١٩٤٣-١٩٤٥) باعثا على إثارة حقد السلطات الحكومية العراقية والسفارة البريطانية في بغداد عليه، فاستغلوا وجود الخلافات الداخلية فيه وأوعزوا الى عملائهم داخل الحزب

وخارجه الى حبك الدسائس والمؤامرات بين صفوفه بغية إضعافه وتفكيكه ثم القضاء عليه نهائياً، فبدأوا في هذا الاتجاه، بأثارة فتنة اليمين واليسار وتقسيم الحزب الى كتلتين متصارعتين وتأزيم العلاقات بينهما وصب الزيت على النار واستخدام سياسة الترغيب والترهيب والمغريات مع العناصر النشيطة من مسؤولي وقياديي هيوا.

وبرغم كل الجهود الخيرة والمخلصة التي بذلت بهدف رأب الصدع الحاصل داخل الحزب والقضاء على المؤامرات والمحاولات المشبوهة الهادفة الى تقويضه وإنهاء وجوده، ورغم النجاح (المؤقت) الذي أحرزه هيوا خلال مؤتمره التصالحي المنعقد في كلار (في دار داود بگ الجاف) صيف عام ١٩٤٤م، في إزالة الخلاف المحتدم بين الاستاذ حلمي - المدعوم من أغلب أعضاء المؤتمر - وبين أعضاء هيوا من ضباط الجيش الذين كان يمثلهم في ذلك المؤتمر الضابطان محمود طه البرزنجي ومجيد علي، فأن الصراعات والازمات الداخلية التي عصفت بهيوا (وتحديداً منذ ١٩٤٣م) والمستجدات والوقائع المريرة التي أفرزتها انتكاسة انتفاضة بارزان عام (١٩٤٥) تضافرت جميعها أخيراً في تفتيت الحزب وتقويض أوصاله والقضاء عليه نهائياً عام (١٩٤٥)، حيث أنضمت العناصر اليسارية والشيوعية من أعضائه الى الحزب الشيوعي العراقي والى منظمة (يەكێتیی تێكۆشان - وحدة النضال)، كما التحق عدد من ضباطه الاعضاء بثورة بارزان فيما انضم آخرون الى منظمة ژ.ك (ژيانەوەى كورد - انبعاث الكورد) التي تطورت فيما بعد الى فرع للحزب الديمقراطي الكوردستاني الايراني في كوردستان العراق، أما الباقون من منتسبي الحزب فقد آثروا اعتزال العمل الحزبي في تلك الفترة.

وهكذا توارى حزب هيوا عن ساحة النضال القومي والوطني سريعاً، لكن مآثره ومواقفه وأسهاماته النضالية المشرقة التي جاءت تتويجاً واضافة لمجهودات ونضالات سلفه (داركەر)، ستظل سفراً خالداً في تاريخ شعبنا الكوردي وإرثه النضالي الأصيل.

المصادر

- الكتب:

١- تەسەوف چییە؟ تأليف الشيخ أمين النقشبندي، ط ١٩٨٥، بغداد.

٢- الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، تأليف الشيخ محمد الكسنزاني ط ١٩٩٥، بغداد.

٣- سراج القلوب، تأليف الشيخ عثمان النفشيندي ط ١٩٩٠، الرمادي

٤- كورد، ترك، عرب تأليف أدموندز ترجمة: جرجيس فتح الله ط ١٩٩٩ مؤسسة ئاراس - اربيل.

٥- تاريخى سليمانى ولاتى، تأليف محمد أمين زكي بگ، ط ١٩٣٩، بغداد.

٦- بنەماڵەی زانیاران تأليف، عبدالكريم المدرس ط ١٩٨٤ بغداد.

٧- يادى مەردان تأليف عبدالكريم المدرس جـ١ ط ١٩٧٩ بغداد.

٨- علماؤنا في خدمة العلم والدين، تأليف عبدالكريم المدرس، ١٩٨٣ بغداد.

٩- اعلام الكورد، تأليف مير بصري، ١٩٩١، لندن.

١- گەشتی ریچ بۆ کوردستان، تأليف المستر ريچ ترجمه للكوردية محمد حمه باقي، ١٩٩٢، تبريز.

١١- رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكوردستان تأليف، الميجرسون، ترجمة: فؤاد جميل، ١٩٧٠، بغداد.

١٢- مێژووی ئەدەبی كوردی تأليف علاءالدين السجادي، ط ١٩٧١، بغداد.

١٣- رواية؛ پاشایان كوشت، تأليف خسرو الجاف، ط ١٩٩٣، بغداد.

١٤- مێژووی راپەرینی كورد، تأليف علاءالدين السجادي، ط ١٩٩٦ سقز.

١٥- چەند لاپەڕەیەک لە مێژووی گەلی كورد تأليف د كمال مظهر جـ١ ط ١٩٨٥، بغداد.

١٦- چەند لاپەڕەیەک لە مێژووی گەلی كورد تأليف د. كمال مظهر جـ٢ ط ١ ٢ أربيل/ مؤسسة موكرياني.

١٧- هەندێک دادوەری بەناوبانگ، تأليف جمال بابان ط ١٩٨١ بغداد.

١٨- دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين. تأليف د كمال مظهر ط ١٩٧٨، بغداد.

١٩- ثورتنا في شمال العراق، تأليف عبدالمنعم الغلامي ط١٩٩٦ بغداد.

٢- شۆڕشی ئیبراهیم خانی دەلۆ، تأليف مصطفى نريمان ط ١٩٨٥ بغداد.

٢١- ابراهيم خان ثائر من كوردستان، تأليف د. مكرم الطالباني ط ١٩٧١، بغداد.

٢٢- چیم دی؟ تأليف احمد خواجه ط ١٩٧١، السليمانية.

٢٣- یاداشتەکانی شێخ لەتیف حەفید ط ١٩٩٥، اربيل.

٢٤- مێژووی جاف، تأليف كريم بگ الجاف، تقديم د. حسن الجاف ط ١٩٩٥، بغداد.

٢٥- موسوعة اعلام الكورد المصورة، تأليف خسرو الجاف، جـ٢ ط ٢ ٠٤، بغداد.

٢٦- مێژووی هۆزی جاف و مەحموود پاشای جاف، تأليف حسن فهمي الجاف ط ١٩٩٩ السليمانية.

٢٧- عشائر العراق الكوردية، تأليف عباس العزاوي ط ١٩٤٧، بغداد.

٢٨- اصول اسماء المدن والمواقع العراقية، تأليف جمال بابان ط ١٩٧٦، بغداد.

٢٩- کەریم بەگی فەتاح بەگی هەمەوەند، تأليف دارا أحمد كريم بگ الهموند ط ١ ٢، أربيل مؤسسة موكرياني.

٣- المشكلة الكوردية في الشرق الاوسط، تأليف د. حامد محمود عيسى ط١٩٩٢،(مصر)

٣١- كوردستان في عهد الدولة العثمانية، تأليف د. عبدالله عەلیاوەیی، ط ١٩٩٨ أربيل.

٣٢- موسوعة اعلاء العراق في القرن العشرين تأليف حميد المطبعي، ط ١٩٩٥، بغداد.

٣٣- ئافرەتە ناودارەکانی کورد، تأليف عبدالجبار محمد الجباري ط ١٩٦٩ كركرك.

٣٤- گەنجینەی مەردان، تأليف عبدالله زیوەر، ط ١٩٨٥، بغداد.

٣٥- الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية تأليف. د. وليد حمدي، ط ١٩٩١ لندن.

٣٦- تاريخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي - تأليف حبيب محمد كريم ط ١٩٩٨، دهوك.

٣٧- دليل كركوك، بوابة جبال زاگروس ط ١ ٢، أربيل.

٣٨-كركوك دراسة سياسية اجتماعية، وريا الجاف، ط ١٩٩٧، أربيل.

٣٩- بیرەوەرییەكاني ژیانم، تأليف مصطفى نريمان، ط ١٩٩٤، بغداد.

٤٠- ئەم قسانە بەم پێوانە... تأليف د. حسن الجاف، ط ١٩٩٦، بغداد.

المجلات والصحف:

١- مجلة رەنگین العدد ٦ سنة ١٩٨٨ موضوع عن كريم عەلەكە، بقلم سوران هەورامي.

٢-مجلة رەنگین العدد ٨٥ سنة ١٩٩٥ موضوع؛ موقف شهم لسيدات السليمانية، بقلم د. كمال مظهر.

٣- مجلة رەنگین العدد ٥٢ سنة ١٩٩٣ موضوع عن دارکەر وهيوا بقلم د. مكرم الطالباني.

٤- مجلة رەنگین العدد ٦ سنة ١٩٩٣، مقابلة مع رشيد باجلان.

٥- مجلة كركوك العدد ٢ سنة ١ ٢ موضوع عن رفيق حلمي بقلم حلمي علي رسول.

٦- مجلة كركوك ٢ سنة ١ ٢، موضوع عن الدور الادبي والثقافي لمدينة كركوك بقلم مصطفى صالح كريم.

٧- مجلة كاروان العدد ٦٣ سنة ١٩٨٨، موضوع عن ژين و پيرة ميرد بقلم س.ع شادمان.

٨- مجلة گولان العربي العدد ٣٧ سنة ١٩٩٩و موضوع عن السياح البولونيين بقلم جلال زنگابادي.

٩- مجلة هتزار ميرد العدد ١٨ سنة ١ ٢، موضوع عن فن البناء في كركوك بقلم ئەژي.

١- مجلة الف باء العدد ٣٩٠ سنة ١٩٧٦ تحقيق مصور عن مدينة

السليمانية.

١١- مجلة بارش العدد ١٦ سنة ٤   ٢، موضوع؛ صحافة كركوك في مائة عام، بقلم محمد خضر.

١٢- مجلة بارش العدد ١٦ سنة ٤   ٢ موضوع: الطباعة والمعلومات في كركوك بقلم گولر سيامنصوري.

١٣- مجلة نەوشەفەق العدد ١١ سنة ٤   ٢، موضوع عن المطابع في كركوك بقلم غازي حسن.

١٤- مجلة هاواری کەرکووک العدد ٤ سنة ١٩٩٩، موضوع عن الجاف وكلار بقلم المؤلف.

١٥- جريدة خه بات العدد ٢٢   ١ سنة ١٩٩٩ موضوع عن الثائرة قدم خير بقلم كريم شارەزا.

١٦- جريدة پێشكەوتن الاعداد؛ ١٦ ١٧ ١٩ ٢١ ٢٣ عام   ١٩٢

١٧- جريدة برايەتی العدد ٣٣١٦ موضوع عن معركة ئاوباريك بقلم المؤلف.

١٨-جريدة كوردستان اليوم العدد ٨ سنة ٤   ٢ موضوع عن السليمانية، بقلم المؤلف.

بقلم المؤلف

١٩- جريدة «خەبات» العدد ١٦٨٣ في ٢٠٠٥/١/١٧   ٢ مقال عن مجلة شەفەق «شفق» بقلم كريم شارەزا.

شـكـر وامـتـنـان

شكري الخالص الى الاستاذ الفاضل حمه كريم عارف والأخ العزيز ملا شاخوان والاخت العزيزة زينب جبرائيل والأخ العزيز فهد شواني، لجهدهم الطيب في إنجاز هذا الكتاب...

المؤلف



دەزگای رۆشنبیریی شەفەق

کەرکووک